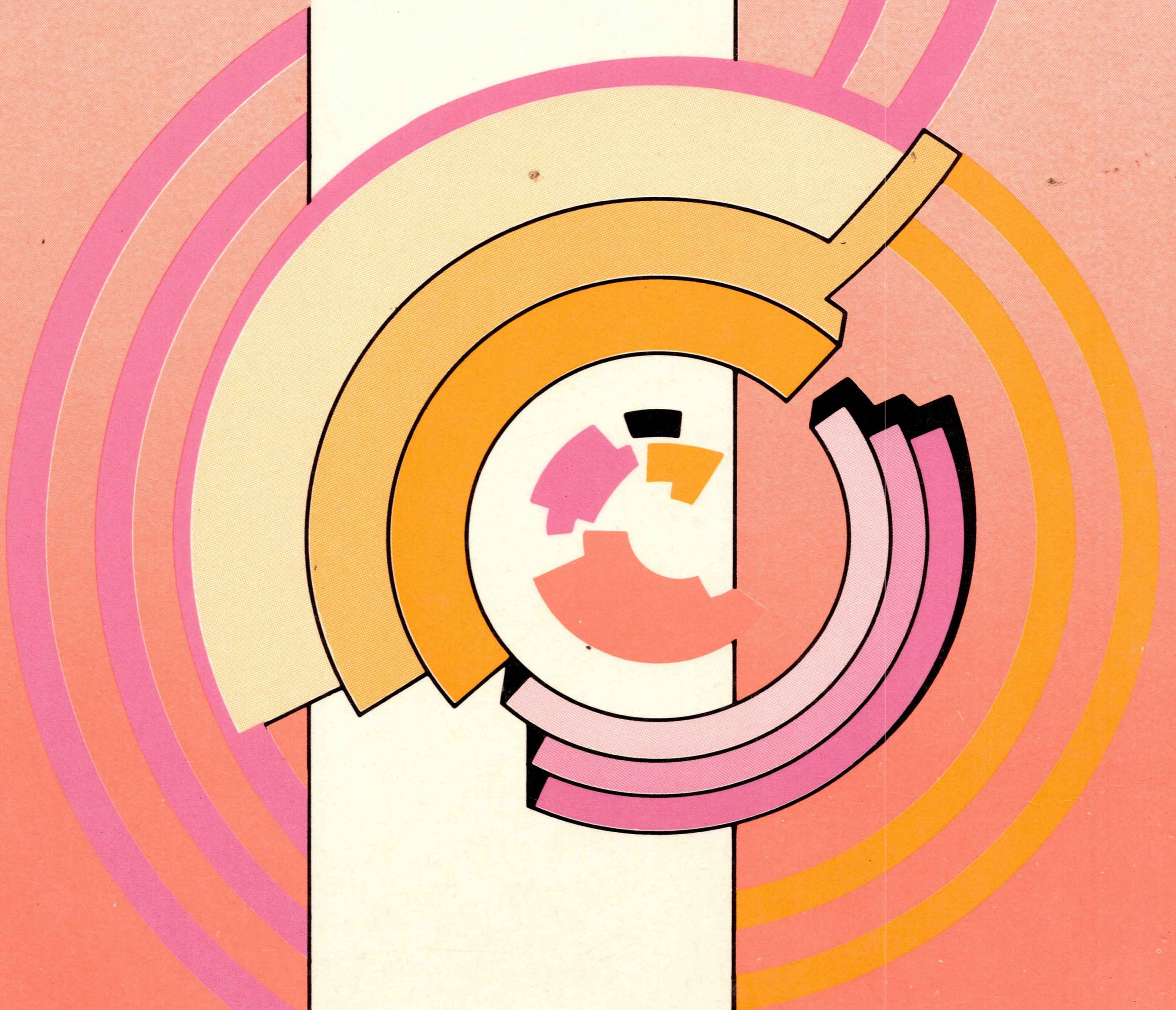
جمال عبد الملك «ابن خلدون»

السياسة والاستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى والثانية



مروي بوكشوب
الخرطوم

دار الجيل
بيروت

السياسة والاستراتيجية
في
الحربين العالميتين الأولى والثانية

جمال عبد الملك " ابن خلدون "

السياسة والاستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى والثانية

١٩٨٨

مروي بوكشوب
الخرطوم

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨٨

هذه مجموعة من المحاضرات في السياسة العالمية جاءت صياغتها بهدف اعطاء نظرة شاملة وصورة عامة لملامح الوضع الدولي ولمحاولة فهم جذور المتغيرات الدولية والتيارات المؤثرة في عالمنا المعاصر ومتابعة التحولات في الاستراتيجية السياسية والعسكرية.

مقدمة

لماذا ندرس السياسة؟

ان الوعي السياسي مهم لكل مواطن يريد تقدم بلاده وأمن مجتمعه وحريته وضمان مستقبل أبنائه.

ـــ فالقدرة على التحليل السياسي ميزة هامة، ليس فقط لمحترفي السياسة أو لدعاة التغيير الاجتماعي والسياسي، بل هي مفيدة لمعرفة اتجاه الأحداث وتوقع التطورات المحتملة وذيولها ونتائجها وهو أمر يهم جميع أعضاء المجتمع.

ـــ وليس من السهل ترتيب الأحداث والوقائع وربط الأخبار واعادة ترتيبها ليكون لها مغزى ونحن نعلم أن معظم السياسيين والزعماء يرددون شعارات ويقولون تصريحات تؤكد أنهم دعاة سلام وعدالة ورخاء يطلبون خدمة الإنسانية أو الشعب أو الوطن أو الصالح العام، ولن نجد واحداً يعترف أنه يريد خدمة مصالحه الأنانية أو يسعى للتآمر على بلاده.. أو إلحاق الأذى بالبشر. وقد رأينا فضائح عديدة تكشف خلالها أن رؤساء دول كبيرة وصغيرة وزعماء مرموقين كانوا يكذبون.. ويتآمرون ويسرقون وينهبون!

ودور الوعي السياسي أنه يمكننا من معرفة الصالح من الطالح وفرز الكاذب من الصادق.. والذي يقف مع الشعب والذي يتآمر على الشعب.. وهكذا..

هل السياسة علم؟

ان السياسة ليست علماً مضبوطاً مثل الكيمياء أو الفيزياء بحيث يمكن اخضاعها للدراسات القياسية أو الكمية، في السياسة يصعب القول بأن وجود أزمة اقتصادية مع وجود عدد كبير من المتعلمين العاطلين يقود حتماً لثورة، فهناك احتمالات متعددة أن تترجم الأزمة الإقتصادية الى أزمة حكم، أو تتمكن الفئة الحاكمة من صرف نظر الشعب عن المشاكل الداخلية بافتعال مواجهة مع عدو خارجي أو تحويل التذمر الى محاربة أقلية عرقية أو دينية.. أو قد تظهر فجأة خامات معدنية أو بترول مما يسمح بتحسين الأحوال المعيشية .. أو تتوفر ظروف الثورة بينما لا تكون هناك قيادة ثورية ذات فعالية.. أو قد تحدث فضيحة أو حادثة تسبب انعزال بعض العناصر القيادية التي تتمتع بشعبية أو بكفاءة خاصة في العمل السياسي.. وقد تحدث كارثة طبيعية (زلزال، فيضان، وباء....) تحظى بأولوية في اهتمام الجماهير وتجعل فكرة تغيير السلطة غير مطروحة.. الخ باختصار ان السياسة ليست علماً مضبوطاً لسببين جوهريين:

الأول: أن المتغيرات في السياسة كثيرة ومتعددة، أكثر بمراحل من متغيرات الطقس مثلاً، وتضاف اليها عوامل تشكل كل نواحي الحياة تقريباً...

والثاني: أن من أهم هذه المتغيرات المؤثرة العنصر الإنساني، وأهم ميزة في الإنسان أن سلوكه ليس آلياً أو محكوماً بل دائماً يحمل نسبة من عدم التوقع والمفاجأة في تصرفاته، فقد تصفع رجلاً فيكون رد الفعل عنده أن يتقدم بشكوى للشرطة، وقد يشهر سلاحه ويحاول الفتك بالمعتدي وقد يدير لك الخد الآخر وقد يحاول الإبتعاد أو يكتفي بالسباب.. فالإنسان ليس (آلة) مبرمجة لها رد فعل معروف مسبقاً... فالغلاء قد يسبب بين بعض الفئات موجة من التصوف أو الزهد، وقد يدفع أناساً آخرين لصفوف الإشتراكيين وقد يولد جماعات إرهابية.. ويختلف الأمر من قطر لآخر حسب القيم والموروثات والسوابق التاريخية والدين والروابط العرقية والطبيعة الجغرافية وموقف الدول المجاورة، فالبلاد التي تساعد طبيعتها على حرب العصابات،

مثل وجود الأحراش والجبال تجعل سلوك طريق المقاومة المسلحة أسهل منه في البلاد التي لا تتمتع بهذه الميزة، ومع كل ذلك فإن هناك سلوكاً عاماً يمكن توقعه ويكون هو الغالب، فالأزمة الإقتصادية مثلاً لا بد أن تترك اثرها على المجتمع وعلى الساحة السياسية فيه، سواء على المدى البعيد أو القريب، ومصادرة الحريات لا بد أن تؤدي لظهور أشكال من الإحتجاج ورد الفعل العنيف.. وهكذا.

ــ أي أن السياسة تخضع فعلاً لقوانين حركة، ولكن هذه القوانين ليست لها حتمية القوانين الطبيعية ودقتها، صحيح أن المجتمع يتطور بوجه عام من مستوى أدنى وأبسط الى مستوى أرقى وأكثر تعقيداً، لكن هذه ليست القاعدة الثابتة في كل حال فثمة مجتمعات قد تنحدر من المستوى الراقي الى المستوى الأدنى والإنتكاسات واردة في تاريخ المجتمعات الإنسانية. والتاريخ يتجه لتكرار نفسه في دورات معينة، ولكنه لا يكرر الأحداث القديمة بحذافيرها، بل قد يحتفظ ببعض ملامحها أو مظاهرها بينما يختلف محتواها اختلافاً جذرياً.. ان هناك قدراً كبيراً من الحرية في حركة المجتمع.. وهي حركة حية تستطيع دائماً أن تفاجئنا بالجديد والطريف وغير المتوقع بل والمتناقض، فحلفاء الأمس يصبحون أعداء اليوم، وأعداء اليوم يصبحون حلفاء الغد..

في السياسة لا توجد قواعد ثابتة للعب، ربما توجد قواعد عامة لكنها مرنة للغاية وخاضعة للتحول والتبدل، والخبرة السياسية والحدس أيضاً يلعبان دوراً هاماً في التكهن بمجرى الأحداث ومحاولة سبقها بخطوات لتفادي الخسائر والمخاطر.

وهكذا نجد الممارسة السياسية تكون أقرب للفن منها للعلم لأنها تعتمد على الحدس والخبرة بنفس الدرجة التي تعتمد فيها على ادراك القوانين العامة لحركة المجتمع.. والقاعدة التي يجب أن نؤكدها أن الواقع أغنى بكثير من كل النظريات ويستطيع أن يفاجئنا بالجديد والمدهش كل لحظة، ولهذا من الخطورة بمكان اجبار الواقع على الدخول في صندوق نظري

فولاذي لأن هذا ينطوي على خداع النفس وقد يؤدي لكوارث عندما يقلب الواقع كل الحسابات النظرية. ومثال ذلك أنه نشأت (نظرية) تقول أنه بعد الحرب الثانية وهزيمة الفاشية والنازية عالمياً فان هذه الدعوة لا يمكن أن تعود ولكن الدعاوى الفاشية والنازية عادت وازدهرت في بعض البلاد، وهناك نظرية أخرى بأن إفتقار الطبقة الوسطى يدفعها للبحث عن الحل الإشتراكي لأزمات المجتمع، ولكن الحقيقة أن هذا ليس حتمياً، اذ قد يدفعها لانتظار الفرج من السماء والبحث عن الحل في المجال الديني.. وهكذا..

الدراسات السياسية:

ومن الموضوعات التي يدرسها طلاب العلوم السياسية، النظريات الخاصة بالدولة والنظم الإجتماعية والإقتصادية والفلسفات التي تقوم عليها كالرأسمالية والإشتراكية والشيوعية والفوضوية، وهناك الدراسات الإحصائية وكيفية قياس الرأي وأخذ عينات منه وتحليل الإتجاهات السائدة في المجتمع، وهناك العلاقات الدولية، والدراسات القانونية والدستورية والدراسات الإقتصادية المرتبطة بالأوضاع الإجتماعية وانعكاساتها السياسية..

— وهي كلها موضوعات مفيدة لمن يدخل المعترك السياسي، ولكنها لا تغني عن الخبرة العملية، فقد يستطيع رجل عادي في السوق أن يتكهن بمجريات الأحداث بنظر ثاقب ورأي نافذ وتكون توقعاته أصدق من آراء بعض أساتذة العلوم السياسية.. وذلك لأن (النظريات) المجردة قد تعمي البصر والبصيرة عن تيارات تفعل فعلها في المجتمع وتتحرك تحت السطح مباشرة.

مشكلة التغيير في السلطة:

مشكلة التغيير في السلطة والمجتمع تشغل بال الشعوب خصوصاً شعوب العالم الثالث. فهناك مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية تجعل التغيير

عملية عسيرة وتحتاج لتضحيات جسيمة، فالتطور التكنولوجي يضع تحت تصرف أجهزة الدولة أدوات ذات كفاءة عالية مثل أجهزة التجسس وجمع المعلومات وخزنها والقمع والدعاية والحرب النفسية، كما أن وحدة النظم الإستغلالية المعادية للشعوب على نطاق العالم أجمع وتساندها وارتباطها وكثرة أموالها في مقابل تفكك الحركات المناهضة لها وقلة إمكانيتها بالإضافة لتخلف وجهل وفقر أغلبية الجماهير يجعل مهمة دعاة التغيير صعبة.. وهم أحوج الناس للوعي بالقوانين العامة لحركة المجتمع.

ـــ ان الوضع العالمي الراهن يؤدي لإفقار الجماهير باطراد بحيث تشل عن التفكير الا في الحصول على الوجبة التالية، بينما تفتح منافذ محدودة لهروب المثقفين وخلاصهم الفردي بالإنسلاخ من عامة الشعب والعمل في خدمة المستغلين وعزل قضية المثقفين عن قضية تغيير ظروف المجتمع كله، وبذلك يحكم على المجموع بالتخلف والعجز.

ـــ كما أن وجود أسلحة التدمير الذري وخطر الفناء الشامل يجعل مجال المناورة محدوداً حيث يحاول المعسكر الإشتراكي تجنب التورط في حروب أهلية أو اقليمية ويكتفي بدعم محدود أو معنوي للحركات الثورية حسبما تقتضي مصالحه الاستراتيجية.

ـــ غير أن الجانب الأكثر أهمية أنه في بعض بلدان العالم الثالث، التي لم تتمكن بعد من بناء مؤسسات وطنية راسخة، فان الدخول في صراع داخلي طويل الأمد أو حرب أهلية تستمر فترة طويلة بدون حسم يؤدي الى تدمير الشعب نفسه وتمزيق كيانه، فعندما يصبح نصف الشعب من اللاجئين، وتدمر البنيات الهيكلية القليلة ويشرد الشباب وينفتح الباب أمام اشكال التدخل الخارجي، فان هذا ثمن فادح للتغيير الإجتماعي، مثل علاج المرض بقتل المريض. ولهذا فان قرار الكفاح المسلح قرار خطير والإقدام عليه يحتاج لدراسة شاملة وتقدير صحيح ولا بد من توفر ظروف مؤاتية داخلياً وخارجياً تضمن له النجاح بالحد الأدنى من التضحيات، لأن إشعال

الحرب سهل ولكن اخمادها هو الصعب، والشعوب هي التي تتحمل العبء الأكبر من ويلات الحروب سواء كانت داخلية (أي حروباً أهلية) أو حروباً ضد عدو خارجي.

ودراسة السياسة هي التي تحدد لنا أشكال النضال الممكنة لتحقيق التغيير المنشود بالحد الأدنى من التضحيات والمعاناة.



الفصل الأول

السياسة والاستراتيجية

السياسة علم الصراع (conflict)

قلنا أن السياسة يمكن أن تخضع للدراسة العلمية من حيث المنهج ولكنها لن تكون في دقة العلوم الطبيعية، وهي لهذا أقرب للفن منها للعلم لأن الخبرة والممارسة تكملان المعرفة النظرية وربما تكونان أكثر أهمية من العلم السياسي النظري، وفي الحقيقة السياسة أكثر خضوعاً لقوانين الصراع والتنافس، ولهذا قيل أن الحرب والسياسة هما وجهان لذات العملة وقد كتب الجنرال البروسي كلاوزفتز (١٧٨٠ — ١٨٣١ م) أن الحرب هي امتداد للسياسة، بينما قال الزعيم الصيني ماوتسي تونج، أن السياسة هي امتداد للحرب بصورة أخرى، والحقيقة أن السياسة والحرب يكملان بعضهما كما تنطبق عليهما قواعد الاستراتيجية والتاكتيك.

— وأي مجال يتسم بالصراع والمجابهة يمكننا أن نطبق عليه قواعد الاستراتيجية والتاكتيك. سواء كان هذا بمعنى تحديد الأهداف البعيدة والقريبة التي نسعى لتحقيقها أو الغايات والوسائل ووضع نظام للأولويات بحيث يؤدي تحقيق مرحلة الى الإنتقال لمرحلة أخرى تقربنا من بلوغ الأهداف المنشودة.. وسواء كان المجال هو التخطيط لكسب معركة حربية أو كسب

مباراة في كرة القدم أو الفوز في لعبة الشطرنج أو عزل خصم سياسي، فاننا نجد أن قواعد الاستراتيجية والتاكتيك مفيدة لإحراز النصر، وبرغم استقلال المهمات السياسية عن المهمات العسكرية واختلاف أدوات كل منهما فان هناك مساحة كبيرة من التشابه واللقاء. كما أن كلا منهما يكمل الآخر ويمهد له، فالحملات الدعائية والسياسية تمهد للغزو، والمؤتمرات والمسيرات الجماهيرية والإضرابات تمهد للثورة المسلحة.. وهكذا..



الاستراتيجية القومية: (NATIONAL STRATEGY).

ولكل دولة استراتيجية عامة أو قومية تعرف بأنها.. « فن استخدام وتطوير قوى الأمة السياسية والعسكرية والمعنوية أثناء السلم والحرب على السواء لدعم الأهداف القومية للبلد المعين، وتشمل صيانة وتنمية قدرات البلاد في كل المجالات خلال المرحلة التاريخية » فهي خطة دعم قدرات البلد المعين خلال فترة زمنية طويلة، أما الخطط القصيرة المدى فتمثل برامج وسياسات مرحلية تكون في خدمة الاستراتيجية القومية.

ــ مثلاً اذا أخذنا ما ينبغي أن تكون عليه الاستراتيجية القومية في قطر كالسودان فانها تتلخص في بناء مجتمع حديث متماسك ودولة عصرية متحدة ــ وهذا الهدف سيظل في مركز الاهتمام القومي خلال مرحلة تاريخية طويلة حتى يتم انجازه، ولكي يتحقق لا بد من صياغة خطط مرحلية تفصيلية وحساب الظروف المؤاتية والظروف المضادة، والعوامل المساعدة والعوامل السلبية، وهكذا يمكن القول أن التخطيط لكسب معركة سياسية يشبه التخطيط لكسب معركة حربية، أي أن معركة التنمية تحتاج لاستراتيجية وتاكتيك ولخطط بعيدة المدى وخطط قريبة المدى.

ولكن ثمة فروق بين وسائل العمل السياسي وبين وسائل العمل العسكري.

يكمن التشابه في أن السياسة ــ مثل الحرب ــ تخضع لحسابات عملية وتخطيط ولوضع نظام يحدد الاسبقيات، ويبين الغايات والوسائل ولكن في

المجال السياسي تكمل التجربة والممارسة المعرفة النظرية بل تصبح أكثر أهمية من العلم النظري.

حدود القوة:

ويرى الجنرال آندريه بوفر أن هدف الاستراتيجية في جميع الأحوال هو الوصول للأهداف التي حددتها السياسة مع تحقيق أفضل استخدام للوسائل المتاحة ـــ والحقيقة أن الظروف الراهنة في عالمنا جعلت الاستراتيجية تحكمها العوامل السياسية بصورة أوثق، وهذا يختلف عن دعوة كلاوزفتز (للحل الحاسم عن طريق احراز النصر في المعركة)، وأدت المتغيرات الدولية لتضييق مجال استخدام القوة لحسم النزاعات وظهور السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل جعل تصعيد النزاعات للحدود القصوى يعني الدمار الشامل لجميع أطراف النزاع بحيث لا يكون هناك غالب ومغلوب.

ولهذا صار المجال مفتوحاً لاستخدام الضغوط الإقتصادية والسياسية والدبلوماسية وأيضاً العمليات العسكرية المحدودة، وبعض الدول لجأت لتشجيع عمليات الإرهاب ضد خصومها كجزء من استراتيجية غير مباشرة.

ان أي تحرك عسكري يتم الآن في إطار مجموعة من الإجراءات السياسية والعسكرية المحسوبة فتحرك بريطانيا لاسترداد جزر فوكلاند من الأرجنتين (١٩٨٢) سبقه استصدار قرار من مجلس الأمن يدين الأرجنتين ليتم تحرك الأسطول البريطاني تحت مظلة المشروعية الدولية، وقصف الولايات المتحدة ليبيا (أبريل ١٩٨٦) تم في اطار حملة منظمة لعزل ليبيا واتهامها بتشجيع الإرهاب الدولي..

وهكذا نرى أن نطاق التكامل والتشابه بين السياسة والحرب يتسع باستمرار.

ـــ في الحرب يكون الهدف النهائي للقوة الضاربة هو شل ارادة العدو

وإحباط عزمه على مواصلة القتال، أي أن الهدف الحربي هو في الواقع هدف نفسي، بينما نجد أن جوهر العمل السياسي كان دائماً التأثير في أذهان البشر بحيث يمهد التحول في الفكر الى التحول في الفعل، وتصبح وسائل التأثير في الجماهير هي أسلحة العمل السياسي (الإذاعة — والصحف والمؤتمرات والإجتماعات والمسيرات... الخ).

— ويمكن توظيف هذه الوسائل بحيث يسعى التحرك السياسي لامتلاك زمام المبادرة في الساحة السياسية ولإفساح المجال نحو المزيد من حرية الحركة أمام القيادة السياسية حتى تتمكن من اختيار أفضل السبل لمعالجة المشاكل التي تواجهها، وهكذا فان المبادئ الأساسية للحرب يمكن تطبيقها على الصعيد السياسي:

فالمحافظة على الغرض ووضوح الهدف والمبادرة والايجابية والتوقيت المناسب والمفاجأة ووحدة القيادة.. كلها شروط ضرورية لنجاح أي تحرك في المجالين السياسي والعسكري على السواء.

— ونجد أن محور الإختلاف بين السياسة والحرب يتركز في **وسائل** السياسة **وأدوات** الحرب ولا يمكن استبدال أحدها بالأخرى.

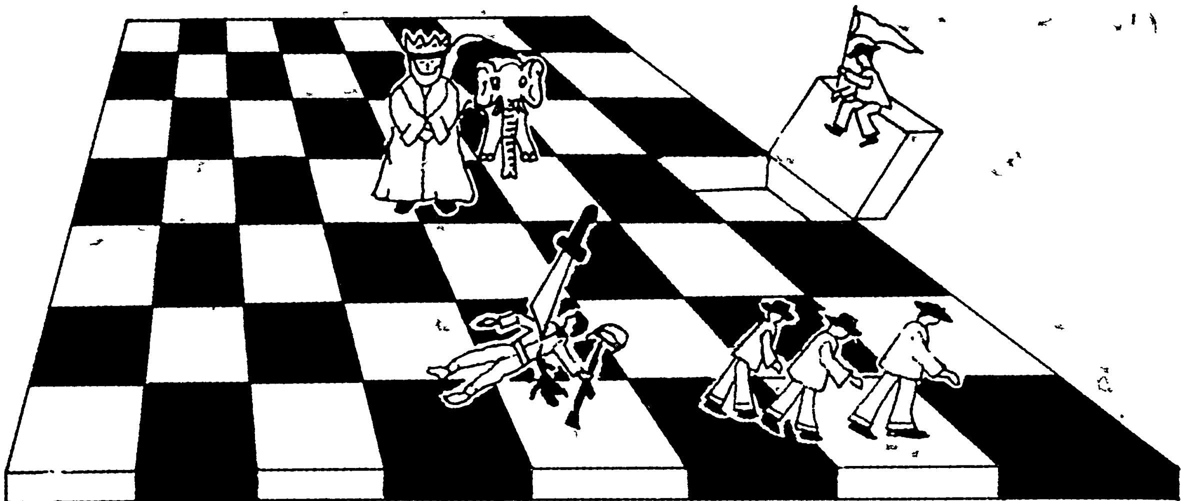
— السياسة تتعامل مع الجماهير والقوى الإجتماعية التي تختلف درجات وعيها وامكانيات تنظيمها، بينما في الحرب التعامل يكون مع قوات نظامية مسلحة خاضعة خضوعاً مطلقاً لقيادة محدودة.

— في السياسة يشكل ما يسمى (بالرأي العام) وجوداً معنوياً غير محدد ومع ذلك يعتبر قوة لها تأثيرها وفعاليتها التي يمكن أن تغير موازين القوى — (وكلنا نعرف كيف كان الرأي العام الأمريكي عاملاً مهماً في تحقيق انسحاب القوات الأمريكية من فيتنام).

— والرأي العام لا يتحرك بإصدار الأوامر اليه، ولكنه يتحرك من خلال العمل السياسي — الدعاية والتنظيم والعمل بين الجماهير ونشر الوعي من

خلال التجربة ودروس التاريخ. ولهذا فان التفاصيل والخطط الجزئية تكتسب في العمل السياسي أهمية أكبر بحيث يمكن أن يؤدي انهيار بعض الخطط التاكتيكية الى إلغاء مزايا أعظم الخطط الاستراتيجية.. —(مثلاً فضيحة ووترقيت حجبت انجازات نكسون في انهاء حرب فيتنام وتحقيق معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية للمرحلة الأولى سولت (١)) وهذا وجه آخر للمقارنة بين وسائل السياسة ووسائل الحرب..

أما في الحرب فخسارة معركة تاكتيكية واحدة تؤثر سلبياً.. ولكنها نادراً ما تؤدي لخسارة الحرب.



الشطرنج — مثل السياسة — علم صراع..

— في السياسة نتعامل مع متغيرات أكثر تنوعاً وتعدداً ومسرح العمليات يكون أكثر اتساعاً بصورة تجعل المفاجآت واردة باستمرار والتحكم في كل العناصر المؤثرة صعباً وربما مستحيلاً لأن مسرح العمليات في السياسة هو العالم كله.

— في السياسة فان الجيش السياسي (الحزب أو التنظيم أو الجبهة الذي يشكل المرتكز الرئيسي للعمل السياسي) يجري تكوينه واعداده وتدريبه

في مواجهة التحديات داخل المعترك السياسي وأثناء المعركة ذاتها، بينما الجيش العسكري يجري اعداده خارج ساحة القتال وقبل المعركة.

في السياسة، كما في الحرب، تقوم الاستراتيجية على تحديد المسائل التالية:

— تحديد الهدف البعيد.
— تحديد وسائل تحقيق الهدف.
— تحديد الحلفاء والخصوم والقوى المحايدة، (أو التي يمكن تحييدها في الصراع).
— تحديد القوى الرئيسية والقوى الإحتياطية التي يمكن التحالف معها.
— تحديد الظروف المؤاتية والظروف المعاكسة (داخلياً وخارجياً) والتحالفات الاستراتيجية والتاكتيكية.
— تحديد اتجاه الجهد الرئيسي للعمل السياسي أو العسكري (أو ما يسمى باتجاه الضربة الرئيسية).

إن جوهر هذا الجهد بوجه عام هو: توحيد وحشد القوى الحليفة، وتفكيك وعزل قوى الخصم، وتحييد الأعداء والخصوم المحتملين، والتوقيت لجلب الإحتياطي للمقدمة في اللحظة الحاسمة، أي لاحداث صدمة قوية للعدو تغير ميزان القوى عند المواجهة، ويحدث هذا في المجال السياسي بالفضح والكشف وتعرية الخصوم وعزلهم وإدانتهم بواسطة الرأي العام، وفي الحرب يكون بتطويق العدو وقطع امداداته وتشتيت قواته ومنع وصول أي تعزيزات له مع تركيز قوات متفوقة ضده لشل إرادته وتصميمه على مواصلة الحرب.. من هنا نرى..

— ان ثمة أوجه شبه بين السياسة والحرب حيث انهما مجالان للصراع تنطبق عليهما مبادئ الاستراتيجية والتاكتيك.
— أن السياسة والحرب هما وجهان لعملة واحدة يتفقان في الغايات ويختلفان في الوسائل ويكملان بعضهما.

ـ ان السياسة ليست علماً صحيحاً لأنها تتعامل مع متغيرات كثيرة محلية وعالمية يصعب حصرها ولأنها تتأثر بعوامل انسانية متشابكة ومعقدة وسريعة التبدل.

ـ ومع ذلك يستطيع الإنسان الواعي أن يخضع ظواهر السياسة للتحليل والبحث والمقارنة وأن يتوصل بالدراسة لنتائج صحيحة لحد كبير ولتوقعات تقترب من الواقع.

ـ ولهذا فان دراسة الأوضاع السياسية المحلية والعالمية والتيارات المؤثرة في منطقتنا لا غنى عنها حتى نكون على بينة بمسار الأحداث واحتمالاتها وكيفية التعامل معها.. بدلاً من الشعور بالسلبية والعجز ازاء ما يجري.

الاستراتيجية العالمية: GLOBAL STRATEGY.

في التنافس على الصدارة تهتم الدول العظمى بكل مناطق الكرة الأرضية والفضاء أيضاً. وتسعى لكسب مناطق لنفوذها وللإحتفاظ بزمام المبادرة ولترجيح كفتها في المنافسة الدولية. ولهذا ترسم استراتيجيتها على مستوى العالم بأكمله. وهي تعتبر أن أي توسع لنفوذ الدولة الخصم إضعافاً لقوتها، فاذا جاءت نتيجة الإنتخابات في بلد صغير في آسيا أو أفريقيا مثلاً لصالح الرأسمالية فهذا يضاف لرصيد الولايات المتحدة، واذا فاز اليسار في قطر ما فان فوزه يضاف لرصيد الاتحاد السوفيتي، ولهذا نجد الدول العظمى ترصد الأحداث على نطاق عالمي وتهتم بما يجري حتى في أبعد الأماكن عن حدودها، أما الدول المتوسطة والصغيرة فاهتمامها يتناسب مع امكانيتها ويركز على المناطق التي لها فيها مصالح مباشرة والقريبة من حدودها، وتتميز استراتيجية الدول الصغيرة بطابع دفاعي لتأمين حدودها ضد أي عدوان، والدول النامية تضع نصب أعينها تنمية المجتمع ورفع مستوى شعوبها وتوظف سياستها الخارجية والداخلية لخدمة هذا الهدف الرئيسي.

ـ وبينما نرى كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يتنافسان على غزو الفضاء وكسب مواقع في القارة المتجمدة الجنوبية، بالإضافة

لدعم حلف الأطلنطي وحلف وارسو.. فان السعودية مثلاً تهتم بأمن الخليج والبحر الأحمر، ومصر تهتم بمياه النيل وفرنسا تحاول الاحتفاظ بنفوذها في أفريقيا الغربية، وهي كلها اهتمامات اقليمية.. لا ترقى لمستوى استراتيجية القوى العظمى العالمية.



الاستراتيجية المباشرة وغير المباشرة:
(DIRECT + INDIRECT STRATEGY)

الاستراتيجية المباشرة:

حاول بعض النظريين التمييز بين نوعين من الاستراتيجية، النوع الأول: وهي الاستراتيجية بالمفهوم الكلاسيكي حسب تعريف كلاوزفتز ــ باعتبارها فن استخدام القوى المسلحة للأمة لإحراز الأهداف التي تحددها السياسة، وقد اطلقوا على هذا النوع من الاستراتيجية الاستراتيجية المباشرة.

ــ اما النوع الآخر فهو يعتبر الاستراتيجية دراسة لموقف من مواقف الصراع وتحديد الوسائل الكفيلة بحسم هذا الصراع لصالح طرف من الأطراف بالسعي لمنح هذا الطرف حرية اكبر في التصرف والعمل، ومن خلال استغلال مجموعة من الضغوط والعوامل السياسية والنفسية والإقتصادية والعسكرية المنسقة.

ــ ويرى الجنرال اندريه بوفر ان الاستراتيجية بوجه عام تمثل نوعاً من الصراع الجدلي بين القوى والإرادات التي ربما تلجأ للعنف لحسم الصراع(*).

ــ وفي الإستراتيجية غير المباشرة فان العنصر النفسي يلعب دوراً هاماً في قهر الخصم، والهدف واحد سواء في حالة الاستراتيجية المباشرة

* The art of the dialectic of forces, the dialectic of wills that use force to resolve a conflict (Introduction of strategy)

التي تعتمد اساساً على القوة ــ او غير المباشرة التي تعتمد على عدة وسائل منها القوة العسكرية يكون الهدف النهائي هو اضعاف تصميم الخصم على القتال وفرض الرضوخ والإستسلام عليه.

حرية الحركة والتصرف:

ان مفتاح فهم أي استراتيجية هو ما تتيحه لطرف من الأطراف من القدرة على حرية التصرف والتحرك، وبالمقابل مدى ما تحققه من تقييد وعزل وتجميد لحركة الخصم.

ــ ان عزل العدو سياسياً وحرمانه من تأييد حلفائه واصدقائه وتحييد الأطراف الذين يمكنهم دعم الخصم، هذا اذا تحقق، يجعل الخصم هدفاً سهلاً للضربة العسكرية، وفي حالة التفوق الواضح قد يغني التهديد بالقوة عن استخدامها استخداماً فعلياً.

وهكذا فان التحرك السياسي يعطي حرية اوسع للتصرف مع العدو ويمهد للتحرك العسكري ويحقق التكامل بين السياسة والقوة.

ــ ولا يغيب عن بالنا ان الاستراتيجية التي تلجأ (للجسم بالقوة) اي الاستراتيجية المباشرة، لا يتم الاحتكام اليها الا في حالة احراز تفوق مادي ساحق على الخصم..

وهي تستدعي تكثيف قوى مادية كبرى خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً للتغلب على الخصم..

ــ اما الاستراتيجية غير المباشرة فهي تلجأ للعمل بامكانيات قليلة على مدى فترة زمنية طويلة نسبياً، ولا يكون هدفها تركيع الخصم، بل قد يكون هدفها تغيير ميزان القوى لصالحها وعزل الخصم باللجوء لمجموعة من العمليات السياسية والعسكرية والدبلوماسية لخلق ظروف مؤاتية لصالحها وظروف غير ملائمة للخصم. ومعنى هذا ان الاستراتيجية غير المباشرة قد

تكون نوعاً من التمهيد — او مقدمة — للاستراتيجية المباشرة.. وبما ان كل ما يخدم الاستراتيجية يعتبر (TACTIC) تاكتيك — فان بعض النظريين يعتبرون ما يسمى استراتيجية غير مباشرة مجرد تاكتيكات خادمة للاستراتيجية او خاضعة لها، ولا يميلون لتقسيم الاستراتيجية الى مباشرة وغير مباشرة.

— ويرى الدكتور هنري كيسنجر ان ظهور الأسلحة الذرية والنووية ذات التدمير الشامل قد حد من حرية التصرف لدى الدول الكبيرة والصغيرة.. ولم يعد ممكناً الإحتكام للقوة وحدها لحل النزاعات، بل حتى الحروب الصغيرة يمكن ان تقود لمواجهة بين الدول الذرية، ولذا فان الاستراتيجية (المباشرة) بالمفهوم القديم قد تغيرت تماماً..

— وفي الماضي كانت زيادة القوة العسكرية لدولة من الدول تعني اتوماتيكياً زيادة نفوذها السياسي.. وتعطيها حرية اكبر في التصرف ازاء الدول الأضعف.. ولكن هذا غير وارد الآن.. فان امريكا مثلاً رغم قوتها الساحقة لا يمكنها ان تستخدم قوتها العسكرية بحرية ضد الدول المعادية لسياستها مثل ليبيا ونيكاراجوا وكوبا.

— وان التوازن بين الدول ذات الأسلحة النووية قد فرض نوعاً من الجمود على الموقف الدولي وجعل مجال المناورة محدوداً.. وفي الظروف الدولية الجديدة تصبح الاستراتيجية غير المباشرة، التي تستخدم مجموعة من التركيبات السياسية والعسكرية والإقتصادية والدعائية، هي الاستراتيجية الوحيدة الممكنة.

— والدول الكبرى تتخذ اساليب متعددة لكسب النفوذ وتغيير موازين القوى لصالحها فتقدم المعونات الإقتصادية والحربية للدول وتشجع قيام حكومات صديقة لها وتحاول التأثير بوسائل الدعاية والدبلوماسية، واخيراً ربما تلجأ لاستعراض القوة او تقوم بعمليات حربية محدودة.. وهذه كلها أدوات الاستراتيجية غير المباشرة..

— ويمكننا القول ان مفهوم القوة نفسه قد تغير.. فالقوة لم تعد تعني

القوة العسكرية فقط بل تعني مجموع قدرات الأمة وامكانياتها الصناعية والإقتصادية والعلمية والتكنولوجية والمعنوية وقدرتها على التأثير في قطاعات هامة من الرأي العام الدولي.

ـــ واذا كانت ظروف الوضع الدولي الراهن، الذي يتحقق فيه السلام عبر الخوف المتبادل من الفناء بالأسلحة الذرية، قد جعلت الاستراتيجية المباشرة متعذرة التحقيق.. فان هذه الظروف نفسها تسمح بالحروب المحدودة.. كما شهد العالم مؤخراً تطور اساليب حرب العصابات التي لجأت اليها حركات التحرير الوطني لدحر عدو متفوق عسكرياً..

ـــ وحروب التحرير الوطني هي نماذج للأستراتيجية غير المباشرة.. حيث يبرز الهدف السياسي، ويكون الغرض من العمليات الحربية ارهاق العدو واضعاف معنوياته ورفع معنويات الشعب والمقاتلين، وحرمان العدو من حرية الحركة وتحطيم ارادته القتالية، وبث الفرقة بين صفوفه، وهي استراتيجية النفس الطويل التي تعوض النقص المادي في صفوف الثوار بالقوة المعنوية والإحتمال، وفي حروب التحرير تخدم العمليات الحربية الأهداف النفسية والدعائية وتكون خاضعة للإعتبارات السياسية في المقام الأول.. وفي كل الصراعات التي اعتمدت فيها الدول الإستعمارية استراتيجية مباشرة في مواجهة الاستراتيجية غير المباشرة للقوات الثورية، فان الاستراتيجية غير المباشرة خرجت ظافرة..



الفصل الثاني

السياسة وموضوعاتها:

تتصل موضوعات السياسة بدراسة الدولة: أهدافها ومؤسساتها وعلاقاتها وعلاقات الدول ببعضها وتبحث في موضوع السلطة وركائزها.

وهناك عدة اساليب لتناول ودراسة الموضوعات السياسية منها الأسلوب التاريخي الذي يبحث احداث الماضي ليستخلص منها دروساً مفيدة للحاضر (وقد جاء هذا الأسلوب بنظرية الازدهار والاندثار في الحضارات التي تحدث عنها عبد الرحمن بن خلدون ثم توينبي في العصر الحديث).

وهناك دراسة مؤسسات الحكم واشكالها ومقارنتها ببعضها وهذه ايضاً لها فائدتها، ثم هناك دراسة الأفكار والنظريات السياسية وتطورها والحوار الذي جرى بينها. وهناك الدراسات الإقتصادية التي تلقي اضواءً على الأحداث وتشكل خلفية هامة لها. ومن الواضح ان دراسة السياسة تتصل بموضوعات عديدة لها ارتباط بمجالات الإقتصاد وعلم الإجتماع وعلم النفس والفلسفة والقانون.

وقد ادخلت مؤخراً الدراسات الإحصائية لمعرفة اتجاهات الرأي العام وقياس ميول القوى الإجتماعية المختلفة واتجاهاتها لأخذها في الإعتبار عند رسم سياسة معينة.

دراسة التاريخ:

تتصل السياسة بالتاريخ اتصالاً مباشراً لأن جذور الحاضر نجدها في احداث الماضي وهكذا لا بد من النظر للتاريخ باعتباره ينطوي على الدروس المستخلصة من حركة القوى الإجتماعية وتصادمها، والتاريخ قد يعطينا احداثاً متشابهة ولكنه لا يكرر نفسه، بمعنى انه لا يعود الى نفس النقطة التي بدأ منها في الماضي. ولذا فمن الضروري دراسة تاريخ الأقطار والنظريات والنظم السياسية والإجتماعية والإقتصادية لكي نجد معنى في دراسة التاريخ، فليس المطلوب هو تسجيل قائمة باحداث الماضي لبناء ضريح ضخم توارى فيه الحقائق المجردة او تدوين مغامرات عظماء الرجال او تاريخ البطولة كما اسماها كارليل، وفيه يعتبر البطل اساساً لفهم احداث عصره، ولكن دراسة البطولة وحدها لا تمدنا بالحقائق الكافية لتفسير وفهم الأحداث، فالبطولة لا تفسر لنا ظهور الإمبراطوريات واندثارها او نشأة الدولة القومية او الدعوة الاشتراكية، وقد كتب ارسطو في (السياسة) ان من ينظر الى اصول الأشياء ومراحل نموها الأولى، سواء كانت الدولة او غيرها، يمكنه ان يكون فكرة اوضح عنها، ويقول الأستاذ سد جويك « ما التاريخ الا دراسة للسياسة في عصر مضى كما ان السياسة ما هي الا التاريخ المعاصر ».

وكان هيجل يرى في التاريخ تحقق الفكرة المثالية عن الدولة خلال الحوار المتصل بين الفكرة ونقيضها.

المنطق الاغريقي:

بدأ البحث في موضوعات السياسة منذ زمن الإغريق القدامى، ففي القرن الخامس قبل الميلاد بلغت اثينا اوج ازدهارها كدولة تقوم على حكم القانون والعدالة والحرية ولكن ديمقراطية اثينا كانت للصفوة القليلة، وبينما كان افلاطون يقيم — على الورق — بناء جمهوريته الخيالية الفاضلة، وكان ارسطو يدعو للمساواة ازاء القانون والدستور، كانت الأقلية من شعب اثينا، من العبيد

والنساء، محرومة من الحقوق وخارج القوانين ترسف في اغلال الإسترقاق، وكان التفسير السائد للأحداث قبل الإغريق هو التفسير الأسطوري الذي يهتم بالبحث عن القوى الخفية وراء الأحداث، واعتبر بعض الكتاب في الغرب (مثل دليل بيرنز) تاريخ المثل السياسية من بداية ظهورها في اثينا بداية لتاريخ الحضارة.



سقراط

ــ سقراط ادخل السياسة في مجال العقل والمنطق والحوار. وافلاطون ــ تلميذ سقراط ــ جعل الإنسان محور النظرية السياسية وميز بين الخاص والعام وحاول توضيح حقوق وواجبات كل من الفرد والمجتمع، وبشر بالملك الفيلسوف او بالمستبد العادل، إما ارسطو فقد دعا لحكم القانون لتفادي وجود تراكم للثروة في جانب وتراكم للفقر في الجانب المقابل مما يطيح باستقرار المجتمع، وهو الذي اقترح الدراسات المقارنة بين الدساتير وتطبيق القوانين التي تلائم الظروف السائدة، وبذلك ربط بين الأشكال السياسية والظروف الإجتماعية. وبالرغم من غنى المساهمات الفكرية للأقطاب الاثينيين

في الحقل النظري فانهم عجزوا جميعاً عن رؤية حدود مجتمعهم وحتمية افوله بعد ان بزغ عصر الإمبراطوريات التي كان لا بد ان تقوم على انقاض تفتت الدويلات القديمة وآلهتها الكثيرة ومعتقداتها المتعددة فترتبط بعقيدة واحدة.

وجاء الزواقيون (STOICS) بزعامة (زينون الفينيقي القبرصي الأصل) فأكدوا وحدة البشر ووحدة العالم وسيادة حكم العقل ــ وصار أكبر داعية لهم الإمبراطور الروماني ماركوس اوريليوس. واعتبر الرومان ان النظام اهم من الحرية وان القانون هو العمود الفقري للحياة المتحضرة وهو اساساً يعني الاستقرار والرخاء للإمبراطورية وقاموا بفرض القانون الروماني على قبائل متباينة وشعوب مختلفة بحد السيف.

ــ لقد شعر الرومان ان الحرية المطلقة تؤدي للفوضى وعدم الاستقرار والمنازعات الداخلية التي سادت أثينا، وبالرغم من ان الرومان لم يكن عندهم فلسفة محددة للتاريخ الا انهم ادركوا ان الاستقرار والنظام اساسيان لاستمرار الحضارة.

فرضت روما النظام المستقر ووضعت حداً للتنافر بين القبائل اللاتينية ثم امتدت الطرق من روما صوب الخارج الى كل الأقاليم التي انضوت تحتها ولذا قيل (كل الطرق تؤدي إلى روما) هذه الطرق هيأت سبل المواصلات والتجارة ومدت سلطان الدولة ومكنت جيوشها من التحرك بسرعة نحو مناطق الاضطراب وحققت الطرق الترابط بين القبائل وحتى القرن السابع عشر استمرت اوربا تعتمد على الطرق الرومانية القديمة وخلقت روما وحدة سياسية وقسمت البلاد ادارياً وفرضت اللاتينية لغة رسمية للدولة واسست مستعمرات من المهاجرين المحاربين الذين احتفظوا بحقوقهم كمواطنين رومان، وكانت الحياة السياسية في المستعمرات نمطاً معاداً لما يجري في روما نفسها وان تركت العصبيات الإقليمية تتمتع باستقلال ذاتي ولكن الإمبراطورية الرومانية تحطمت عندما تحول النظام الروماني الى نوع من

الجمود القيصري الذي يرفض كل تجديد ويقاوم الأصالة واصبح الإستقرار مرادفاً للإستغلال والمنافسات التي ادت للحروب الداخلية وقسوة الرق جعلت الرقيق يحتقرون الموت.. ويتمردون.

لقد كان التزاوج او التلاقح بين الفكر اليوناني الكثير التأمل، والفكر الروماني العملي كبير الأثر في بناء الحضارة القديمة التي صارت فيما بعد اساساً للحضارة الأوربية.

ولكن الرق والنزعات العنصرية كانت تنخر في بناء هذه الحضارات.

سقوط الامبراطوريات:

كان الرق يعتبر بديلاً عن قتل الأعداء ثم صار الإغريق ينظرون للرقيق كمتاع او اداة (كما قال ارسطو) بل اعتبروا الرقيق اقل مستوى من السائمة (عاجزين عن فهم الشعر والفلسفة) والرومان اعتبروا غير الرومان (برابرة) واليهود اعتبروا انفسهم شعب الله المختار، ولكن الرواقية ـــ وبعدها المسيحية ـــ جاءت كرد فعل لهذه النزعات العنصرية واشادت (بالإنسان) مقابل (المواطن).

ولم يكن التفريق بين السياسة والعقيدة الدينية ممكناً في تلك العصور. وقد نادى الإسلام بالمساواة ورفع شعار الاخوة في الدين والجهاد في سبيل الله وانه لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى.. واستطاع الإسلام ان يكتسح بسهولة الإمبراطوريات القديمة التي مزقتها العصبيات والطوائف المتناحرة.

إن دروس التاريخ تبين لنا ان انهيار الإمبراطوريات يبدأ من داخلها بسبب الفوضى او الجمود وبسبب الحروب الأهلية والإنقسامات الداخلية والثورات وبسبب فقدان الأصالة والعجز عن التكيف مع الظروف المتغيرة، والضعف الداخلي يمهد عادة للإنهيار امام الضربات التي تأتي من الخارج.

العصور الوسطى:

بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ثم انهيارها تحركت القبائل من الشمال والشرق لاجتياح البلدان الأوربية، ويشهد التاريخ غزوات تعقبها مجاعات ثم بعدها يأتي وباء الطاعون ليقضي على الأخضر واليابس حتى يتوقع القوم ان نهاية العالم وشيكة.

ويصف الحال البابا جريجوري فيقول:

« المدائن اصبحت اطلالاً والحصون خرائب وخلا الريف من اهله وفقدت الأرض الزرع وصارت جرداء قفر.. لقد هوى العالم من علياء مجده تحت الضربات المتلاحقة التي تنذر بان الساعة آتية لا ريب فيها ».

حاول رجال الكنيسة ان يكونوا محور الوحدة السياسية فأثاروا النزاع بين السلطات البابوية والإمبراطورية وبين مؤسسات الدولة والمؤسسات الدينية في اوربا، كان هذا في الوقت الذي ازدهرت فيه الممالك الإسلامية في الشرق وفي شمال افريقيا والأندلس ودقت جيوشها ابواب اوربا، وبينما كانت القبائل المتباينة تستقر لتكون دويلات مستقلة في اوربا ووحدات اقليمية متنازعة دون ان تجد سلطاناً حقيقياً يحد من صراعاتها ضد بعضها، تحول الرق الى النظام الإقطاعي الذي يعتمد على احتكار النبلاء — سادة الأرض — لملكية الأرض وتسخير رقيق الأرض في زراعتها بينما انصرف النبلاء للحرب والصيد والفروسية وكثرت جيوش المرتزقة. وكان المطلوب من الحاكم الإقطاعي ان يوفر الضروريات والأمن لمن يعيشون في كنفه، وكان عليه أن يلزم كل واحد بمكانه في المجتمع فلا يتطلع لمقام غيره.

مفهوم الدولة:

ابسط تعريف للدولة انها مجموعة من الناس تعيش في اطار حدود جغرافية معينة وتلتزم بقانون واحد. ولكن ما يميز الدولة ويجعلها اشمل من الحكومة هو مفهوم السيادة، والسيادة هي سلطة الدولة العليا في داخل حدودها وهي

سلطة غير محدودة ويمكن تخويلها لمؤسسات او افراد حسب الدستور ولكن الدستور نفسه يكون خاضعاً لسيادة الدولة.sovereignity.

اما الحكومة فهي الجهاز الذي يقوم بالممارسة اليومية للسلطة المخولة له في اطار الدستور والقانون « واهم اعمالها الادارة وحفظ الأمن والدفاع عن الدولة وفرض وجمع الضرائب وسك العملة وتطبيق حكم القانون... الخ ».

الدولة = STATE

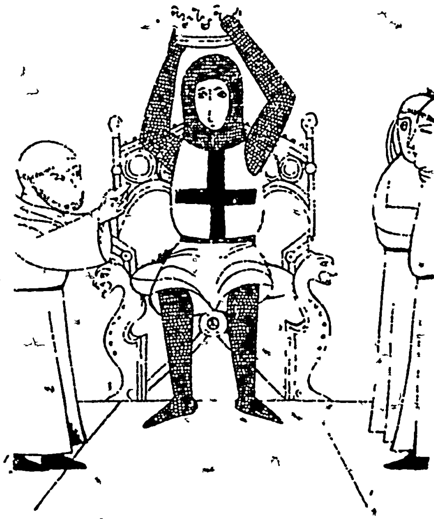
الحكومة = Government

ومفهوم الدولة مفهوم حديث نسبياً ظهر مع بداية تكوين الدولة القومية وفي المجتمعات البدائية نجد ان سلطان المجتمع موجود في النسيج الإجتماعي ولا ينفصل عن الطقوس والممارسات اليومية في المعتقدات والعادات والإحتفالات، ولا يوجد جهاز مستقل للادارة او الرقابة لأن سلطة المجموع موجودة بداخل كل فرد.

ومع تطور الإنتاج وتوزيع العمل ظهرت جماعات وافراد يتخصصون في اعمال معينة ولهم مصالحهم المتميزة، وكان لا بد من ظهور جهاز ينظم هذه العلاقات المتباينة ويعبر عن توازن القوى في المجتمع وعن علاقاته بالمجتمعات الأخرى؛ وقد عثر المنقبون على نماذج لاتفاقيات ومعاهدات ومجالس تحكيم عمرها اكثر من ستة آلاف سنة.

مفهوم الدولة ظهر عبر الصدام بين مجموعات البشر المنظمة وبداخل كل مجموعة على حدة، ولقد كان الحكم عبر التاريخ امتيازاً للقلة التي تحررت من الكدح اليدوي وارتبطت بالنشاط العقلي، وظلت الدولة شاملة للسلطتين الزمنية والروحية معاً، فالملك كان يستمد شرعية سلطانه من نظرية الحق الإلهي التي تقول إن الملك ظل الله في الأرض، وهو القائد في شئون الدين والدنيا، ولم يأت فصل الدين عن الدولة الا مع الثورة الفرنسية، وكان مونتيسكيو من فلاسفة عصر النهضة الذين وضعوا الموسوعة الفرنسية،

وقد طالب بالفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لإقامة حكومة مستقرة وصالحة، وقبل ذلك كان مفهوم السيادة مستمداً من حق الفتح والقوة او من الحق الإلهي للملوك ورجال الدين، وفي عصر النهضة رد الاعتبار لرأي ارسطو القائل بأن سلطة الدولة هي امتداد لسلطة الأسرة على بنيها وان هدفها خير المجموع.



تتويج الملك

وقد كان ميكافيللي هو اول مفكر سياسي يبين ان مجال السياسة، غير مجال الدين والأخلاق، وهو الذي رفع شعار الغاية تبرر الوسيلة في السياسة مما جعل اسمه يرتبط باستخدام وسائل غير اخلاقية في السياسة.

ـ ولكن مساهمة نيكولو ميكافيللي كانت في إعادة الفكر السياسي من سماء التفكير المجرد الى ارض الواقع حيث قال في كتابه الأمير (١٥٣٢ م): « إن القدماء ظلوا يتحاورون عن جمهوريات وامارات لم توجد قط في الواقع ولم يسمع بها انسان وهذا لا يفيد ولا يخدم غرضاً ».

ولا يغيب عن بالنا ان العالم القديم كان يتمثل في تجمعات بشرية

منعزلة الى حد كبير عن بعضها ولا تتفاعل كثيراً كما هو الحال الآن بعد تطور المواصلات ووسائل الإعلام التي ربطت العالم ربطاً وثيقاً.

الدولة القومية: [NATIONAL STATE]

نمت فكرة الدولة القومية نمواً بطيئاً خلال القرنين الخامس والسادس عشر في اوربا، وقد ادرك فلاسفة عصر النهضة التغير السياسي الكبير من حالة الانقسام القبلي الى التقدم نحو كيانات ثقافية وعنصرية ذات شخصية واضحة في بعض المناطق.

ساهم تطور العلوم والصناعة والكشوف الجغرافية في تكوين المدن وازدهارها وبلورة الطبقات الوسطى ونمو القدرات التنظيمية والإدارية، وجاءت الدولة القومية كضرورة ملحة لتلبية التطورات التي حدثت في الإقتصاد وفي المجتمع واكدت قوة الطبقة الوسطى ودورها الهام في النهضة وقد ولدت فكرة الدولة القومية وسط صراع شديد في محاولة تحويل الأمم الى دول ذات سيادة لها مطلق التصرف في شؤونها الداخلية والخارجية.

الأمة والدولة:

اتفق على تعريف الأمة بأنها جماعة من الناس ترتبط معاً بلغة وثقافة واحدة وارض مشتركة واقتصاد مشترك وتراث حضاري وشعور نفسي واحد واحساس بالمصير المشترك — وقد نجد دولة تحتوي بداخلها على عدة امم او قوميات مثل الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا، وقد نجد أمماً مقسمة الى دول مثل المانيا الديمقراطية والمانيا الغربية ومثل كوريا... او نجد قوميات موزعة على عدة دول مثل الأكراد.. فالدولة تعبير له مدلول سياسي وقانوني، والأمة تعبير له مدلول ثقافي وتاريخي اما الشعب فان مدلوله اجتماعي ويعبر غالباً عن العمال والمزارعين والمستخدمين والفئات الوسطى.

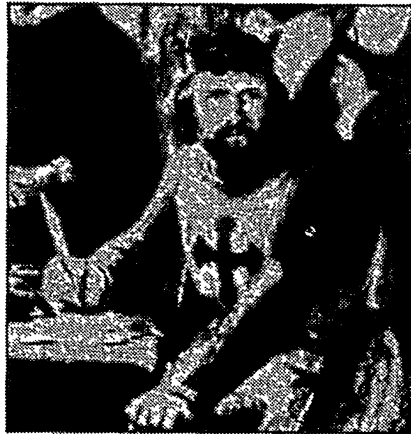
المذهب الليبرالي وتطور فكرة الدولة:

في القرنين السابع والثامن عشر ظهر في اوربا تيار فكري وسياسي واقتصادي يعطي الدولة مدلولاً سياسياً واجتماعياً جديداً وينقض نظريات الحق الإلهي او التفويض الإلهي المباشر والغير مباشر للحاكمين، وسمي بالمذهب الاجراري « الليبرالي ». (LIBERAL).

والأساس الفكري لهذا المذهب كان الدعوة للعقلانية وهي دعوة ازدهرت منذ عهد النهضة.. وتقول ان كل فرد من البشر لديه ملكة العقل والتمييز وهي تمكنه من اختيار ما يحقق مصلحته وانتخاب من يمثله في السلطة تمثيلاً صحيحاً.

وهكذا افترض المذهب الليبرالي التوافق بين العقل والطبيعة وبين منفعة الأفراد والمجتمع معارضاً بذلك فكرة المشيئة الإلهية التي تختار الحاكم وتمنحه القداسة وتجعله ظل الله في الأرض، وهي الفكرة التي منحت الحاكم سلطات مقدسة ومطلقة.

وقد دعت الليبرالية لحرية الفرد ولإطلاق العنان للحافز الشخصي ليجري وراء احراز السعادة الخاصة للأفراد، وافترضت ان هناك نظاماً طبيعياً مستقلاً عن ارادة الأفراد وان ارادة الأفراد الحرة تنسجم تلقائياً فيما بينها وليس



التوقيع على الماقنا كارتا (١٢١٥ م)

على الدولة ان تتدخل في الظواهر الطبيعية للحياة الإجتماعية بل كلما كان تدخل الدولة اقل، كلما كان ذلك افضل للمجتمع الحر. كما يرى الليبراليون انه لا بد من تحديد سلطة الدولة.

فالليبراليون جعلوا الدولة جهازاً سلبياً لحفظ التوازن بين القوى الإجتماعية يقف خارج المجتمع واعتبروا الحرية السياسية والإقتصادية جزءاً من الحريات الفردية (الشخصية) واعتبروا الملكية الخاصة حقاً مقدساً لا يمس.

وقد كان المذهب الليبرالي خطوة تاريخية متقدمة بالنسبة للحكم المطلق للملوك والأباطرة، وازدهر في بريطانيا التي بدأت فيها دائرة المشاركة في السلطة تتسع منذ ١٢١٥ م عندما اجبر النبلاء والكنيسة الملك على تحديد سلطاته في الميثاق الأعظم او (الماقنا كارتا)، ورفعوا شعار لا ضريبة بلا تمثيل، وفي بريطانيا ظهر معظم دعاة الليبرالية وفلاسفتها امثال جون لوك وجيرمي بنتام وادم سميث وجون ستوارت ميل وهربرت سبنسر. جون لوك: افترض وجود نظام طبيعي للأشياء يحفز الناس لقبول حكم العقل في حياتهم، ودعا ان تكون السلطة محايدة مهمتها تنظيم حرية الفرد حتى لا تجور على حريات الغير، ودعا لنظام نيابي يحتكم فيه لأصوات الناخبين ولرأي الأغلبية.

اما جون ستوارت ميل، وكان من ابرز الليبراليين في القرن التاسع عشر، فقد دعا في كتابه (في الحرية) ــ لحرية الرأي والفكر والعقيدة وضرورة حماية الأقليات وعدم اضطهادها، ورفض اي قيد على الحرية، واكد هربرت سبنسر (١٨٨٤) مبدأ حرية العمل والتجارة وان التوازن يحدث تلقائياً بين غيرية الناس وانانيتهم فتصلح الأحوال ويستقر نظام الحكم دون حاجة لوصاية الدولة. وفي ١٧٧٥ م نشر ادم سميث كتابه (ثروة الأمم) لفت فيه النظر لدور الإقتصاد في ازدهار الأمم وقوتها ونادى بحرية التجارة والتنافس الرأسمالي لفائدة المجموع. وقد اعتنق المهاجرون في امريكا المبدأ الليبرالي واستوحوا مبادئه عند صياغة وثيقة الاستقلال الامريكية. وفي فرنسا تبلورت نظرية العقد الاجتماعي على يد جان جاك روسو وهي نظرية تفترض ان

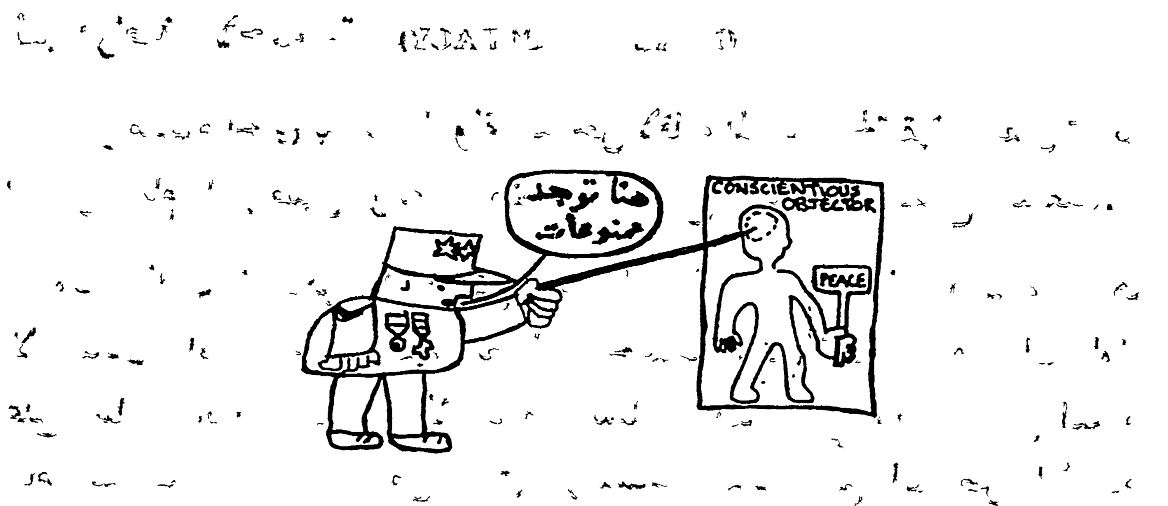
الفرد قد دخل في تعاقد طوعي مع الجماعة متنازلاً عن بعض حريته الطبيعية مقابل ضمان امنه وسلامته. وكان توماس هوبز قد اشار الى ان المواطن قد اشترى امنه بحريته وانه عندما يدفع الضرائب فهو يشتري الطمأنينة في ظل فعالية السلطة.

بل إن نظرية داروين حول تنازع البقاء وبقاء الاصلح من الحيوانات والكائنات انتقلت للفكر السياسي الليبرالي لتكون مبرراً للتنافس الرأسمالي الذي يقود لبقاء الأفضل بالإنتخاب الطبيعي.

وجدت هذه الأفكار الليبرالية عن الحقوق الطبيعية للفرد والحرية الفردية تعبيراً عنها في مواثيق الثورتين الامريكية والفرنسية فقد جاء في وثيقة الاستقلال الامريكية في ٤ يوليو ١٧٧٦ « من الحقائق الثابتة ان كل الرجال متساوون. يحوزون منذ ميلادهم حقوقاً لا يجوز سلبهم اياها مثل الحق في الحياة والحق في ان يكونوا احراراً متساوين إمام القانون ».

وجاء في الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان في ٢٦ اغسطس ١٧٨٩:

« يولد الأفراد ويظلون احراراً ومتساوين في الحقوق.. وان ممارسة كل فرد لحقوقه الطبيعية لا تحدها سوى القيود التي تكفل لسائر اعضاء الجماعة التمتع بهذه الحقوق في سعيهم للحصول على السعادة ».



الديمقراطية في المفهوم الليبرالي:

وفي الدساتير الليبرالية نصوص تقول ان الفرد يتمتع بحقوق طبيعية اخصها الحرية والمساواة يحوزها منذ مولده وان القانون يصون هذه الحقوق، ولكن مفهوم الديمقراطية الليبرالية الذي ربما كان في وقت ظهوره خطوة للأمام للحد من طغيان حكم الملوك والأباطرة ورجال الدين — يبدو لنا الآن شكلياً وفارغاً من المحتوى وقد تخطاه التاريخ الى مفهوم اكثر انسجاماً مع الواقع، فالديمقراطية الليبرالية تعترف للفرد بمساواة قانونية، ولكنها ليست حقيقية فالفرد المحروم من الثروة والتعليم والوعي لا يمكن ان يكون في وضع متكافئ مع الفرد المتمتع بالإمتيازات المادية والثقافية والفرد المعدم لا يمكن ان يمارس حريته (في الغدو والرواح.... وفي الرأي والعقيدة وعدم المساس باملاكه).

الديمقراطية الليبرالية قيدت سلطة الدولة لفائدة الطبقة التي تملك الثروة، والتنافس بين الطبقات المالكة سرعان ما ادى الى الإحتكار والتحكم في اصحاب الدخول المحدودة وفي العاملين وقد ادت هذه العيوب الى نشوء مفهوم جديد هو...

الديمقراطية الاجتماعية: (SOCIAL DEMOCRACY).

وهو مفهوم ايجابي يسمح للدولة بالتدخل لإقامة المساواة الحقيقية بتحقيق تكافؤ الفرص امام المواطنين وتنظيم وتوجيه الإنتاج لصالح مجموع الشعب.

وقد طالب المفكر الاشتراكي (هارولد لاسلكي) باعطاء الحرية بعدها الإقتصادي والإجتماعي بتحقيق العدالة الإجتماعية وانه لا يمكن اقامة المساواة على اساس قانوني فقط بل لا بد من مساهمة الدولة في اتاحة فرص التقدم امام المواطنين، ولا بد من خلق مؤسسات فعالة تتيح للمواطن الإسهام في الحياة العامة.

الدعوات الاشتراكية: (SOCIALISM)

الإشتراكية باعتبارها فكرة تدعو للمساواة وتحقيق العدالة والرخاء وازالة الفوارق بين البشر هي دعوة قديمة قدم الإنسان.. ولكن فكرة الدولة الإشتراكية هي فكرة حديثة نسبياً لأنها تعطي مفهوم الدولة ابعاداً اكبر من مجرد حفظ الأمن او القيام بدور الحكم بين القوى الإجتماعية، وتطلب منها التدخل لتنظيم الإنتاج والتوزيع واستخدام سلطة الدولة كاداة لاعادة تنظيم المجتمع وتقدمه.

كان هناك دعاة الإشتراكية الإنسانية وعلى رأسهم روبرت اوين (١٨٣٥) الذي حاول اقامة مصانع تعاونية وفشل، وكان هناك الإشتراكيون الإصلاحيون في بريطانيا امثال الكارتيين اصحاب ميثاق الإصلاح، والفابيون، وكلها حركات نشأت من تذمر العمال الذين شعروا انهم لم يجنوا فائدة تذكر من التقدم الصناعي.

وشهد عام ١٨٤٨ ثورات عنيفة في اوربا، ونشر كارل ماركس وزميله فردريك انجلز (البيان الشيوعي) مبشرين بالحرب الطبقية وداعيين لإقامة (دكتاتورية البروليتاريا) رافعين لواء الدعوة الأممية فوق القومية.

وفي ١٨٤٠ نشر (برودون) افكاره الفوضوية في فرنسا داعياً لإزالة كل انواع الحكومات باعتبارها اجهزة للقمع والغاء الملكية الخاصة لأنها سرقة على حد قوله، واسس باكونين جمعيات فوضوية شنت حملات ارهاب واغتيالات ضد الحاكمين في بعض العواصم الأوربية داعياً لهدم الدولة واقامة مجتمعات صغيرة محلية (كومونات) مكتفية بذاتها ولا تدين بالولاء لأي دولة. ولكن الدعوة الإشتراكية استطاعت تجاوز الإتجاهات المتطرفة التي لم تحقق شيئاً غير زيادة القمع والعنف ضد العمال، وازدهرت الأفكار الإشتراكية في بداية القرن العشرين مع ظهور ازمات الإنتاج والعطالة في الدول الرأسمالية وتوالي الحروب بين الدول الأوربية، ومع نمو الإتجاه الإستعماري والتنافس بين الدول الصناعية على مصادر المواد الخام واحتكار

ثروات المستعمرات وقهر شعوبها. وطرحت الإشتراكية باعتبارها طريق الخلاص من الأزمات والحروب والإستغلال.

واذا كانت الأفكار والمذاهب الإشتراكية قد تعددت اشكالها ومدارسها وانظمتها فان هناك ملامح مشتركة في اهداف ووسائل الدولة الإشتراكية واهمها فيما يلي:

١ ــ ملكية الدولة لوسائل الإنتاج الأساسية.
٢ــ استخدام سلطة الدولة لاحداث التحول الإجتماعي.
٣ ــ التخطيط الإقتصادي.
٤ ــ ثقريب او ازالة الفوارق بين الطبقات الإجتماعية.
٥ ــ الإعتماد على تنظيم الجماهير وتعبئة وتوحيد قوى الشعب.
٦ ــ العمل لرفع المستوى المادي والثقافي للجماهير.

هذه الخصائص الأساسية هي التي تحدد طبيعة الدولة الإشتراكية وجوهرها وتميزها عن غيرها من الأنظمة السياسية وقد تختلف الأنظمة الإشتراكية من بلد لآخر ولكنها تشترك في الملامح المذكورة آنفاً.

الخلاصة:

ــ الدولة ثمرة لتطور المجتمع وزوالها يعني زوال المجتمع لأنه يعني زوال الأمن والنظام وحكم القانون حيث تصبح الحرية بلا معنى.

فالحرية المطلقة تقود للفوضى المطلقة ولعدم المساواة كما يقول المفكر الفرنسي توكوفيل..

ولذا لا بد من اعطاء الحرية بعداً اقتصادياً واجتماعياً لأن عدم المساواة الإجتماعية يلغي الحرية، والحرية تكون بلا معنى إذا لم تدعمها العدالة الإجتماعية.

شهد القرن العشرين نمو وازدهار الدول القومية خاصة بعد تحرر المستعمرات وانحسار الإستعمار واتساع عضوية الأمم المتحدة. كما زادت مسؤوليات الدولة واتسعت واجباتها وصار تدخلها لتنظيم الإنتاج والخدمات والتخطيط للمستقبل والتعاون مع الدول الأخرى في عالم يعتمد فيه كل بلد على البلدان الأخرى هو امر ضروري.

وقد زادت قدرة الدولة على البناء وعلى الأفناء مع تطور التكنولوجيا الحديثة ولم تعد الدولة تستمد سيادتها من حق الهي او من فكرة مطلقة بل تستمدها من ارادة شعبها. كما ان الفكرة الإشتراكية منحت الدولة مضموناً اجتماعياً واقتصادياً ومسؤوليات ثورية لم تكون معروفة من قبل.

القومية: NATIONALISM

استخدم جو سيبي ماتزيني الزعيم والسياسي القومي الإيطالي هذا المصطلح للمرة الأولى ــ حوالي عام ١٨٣٥ ــ ومنذ ذلك الوقت تنبه المؤرخون والسياسيون لدلالته الهامة في الثقافة الغربية، فاحتل مفهوم « القومية » مكانة بارزة في الفكر السياسي، والتاريخي، والإجتماعي، والثقافي، ولكن تناقض دلالته، واختلاف الدور التاريخي والإجتماعي والفكري، للنزعة القومية، وللفكرة القومية نفسها، هو ما يثير الإهتمام غالباً. قال ماتزيني إن القومية هي انتماء جماعة بشرية واحدة لوطن واحد، شريطة ان يجمعها تاريخ مشترك ولغة واحدة في ارض هذا الوطن. واضاف العلماء الألمان وعلى رأسهم هردر في النصف الثاني من القرن الماضي، وحدة الثقافة ــ النابعة من وحدة اللغة ووحدة مصادر التأثر الروحي (النابعة من الدين ومن التراث الثقافي الواحد في اللغة الواحدة) ثم اضاف الماركسيون أسساً اخرى للقومية اهمها وحدة التكوين النفسي، ووحدة السوق الإقتصادية. ولكن الدارسين المحدثين مثل (كوهن وكامينكا وغيرهما) يكتفون عادة بوحدة اللغة التي تنبع منها وحدة الثقافة والتكوين النفسي، ثم التاريخ المشترك الذي يخلق الانتماء ــ أو الشعور به ــ لأرض واحدة ومؤسسات اجتماعية وقضايا

مشتركة. وفي خلال القرن التاسع عشر وحتى اوائل هذا القرن، ارتبطت النزعة القومية (سياسياً) بحركة التحرير والوحدة في البلدان الغربية التي كانت مقسمة مثل إيطاليا والمانيا وبولندا، ومثل شعوب ودول اوربا التي كانت خاضعة للاحتلال التركي؛ ولذلك فإن النزعة القومية ارتبطت في بدايتها بالنزعة الرومانتيكية في الأدب والفكر والفنون؛ التي كانت تمجد الحرية، والتخلص من قيود العصر القديم، وتمجد التراث الشعبي كأصدق تعبير عن التلقائية وعن روح الشعوب، كما ارتبطت النزعة القومية، في بدايتها ايضاً بالليبرالية السياسية والإقتصادية التي كانت تريد المساواة الدستورية بين كل الناس في كل الحقوق والواجبات. ولكن مع تطور المجتمعات الغربية ونضج الإستعمار ارتبطت القومية في الغرب بالمنافسات الشرسة بين الدول على القوة وعلى السيطرة وعلى الأسواق؛ بينما اصبحت النزعة القومية، منذ اوائل القرن العشرين دافعاً قوياً — او الدافع الأقوى — لحركات التحرير الوطني، وانبعاث الثقافات المحلية — القومية — للشعوب القديمة التي بدأت يقظتها الوطنية مع نهاية الحرب العالمية الأولى تقريباً، فكانت هذه النزعة وراء إحياء لغات هذه الشعوب وتجديدها، وعودتها للاهتمام بتراثها القديم الأدبي والفكري والفني والحضاري عموماً، ووراء الاهتمام بمعرفة تاريخها وانتماءاتها الأصلية.

الفصل الثالث

توازن القوى

معادلة القوة عند ماكيندر The geo-political pivot of history

نشر هالفورد ماكيندر الخطوط الأساسية في نظريته في عام ١٩٠٥، واضاف اليها ووسعها في عام ١٩١٩. وجوهر نظريته النظر للكرة الأرضية نظرة شاملة، ومحاولة استخراج دروس من احداث التاريخ تقوم على دراسة اثر الظروف الجغرافية في تشكيل الصراعات على نطاق العالم، اي هي محاولة تفسير التاريخ خلال الجغرافيا.

يعتبر ماكيندر العالم القديم قارة واحدة ضخمة ذات فصوص ثلاثة يتوسطها البحر المتوسط. وقد اسماها ماكيندر الجزيرة العالمية التي تضم معظم سكان العالم او بالأدق ٧: ٨ من مجموع البشر، ونظر ماكيندر الى هذه (الجزيرة) الضخمة فوجد ان لها قلباً او محور ارتكاز اسماه (الهارتلاند) ويمتد من حوض الفولجا غرباً الى سيبريا شرقاً وقلب ايران جنوباً. فهو مساحة ضخمة متصلة تبلغ ٢١ مليون ميل مربع وارضها في منطقة الاستبس تصلح للرعي وانهارها تصب في بحار داخلية او تنتهي للمحيط المتجمد الشمالي، فهي منطقة عسيرة على الغزو البحري، وهي منطقة فرسان ورعاة محاربين يتحركون بسرعة ويستطيعون الضرب في كل اتجاه ولديهم مقدرة على الدفاع في العمق، فهم يمثلون معقلاً لقوة البر في مواجهة قوى البحر.

يرى ماكيندر ان من هذه المنطقة خرجت موجات الفرسان والغزاة لاجتياح الأقاليم المجاورة ابتداء من الهون والافار والمغول والاتراك والتتار واصطدمت بالقوى الساحلية البحرية، حيث كانت الغزوات التاريخية تنطلق من قاعدة قارية فسيحة نحو السواحل والمدن المستقرة..

وكانت الوحدات الساحلية تمتاز بنمو مبكر وتطور سريع لانفتاحها على العالم والاتصال بغيرها وجمعها الثروات عن طريق التجارة والسيطرة على طريق الملاحة، ولكن القوة البرية للرعاة كانت تكثف قوتها وتزحف فجأة لاكتساح المناطق الساحلية المتحضرة المستقرة، اي ان قوى القلب كانت سرعان ما ترجح كفتها وتكتب لها الغلبة على القوى الهامشية. ويخرج ماكيندر بنتائج منها قوله بأن شرق اوربا هو مفتاح قلب الجزيرة العالمية، وان من يسيطر عليه يسيطر على العالم، ويعتقد ان الحرب العالمية الثانية مصداق لنظريته حيث كان الصراع بين قوى البر والبحر، او بين الدول القارية والدول الساحلية. ويرى ضرورة خلق قوى فاصلة في شرق اوربا مثل مجموعة دويلات تكون حاجزاً بين قوى البر وقوى البحر، كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى لحفظ التوازن بين الدول القارية والدول البحرية.. ويعتقد ماكيندر ان المساحة القارية او ما يسميه القلب او الهارتلاند تحوطها عادة منطقة مخلخلة يسميها الهلال الداخلي تكون تابعة للقلب ثم منطقة صدام يسميها الهلال الخارجي وهي الساحة التي تصطدم فيها قوى البر والبحر..

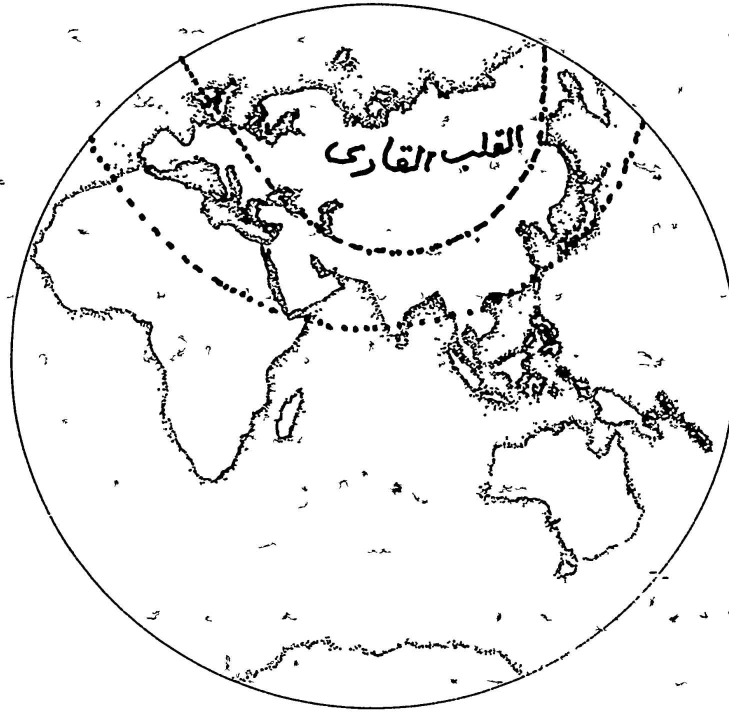
وقد احتضن الجنرال الألماني هاوسهوفر آراء ماكيندر واعتبرها ذروة العبقرية او كما قال — رائعة جيوبوليتيكية.

وسعى هاوسهوفر الى تأكيد اهمية تحالف المانيا وروسيا لخلق قوة برية ساحقة ضد دول الغرب البحرية وربما تأثر بآرائه بعض النازيين مما اسفر عن عقد معاهدة عدم الإعتداء بين المانيا النازية وروسيا السوفيتية عام ١٩٣٩.

ويتساهل ماكيندر في رسم حدود الهلال الداخلي والخارجي وان كان

يرى ان البلقان والشرق الأوسط هي مناطق صراع ومواجهة، وقد كانت كذلك على مدى التاريخ.. ويتجاهل امريكا او يعتبرها مجرد قوة منافسة برية مع انها لعبت في التاريخ الحديث دور القطب الرئيسي بينما تحولت القوى الغربية التقليدية في اوربا الى توابع لأمريكا.

ــ نظرية (ماكيندر) ربما تتضمن فكرة ذكية ونظرة شاملة في ثنايا التاريخ لمعرفة اثر الموقع الجغرافي والبيئة الطبيعية في حركات السكان، ولكن نظرية ماكيندر تغفل عوامل كثيرة تعتبر اساسية في قوة الأمم بجانب العامل الجغرافي، مثل تحقيق الوحدة الداخلية والتجانس بين عناصر الشعب ومثل الموارد وكثافة السكان والتطور الثقافي والتقدم التكنولوجي... وأذا كان السلاح البحري يمثل في الماضي قوة متحركة، فان نظرة الدول للسلاح البحري كانت باعتباره امتداداً للحرب البرية فكانت السفن الشراعية تقترب من بعضها ثم يقفز جنودها لمحاربة بعضهم كما يفعلون على اليابسة.. ولكن ظهور المدافع المحمولة على السفن جعل السلاح البحري قوة ضاربة متحركة،



نظرية ماكيندر

اما ظهور سلاح الطيران فقد جعل نظرية (ماكيندر) غير ذات موضوع، فالسهول القارية المنبسطة هي اهداف سهلة ومكشوفة للقوة الجوية وهي ليست ميزة للقوة البحرية بل هي مصدر للضعف، اما في عصر الصواريخ ذات الرؤوس الذرية، فان السيطرة على مساحة من الأرض لا تعني شيئاً، وربما تصبح هذه المساحة « رهينة » لدى العدو.. فالصواريخ يمكنها ان تصل لأي مكان على الأرض ويمكن اطلاقها من قواعد ثابتة او متحركة، فالتفوق المطلوب هو التفوق التكنولوجي، والتفوق في التدريب، والمعنويات والتماسك السياسي والمقدرة على التنظيم والأمن.. ومجال الصراع قد انتقل الآن من البر والبحر الى الفضاء المحيط بالأرض وما بعدها، فالسيطرة على منطقة واسعة لم يعد مصدراً للقوة الا بمعنى تكثيف موارد تلك الرقعة وامكانياتها البشرية والمادية خدمة للتطور التكنولوجي والعلمي. وماكيندر ينظر الى الإنسان وللمجتمع الإنساني نظرة « كمية » ولا يرى ان الإنسان هو العامل الحاسم في اي صراع بل يعطي الأهمية الحاسمة للوضع الجغرافي للبلاد. وربما لم يحدث هذا الا في المراحل الأولى لنشأة المجتمعات البشرية حيث كان للبيئة الجغرافية اثرها الحاسم في تشكيل البيئة الإجتماعية، ولكن تطور المجتمع جعل الإنسان يسيطر على بيئته ويتحكم فيها ولا يجعلها تتحكم فيه، فمناطق الاستبس التي عاش عليها الرعاة وخرج منها الفرسان الذين اجتاحوا العالم القديم.. صارت مناطق زراعية وصناعية مستقرة، ولكن في العالم القديم كان نمط الصراع بين الزراع والرعاة وبين سكان الجبل وسكان السهل وبين سكان مناطق الغابات وسكان مناطق الاستبس العشبية وبين هؤلاء وسكان المدن الساحلية.. وهو الصراع الذي يسمونه صراع الغابة والصحراء او الرمل والبحر.. او الجبل والسهل.. هذا النمط كان محلياً، وبعد نمو المجتمع وتطوره ونشوء الدولة كشكل سياسي، اتسع نطاقه وتعددت اشكاله، حيث استمر طرد البيئة الرعوية الفقيرة لسكانها في مواسم الجفاف وبعدها، وحيث ظلت مدن التجارة الغنية ومناطق الزراعة الخصبة نقاط جذب واغراء للقبائل الرعوية ذات البأس، ويمكن النظر لغارات الجحافل الآسيوية على مصر (الهكسوس) وهجمات القبائل الجرمانية والقبائل

الآسيوية على الإمبراطورية الرومانية وهجوم المغول والتتار على الإمبراطورية الإسلامية في هذا الضوء. وما زالت صراعات اليوم في اساسها تستهدف السيطرة على مصادر الوقود والخامات وتمثل تنافساً على المصالح ومناطق النفوذ بين الدول، ولم يعد العدوان نتيجة لنقص الأمطار في مواسم الجفاف والمحل كالزحف الصحراوي بل هو اليوم يتنكر في ازياء مذهبية وافكار ايديولوجية ولكن جوهره يظل الصراع على مناطق النفوذ، واساسه تناقض المصالح بين الجماعات البشرية، ويتولد العدوان الخارجي غالباً نتيجة ضغوط داخلية وازمات سياسية واقتصادية تجعل الحرب هي الطريق المفتوح لحل التناقضات الحادة في الداخل والخارج، وتبدو الوسيلة الوحيدة لحسم هذه المتناقضات.

فنظرية ماكيندر التي تحاول تفسير احداث التاريخ بعوامل وظروف جغرافية تتجاهل العوامل الأخرى الحاسمة في مجرى التطور الإنساني وهي العوامل الإجتماعية والإقتصادية والمذهبية. والعوامل الجغرافية تؤثر فعلاً على مجرى التطور ولكن ذلك يتم بطريق غير مباشر اي عن طريق تأثيرها على المجتمع والإقتصاد وطبيعة البشر، فهي قد تفسر مزاج شعب من الشعوب، ولكنها يصعب ان تقدم تفسيراً مقنعاً ومباشراً لأحداث سياسية عسكرية مثل الحربين العالميّتين الأولى والثانية.

توازن القوى والحروب العالمية

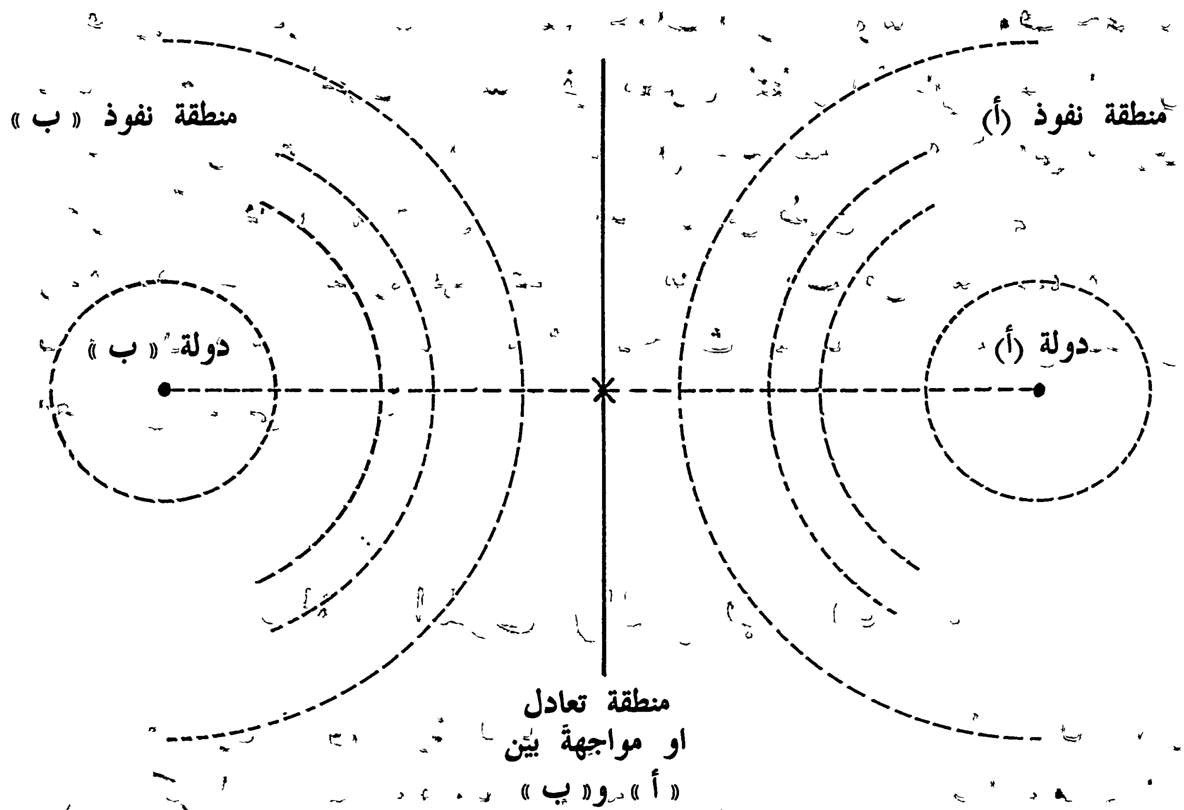
فكرة توازن القوى فكرة قديمة في التاريخ، وتذكر كتب التاريخ أن الوزير الهندي كوتيلا في مملكة موريان الهندية قد درس هذه الفكرة دراسة مستفيضة في القرن الرابع الميلادي وكتب بحثاً وافياً في هذا الموضوع.

وفي القرن السادس عشر انتشرت في أوربا نظرية توازن القوى واعتبرت جزءاً من القواعد الأساسية في السياسة.

تعريف توازن القوى:

توازن القوى في العلاقات الدولية هو وضع يسمح بالتوازن بين قوى الدول المتنافسة تكون محصلته صيانة السلام وذلك بضمان استمرار وضع لا يمكن دولة واحدة أو مجموعة من الدول من التفوق على الدولة أو الدول الأخرى.

تفترض نظرية توازن القوى أن الدول الأقوى نزوعاً للتوسع على حساب الدول الأضعف.. حتى يقابل نفوذها نفوذ دولة أخرى في مثل قوتها أو تكون أقوى منها، فيحصل توازن بين القوتين أو تتغلب أحداهما على الأخرى وتجعلها تدور في فلكها وداخل منطقة نفوذها.



وفي غياب نظام قانوني للعلاقات بين الدول يكون توازن القوى هو الشكل الوحيد للحد من توسع الدول الكبرى.

نظرية الفراغ:

من نظرية توازن القوى نشأت فكرة (الفراغ) ونظرية الفراغ تقول أن غياب نفوذ دولة قوية من منطقة معينة يؤدي لتنافس الدول الكبرى للسيطرة على المنطقة، وهذا يخلق توترات دولية وحروباً ويضيف أصحاب نظرية (الفراغ) أن السياسة مثل الطبيعة ـــ تأبى الفراغ، فكما تندفع الرياح الباردة لمناطق الهواء الحار المتمدد كذلك يندفع نفوذ الدول القوية نحو المناطق التي لا تخضع للقوى الكبرى، وهذا (الفراغ) يقود لتصادم الدول الكبرى وبالتالي للحروب..

وضحت هذه الفكرة في الشرق الأوسط بعد حرب ١٩٥٦ عندما فشل العدوان الثلاثي ضد مصر حيث نادى الرئيس الأمريكي السابق ايزنهاور بمشروع أمريكي لما أسماه « سد الفراغ » في الشرق الأوسط ويقصد الفراغ الناجم من اضمحلال نفوذ بريطانيا وفرنسا في المنطقة العربية، والمشروع كان يستهدف احلال النفوذ الأمريكي محل النفوذ البريطاني والفرنسي المتراجع والوقوف في وجه تغلغل النفوذ السوفيتي في المنطقة بعد انهيار الاحلاف الغربية وبعد صفقات الأسلحة التشيكية والروسية التي أبرمت مع مصر والعراق وتمويل السوفييت للسد العالي.. وترتب على مبدأ ايزنهاور تعاظم دور الأسطول الأمريكي السادس في البحر المتوسط وتدخله في لبنان عام ١٩٥٨.

نظرية توازن القوى في خدمة الدول الكبرى:

١ ـــ نظرية توازن القوى بهذا المعنى تلغي دور الدول الصغيرة، وتضعها تحت وصاية الدول الكبرى وتقسمها بين مناطق نفوذ الدول الكبيرة مما يخول للدول القوية التدخل في شؤون الدول الصغيرة.

٢ ـــ سياسة توازن القوى تجمد الأوضاع وترفض أي تغيير في بلدان العالم بل تحافظ على الوضع القائم حتى ولو كان ضد مصلحة الشعوب ومهما كان ظالماً أو استبدادياً وتزعم أن أي تعديل أو تغيير للأوضاع السائدة

يشكل تهديداً للسلام والأمن مما يعطي للدول أو الدولة الكبرى ذريعة للتدخل لتطويق أي محاولة للتغيير وقمعها وضرب الحركات الشعبية.

٣ ـــ نظرية توازن القوى نظرية استعمارية محافظة، وتحت ستار حفظ توازن القوى أمدت واشنطن اسرائيل بالأسلحة، وأمدت ايران أيضاً بالأسلحة بزعم حفظ التوازن بينها وبين العراق وتدخلت الدول العظمى في مصائر الشعوب، فتدخلت الولايات المتحدة في فيتنام وتدخل السوفيت في أفغانستان، وتم توزيع مناطق أفريقيا على الدول الإستعمارية الأوربية في القرن التاسع عشر.

٤ ـــ في أحيان قليلة كان توازن القوى مفيداً ـــ مثل الإتفاق على تحييد سويسرا بعد الحرب العالمية الأولى في مؤتمر فينا عام ١٩١٥، ومثل الإتفاق على تحييد النمسا بعد الحرب العالمية الثانية.

٥ ـــ تفترض فكرة توازن القوى بعد الحرب أن الدول تسعى (للتوازن) بين قوتها وقوة الدولة أو الدول المنافسة، ولكن الحقيقة أن كل دولة تسعى (للتفوق) على غيرها، ولهذا فالتوازن حالة عابرة لا بد أن تزول وتتغير موازين القوة لاعتبارات كثيرة وفي هذه الحالة لا بد من حدوث تغيير في السياسات التي اعتمدت على موازنات وأوضاع معينة، واختلال هذه الموازنات قد يؤدي لاصطدامات وحروب وثورات على الأوضاع القديمة.

توازن القوى والمتغيرات الدولية:

نظرية توازن القوى نظرية جامدة لأنها تفترض جمود وثبات الأوضاع السياسية والإقتصادية للدول ـــ بينما الدول تتمتع بقوة أو تفوق نسبي إزاء غيرها، والتاريخ يبين لنا نظرية صعود وأفول نجم الدول بمرور الزمن، الإمبراطوريات والدول تزدهر ثم تضعف وتتدهور بينما تنمو وتقوى دول أخرى، ولدينا نماذج قديمة وحديثة لذلك، أسبانيا، البرتغال، هولندا، المانيا، بريطانيا، فرنسا.. كلها كانت دولاً قوية لها مستعمرات وامبراطوريات ثم تدهور نفوذها وأصبحت دولاً متوسطة أو صغيرة وحلت محلها دول أخرى في مركز القوة.

المؤثرات السلبية:

تتأثر الدول بمتغيرات عديدة، منها ما يضعفها ومنها ما يقويها، أما المؤثرات السلبية فمنها:

ــ الصراعات الداخلية بين عناصر السكان (طوائف ــ قوميات ــ طبقات.. الخ).

ــ التحولات الإقتصادية ــ مثل تحول طرق التجارة أو الأساليب الصناعية.. والديون الخارجية..

ــ الأخطاء في السياسة وفي القيادة وفي تحديد الاستراتيجية القومية للدولة، مثل التورط في حرب طويلة تستنزف موارد البلاد أو الدخول في تحالفات تعرض البلاد لمخاطر وتهديدات لا قبل لها بمقاومتها.

المؤثرات الإيجابية:

هناك عوامل تقوي الدولة وقد ترجح كفتها في مقابل الدول الأخرى.. ومنها ما يلي:

ــ ظهور فكرة أو دعوة توحد عناصر الدولة وتحشد قواها: (الفكرة الدينية، القومية، الإشتراكية...)

ــ اكتشاف خامات هامة (بترول ــ فحم ــ ذهب ــ يورانيوم... الخ) تكون مصدراً للثروة وتساعد في تطور البلاد.

ــ التكنولوجيا والتقدم العلمي والصناعي والتوصل لأسلحة جديدة.

ــ الدخول في تحالف مع دول أخرى ذات امكانيات أكبر وسياسات متشابهة مثل تحالف الدول الأوربية الغربية.

والتحالفات يمكن أن تكون مصدر قوة كما يمكن أن تكون مصدر ضعف.. فالتحالف بين دولة ذرية ودولة لا تملك السلاح الذري قد يقدم الحماية للدولة غير الذرية وقد يعرض الدولة التي لا تملك أسلحة ذرية للإبادة الشاملة بالقصف في حالة نشوب حرب نووية.

متى يكون توازن القوى فعالاً في حفظ السلام؟

توازن القوى لا يكون فعالاً الا بين قوى متقاربة لا تستطيع أحداها احراز تفوق حاسم على غيرها، وهذا يصلح على مدى قريب وليس على المدى البعيد.

في تجربة الحربين العالميتين الأولى (١٩١٤ ـــ ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩ ـــ ١٩٤٥) ساهمت نظرية توازن القوى في تكتل الدول في معسكرين متقابلين ومواجهتها لبعضها والتسابق لحيازة وتطوير الأسلحة ثم للحرب العالمية الأولى والثانية..

ـــ هناك حقائق جغرافية ـــ سياسية تبدو ثابتة رغم تغير النظم والدول، مثلاً في أوربا هناك اتجاه لظهور قطبين متنافسين في الشرق والغرب، فالتحول الذي غير روسيا من قيصرية لشيوعية لم يغير علاقات التنافس بينها وبين غرب أوربا.

ـــ التنافس بين اليابان وأمريكا والقوى الأوربية لم يتغير رغم محالفة اليابان للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وما زالت المنافسة حادة بين اليابان والدول الصناعية الغربية على الصعيد التجاري.

ـــ منذ العهود القديمة كانت هناك منافسة بين المصريين واليهود منذ عهد موسى وفرعون وكان هناك تنافس على قيادة شعوب المنطقة بين ثلاثة مراكز في مصر والشام والعراق.

ـــ منذ عهود بعيدة كانت هناك مواجهات بين ممالك أثيوبيا والسودان في أفريقيا.

باختصار: هناك مناطق مهيأة لظهور تمركز حضاري، وهذه المراكز لا بد أن تدخل في علاقات تنافس فيما بينها بغض النظر عن أشكالها ومحتواها.

أساليب التأثير في توازن القوى:

اذا كان هالفورد ماكيندر قد شدد على أهمية السيطرة على قاعدة برية

فسيحة في قلب العالم القديم لحيازة القوة. فقد دعا (ألفرد ماهان) (MAHAN) الأمريكي الى السيطرة على طرق الملاحة البحرية وصولاً للتفوق، وفي عام ١٩٢١ نشر الجنرال الإيطالي جوليو دوهي (DOUHET) كتاباً أكد فيه أهمية السيطرة على الجو ولفت النظر لأهمية الطيران كسلاح استراتيجي، وفي عصرنا نجد أن مهندسي حرب النجوم من مستشاري الرئيس الأمريكي ريجان يدعون لفكرة أخرى هي أهمية السيطرة على الفضاء الخارجي كشرط للسيطرة على الكرة الأرضية، الفضاء أصبح اليوم أهم من القلب القاري والمضايق البحرية وقواعد الطيران في التحدث مع الخصم من مركز القوة.

غير أن الدول في عصر الأسلحة النووية لا يمكنها المجازفة بحرب ليس فيها غالب أو مغلوب لتغيير موازين القوة لأنها ستجلب الدمار الشامل ولهذا تلجأ للأساليب غير المباشرة لتعديل الموازين لصالحها ومن هذه الأساليب:

- الحرب النفسية والدعائية.
- تشجيع أعمال التمرد والغصيان والإرهاب لدى الخصم.
- الحصار الإقتصادي والضغوط المالية والحرب التجارية.
- أعمال التخريب والتجسس.
- ولكن هذه الأساليب تكون فعالة غالباً عندما تمارسها دولة أقوى نسبياً ضد خصم أضعف (كما تفعل الولايات المتحدة في أمريكا الوسطى) ويمكن مواجهة هذا النوع من الضغوط بتقوية الجبهة الداخلية والإعتماد على دعم الشعب للصمود وتعزيز الأمن وتوسيع العلاقات الخارجية وتجنب العزلة السياسية.

أما عندما تواجه دولة قوية خصماً قوياً يكون نداً لها، فان تعديل موازين القوى قد يكون بالتركيز على تطوير جانب معين من جوانب التسليح (مثل السلاح الجوي، أو الصاروخي أو الغواصات الذرية أو المدرعات..)

والعمل على إحراز التفوق من خلال تطوير نظم التعبئة وكفاءة الأداء، كما فعلت اسرائيل خلال حروبها مع الدول العربية.

وقد يغري الإحساس بالتفوق لمحاولة تعديل ميزان القوى بالقيام بضربة مفاجئة ضد الخصم كما فعلت اليابان عندما أغارت على بيرل هاربر في ١٩٤١ وما فعلته اسرائيل في ضرب المطارات المصرية في يونيو ١٩٦٧.

توازن القوى في داخل الدولة الواحدة:

في العصر الإقطاعي كانت السلطة المركزية تقوم على الموازنة بين نفوذ الأمراء المحليين والطوائف المختلفة، في ظل الديمقراطية اللبرالية تتم الموازنة بتحالفات بين الأحزاب وتقوم الدولة على أساس الموازنة بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية. دخول الجماهير الى معترك العمل السياسي وتنظيمها في نقابات وروابط وهيئات قلب موازين القوى التقليدية وجعل التوجه لكسب الرأي العام ضرورياً وصار التأثير في معنويات الشعوب عاملاً مهماً في احداث التحولات السياسية وتغيير موازين القوى فحدوث ثورة أو انتفاضة شعبية يغير موازين القوى.

امثلة:

(ثورات ١٨٤٨ في أوربا هزت الدول الملكية وأجبرتها على التحالف، ثورة ١٩١٧ في روسيا أدت لخروجها من الحرب ضد ألمانيا، ثورة العراق (تموز) يوليو ١٩٥٨ أخرجتها من حلف بغداد، معارضة الرأي العام الأمريكي لحرب فيتنام أدت لانسحاب القوات الأمريكية عام ١٩٧٢).

الفصل الرابع

دروس من الحرب العالمية الأولى
(١٩١٤ — ١٩١٨)

تعتبر الحرب العالمية الأولى مثالاً جيداً لفشل توازن القوى وكيف يمكن ان يؤدي في النهاية لسباق التسلح ثم للحرب الشاملة.

فقد اندلعت شرارة الحرب العالمية الأولى من حادث اغتيال ولي عهد النمسا الأرشيدوق فرديناند في سيراجيفو في البوسنة (وهي الآن من مناطق يوغسلافيا)، وسرعان ما امتدت نيران الحرب الى كل دول اوربا والى المناطق البعيدة في آسيا وافريقيا. واشتبكت في معاركها جيوش نظامية تزيد عن عشرين مليوناً ومن ورائها احتياطات اكبر.

ولا يمكن ان يؤدي حادث فردي مهما كان الى هذه النتائج لولا وجود مناخ للتوتر ولولا الجذور العميقة للمواجهة بين الدول الكبرى في ذلك الحين. فبعد قرن من السلم النسبي في اوربا (١٨١٥ — ١٩١٤) نشأ وضع متأزم انقسمت فيه اوربا الى معسكرين متجابهين كل منهما متحفز للقتال.

ان اسباب الخلاف بين الدول الأوربية كانت متعددة فقد كانت هذه

الدول تمر بمرحلة تصنيع سريع وتنافس حاد على المستعمرات ومصادر الخامات. كما كانت مناطق كثيرة في اوربا تمر بمرحلة تكوين الدولة القومية وكان قمع القوميات وضم اراضي الشعوب الأخرى بالقوة والتنافس بين الدول القومية من اهم مصادر التوتر والنزاع في اوربا.

وكانت بروسيا من اكثر المناطق الالمانية تخلفاً ولكنها استطاعت ان تحقق درجة عالية من الوحدة والإنضباط بين السكان وربت شعبها على الروح العسكرية وكونت جيشاً قوياً، وفي عهد بسمارك تزعم ملك بروسيا الوحدة الالمانية، وعندما تأسست الإمبراطورية الجرمانية ١٨٧١، بعد هزيمة فرنسا، ظلت مجموعة قوية تطالب بأن تضم الإمبراطورية كل المناطق الناطقة بالالمانية، وكان الإمبراطور ويليام الثاني يطمع في تحقيق ذلك بالقوة بعد انتصار المانيا على فرنسا واحتفاظها بمقاطعتي الالزاس واللورين. وقد سمم استيلاء المانيا على المقاطعتين جو العلاقات الأوربية، ورفعت فرنسا شعار ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة.

اما الإمبراطورية النمساوية المجرية فقد ضمت احدي عشرة مجموعة قومية منها ٩ مجموعات مقهورة تماماً، وفي البلقان كانت الصورة مشوشة ومضطربة حيث كثرت الثورات والإصطدامات بين المصالح القومية المحلية والإمبراطورية وكان التنافس بين روسيا والنمسا وتركيا العثمانية شديداً.

اما الإمبراطورية الروسية فقد ضمت ايضاً شعوباً مغلوبة على امرها منها شعوب بولندا وفنلندا. وكانت بولندا قد قسيمت بين روسيا وبروسيا والنمسا ولكن اخذ اراضي الغير عنوة وقهر الشعوب بالقوة لا يحقق الاستقرار ولا بد ان يؤدي للحرب. اما اسباب الخلاف بين الدول الأوربية حول توزيع الاسلاب والمستعمرات خارج اوربا فكانت متعددة.

كان هناك الخلاف بين روسيا وبريطانيا حول الشرق الأوسط وحول ايران.

— وبين فرنسا وايطاليا حول تونس.

— وبين فرنسا والمانيا حول مراكش.

— وبين فرنسا وايطاليا حول مصر.
— وبين بريطانيا والمانيا وفرنسا وروسيا حول خط السكة حديد من اسطنبول الى بغداد والذي سمي سكة حديد الشرق.
— وبين بريطانيا والمانيا وفرنسا وايطاليا حول المستعمرات في أفريقيا.

وقيل ان من اسباب اندلاع الحرب بين الدول الأوربية ان الدول ذات الإمتداد البري في وسط اوربا وجدت الموارد الأوربية غير كافية لصناعتها واشتبكت مع الدول البحرية التي تحصل على المواد الخام من وراء البحار.

وقد دخلت المانيا مجال الإستعمار متأخرة وشعرت ان الدول الأوربية قد حصلت قبلها على مواقع افضل ومستعمرات اغنى وطالبت صراحة بمجال حيوي — LEBENSRAUM ومكان تحت الشمس وبدأت تبني اسطولاً بحرياً قوياً ينافس الأسطول البريطاني، وكان بسمارك قد وضع سياسة (الحلف الثلاثي) — TRIPLE ALLIANCE بين المانيا والنمسا والمجر وإيطاليا (انسحبت فيما بعد) منذ ١٨٨٢ وهو حلف ذو صفة طويلة الأمد وليس علاقة عابرة، وكان هذا هو التطور الجديد في العلاقات بين الدول، وكان القصد من الحلف الثلاثي تجميد اوضاع معينة والمحافظة عليها ولكن تكتل مجموعة الحلف الثلاثي ادى الى ظهور تكتل مضاد ومنافس لها والى سباق التسلح وتحول الحلف الثلاثي من اداة لتجميد الأوضاع الى اداة لضرب الخصوم بعد ان ترك بسمارك منصبه (في ١٨٩٠) بزمن طويل.

وكانت المانيا قد طبقت نظام التجنيد الإجباري منذ ١٨٧٠ واستطاعت تكوين جيش مستعد للقتال لديه احتياطي مدرب، وسرعان ما طبقت فرنسا ايضاً التجنيد الإجباري، وكان عدد السكان في اوربا قد زاد منذ مؤتمر فيينا (١٨١٥) ثلاثة اضعاف تقريباً وبذلك امكن حشد قوات كبيرة كما ان التصنيع ضمن للجيوش امدادها وعتادها. والتجنيد الإجباري جعل الحرب مجهوداً قومياً يشمل كل نواحي النشاط في البلاد ويتصل مباشرة بالإنتاج لتزويد الجيوش الجرارة بحاجتها.

والجدير بالذكر انه بالرغم من نشوب خلافات وازمات بين الدول الأوربية

حول المستعمرات فان هذا لم يسبب اندلاع الحرب بينها، بل انه في بداية عام ١٩١٤ بدا كأن الدول الاوربية في سبيلها لحل خلافاتها سلمياً، ففي ١٩٠٤ تم الإتفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا حول توزيع مناطق النفوذ بينهما، وفي ١٩٠٧ جرى الإتفاق بين روسيا وبريطانيا حول اقتسام النفوذ في ايران وفي مناطق الإمبراطورية العثمانية، واتفقت الدول الأوربية حول مستعمراتها في افريقيا. وكانت القوى المعارضة للحرب داخل الدول الأوربية تؤمن ان الحرب ليست وسيلة لحل النزاعات لأنها تلحق ضرراً كبيراً حتى بالدول التي تنتصر فيها، وكان اللبراليون والإشتراكيون يعارضون الحرب ومعهم قطاع من اصحاب الأعمال. وقد ترددت بريطانيا كثيراً في التورط في الحرب وحاولت القيام بتسويات ومساومات ولكن سياسة الاحلاف والمواجهة بين الحلف الثلاثي والتعاهد الثلاثي (TRIPLE ENTENTE) جعل الإلتزام بدخول الحرب بمجرد اندلاعها عملاً شبه آلي.. وهكذا شملت الحرب المانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا من جهة.. وفرنسا وروسيا وبريطانيا وايطاليا والصرب واليونان ورومانيا والبرتغال وبلجيكا وامارة مونتنقرو وامريكا واليابان من جهة اخرى.

بينما كان الإعتقاد السائد في اوربا منذ مطلع القرن العشرين ان الدول الأوربية (اعقل) واكثر تحضراً من إن تشتبك في نزاع مسلح على نطاق واسع لأي سبب كان.. ولكن الحرب بدأت بسبب حادث اغتيال سيراجيفو وراح ضحيتها ١٧ مليون مقاتل من الطرفين، بالإضافة الى ١٣ مليوناً من المدنيين، غير الخسائر المادية الفادحة.. ولم تنحصر نيران الحرب في اوربا بل امتدت الى مناطق افريقيا وآسيا.

- **الأسباب المباشرة للحرب العالمية الأولى:**

الظروف التي ادت للحرب هي ظروف تبدو الآن مألوفة لنا وهي مشكلة « شعب صغير » يمر بفترة يقظة قومية ويسعى للتحرر من سطوة دولة كبرى،

وتحاول الدولة الكبرى قمع النظام الوطني في البلد الصغير فتصطدم بمصالح دولة كبرى اخرى.

رأينا هذا يحدث بين امريكا وفيتنام وبين امريكا وكوبا وبين مصر والدول الغربية عقب تأميم قناة السويس وحدثت المواجهة بين الدول الكبرى ولكن لم تنشب حرب عالمية ثالثة بسبب الرادع الذري.

ولكن في الحربين العالميتين الأولى والثانية ضمن نظام الاحلاف توسيع نطاق النزاع ونشر نيران الحرب على اوسع نطاق.

والمشكلة في الحرب الأولى كانت مشكلة الصرب (وهي جزء صغير من يوغوسلافيا الآن وكان عدد سكانها خمسة ملايين نسمة) فقد كانت الصرب تمر بمرحلة انبعاث قومي وتولت السلطة فيها طبقة حاكمة ذات طموح قومي حاولت التحرر من وصاية الإمبراطورية النمساوية الهنغارية التي يحتكر السلطة فيها حلف من النمساويين والماجيار، ورفضت الصرب المعاهدات التجارية المجحفة التي حاولوا فرضها عليها كما سعت الصرب لتوحيد العناصر اليوغسلافية (فيما صار فيما بعد الإتحاد اليوغسلافي) وكانت روسيا قد وعدت الصرب بالدعم في حالة تعرضهم للغزو من جانب النمسا وهو امر بات متوقعاً بعد ان الفت الحكومة الوطنية بزعامة (بيتر كاراجيور جيوفتش) الذي حكم الصرب ابتداء من ١٩٠٤ والغى المعاهدات غير المتكافئة مع فيينا وبودابست وتحالف مع روسيا لحمايته..

وفي ١٩٠٨ احتلت النمسا منطقتي البوسنة والهرسك، وهي مناطق كانت تابعة اسمياً للإمبراطورية العثمانية وتعتبرها الصرب امتداداً لها. وعندما تحركت روسيا للتدخل انذرتها المانيا بأنها سوف تتدخل بجانب النمسا تطبيقاً للحلف الثلاثي فتراجعت روسيا على مضض، واعتقد الوطنيون في الصرب ان الأرشيدوق فرانسيس فرديناند ولي عهد النمسا وراء اجتياح البوسنة والهرسك ويقال ان الأرشيدوق كان يؤيد اعطاء الحكم الذاتي للعناصر اليوغسلافية والإستعانة بها للتخلص من المجريين الذين يشتركون في السلطة مع النمساويين

ولكن الذي حدث ان الأرشيدوق صار اول ضحية لقمع الوطنيين اليوغسلاف. وبعد احداث ١٩٠٨ نشأت في الصرب حركة فدائية لمحاربة نفوذ النمسا والمجر، وكانت الحركة ذات جناحين جناح سياسي علني اسمه (حركة الدفاع عن الوطن) او — ناردونا اود برانا..

وجناح للمقاومة السرية اسمه — شيرنا روكا — او اليد السوداء والى هذا الجناح ينتمي جرافيلو برنسيب وزملاؤه الذين دبروا اغتيال الأرشيدوق فرديناند في سيراجيفو، فقد جاؤوا من البوسنة وحصلوا على السلاح في بلغراد وقتلوا ولي العهد وزوجته في سيراجيفو في ٢٨ يونيو ١٩١٤ وسارت الأحداث بعد ذلك في طريق محتوم.

في ٢٨ يوليو ١٩١٤ اعلنت (النمسا — المجر) الحرب ضد الصرب وتدخلت روسيا بجانب الصرب فتدخلت إلمانيا بجانب النمسا والمجر. وتدخلت فرنسا وبريطانيا وايطاليا وروسيا ضد النمسا وانتشرت نيران الحرب في كل اوربا وامتدت لمناطق العالم —.وفي ابريل ١٩١٧ دخلت امريكا الحرب بجانب بريطانيا وفرنسا بسبب اغراق الغواصات الألمانية للسفن الأمريكية التي تمون الحلفاء، أما اليابان فقد دخلت الحرب ضد المانيا وانتهزت الفرصة للإستيلاء على مستعمرات المانيا في الشرق الأقصى. وفي الحقيقة ان امريكا لم تدخل الحرب الا بعد اكتشافها ان المانيا تحاول تكوين محور من المكسيك واليابان ضدها، وكانت امريكا تقول انها تمثل مصالح الدول المحايدة في الإبتعاد عن القتال، وطلبت من بريطانيا وفرنسا وقف تسليح سفنها التجارية ولكن الغواصات الألمانية واصلت قطع الطرق البحرية بين امريكا وغرب اوربا.. وقال ويلسون ان بلاده تخوض الحرب « لجعل العالم مكاناً آمناً لتطبيق الديمقراطية ».

الخطط القديمة والأسلحة الجديدة:

سبق الحرب إعلان رسمي ولم تكن مفاجئة بل كان كل طرف يعرف لحد ما خطط الطرف الآخر التي ظلت تطبق دون تعديلات جوهرية، فمنذ

عام ١٩٠٥ كان الكونت الجنرال الفريد فون شليفين (وهو من تلامذة كلاوزفتز) قد وضع خطة لقهر فرنسا ثم التحول لضرب روسيا، وهي خطة كررتها المانيا في الحربين العالميتين الأولى والثانية وتفترض صعوبة عملية التعبئة في روسيا.

توقع الالمان ان الفرنسيين سوف يهجمون لاسترداد مقاطعتي الالزاس واللورين، ورسم فون شليفين خطته على اساس القيام بهجوم عبر بلجيكا يتحول لحركة تطويق ضخمة والتفاف حول مؤخرة الجيوش الفرنسية وتهديد العاصمة باريس بالحصار. واوصى فون شليفين بتقوية ميمنة الجيش الألماني حتى تكون نسبة تفوق القوات الألمانية الى الفرنسيين (٧ — ١) وقيل ان فون شليفين توفي وهو يقول (دعموا الميمنة! دعموا الميمنة!).

ولكن في حرب ١٩١٤ كان للفرنسيين ١٠٧ فرق نظامية وللألمان ٩٤ فرقة، وأدخل الجنرال هلموت فون مولتكه (الذي خلف شليفين منذ ١٩٠٥) بعض التعديلات على الخطة الأصلية واضعاً في اعتباره ما يلي:

أ — حماية مراكز الصناعة الألمانية في السار وأراضي الراين.

ب — الإحتياط ازاء استرداد روسيا لقوتها بعد يقظتها من صدمة الهزيمة في الحرب ضد اليابان عام ١٩٠٥.

جـ — تدريب الجيش الألماني على الحرب الدفاعية ودعم المدفعية الثقيلة (مدافع هاوتزر عيار ٤٢ سم محمولة على قطارات استخدمت في تدمير قلاع لييج في بلجيكا).

اهتم الألمان بوحدات الإمدادات والأعمال الإدارية وكونوا فرقاً خاصة للمهام غير القتالية من الرجال غير الصالحين للخدمة العسكرية سميت (فرق الدعم) — ERSATZ وهذا رفع الكفاءة القتالية للجيش الألماني، فقد كانت مشاكل الإدارة والتموين كبيرة.

اما خطط الفرنسيين فكانت تتبع شعار المارشال فوش الهجوم ثم الهجوم OFFENSIVE À L'OUTRANCE واعتمدوا على التمهيد للهجوم بمدافع ميدان

عيار ٧٥ سم مع تهديف جيد ولكن في حرب الخنادق والحرب الدفاعية كان موقف الألمان افضل وكانت الجبهة الغربية قد تحولت الى هذا النوع من المواجهة منذ ١٩١٦ بعد معارك الاردين وفردون.

حرب الخنادق اعتمدت على الرشاش والسلك الشائك واللغم والتحصينات الثابتة العميقة وقد اكدت فعاليتها في صد هجمات المشاة.

الأسلحة الجديدة كانت الدبابة والطائرة والغواصة والغاز السام، الطائرة لم تزل اداة استطلاع ونقل ولم تصبح في الحرب الأولى سلاحاً هجومياً فعالاً، والغاز السام كان محدود الأثر لأن العلماء وجدوا وقاية منه كما ان اتجاه الريح يحمله احياناً لمواقع الذين اطلقوه.

الغواصة تحولت لسلاح رهيب ضد السفن عانت منها بريطانيا اكثر من غيرها.

اما الدبابة فقد بادر الجيش البريطاني بتطويرها واستخدمها الجنرال هايج في اقتحام خطوط الألمان في جبهة طولها عشرة اميال قرب نهر السوم في سبتمبر ١٩١٦ واستطاعت الدبابة كسر الجمود الذي ساد الجبهة الغربية ولكن كل امكانياتها الحربية لم تعرف الا في الحرب العالمية الثانية حين طور الألمان وسائل الحرب الصاعقة (بلتز كريج) باستخدام الدبابات والطوابير المدرعة والميكانيكية في عمليات الإجتياح والتطويق والتقدم السريع.. تحت مظلة جوية.

جرب الألمان في الحرب العالمية الأولى استخدام المدفعية في فتح ثغرات في دفاعات العدو بتمشيط خطوط العدو من البداية للمؤخرة.

وضبط تقدم المشاه مع تقدم القصف (كيلو متر في الساعة) مع ترك تصفية جيوب المقاومة لوحدات تالية.. ولكن ضعف الإتصال منع التنسيق الكامل بين القوات المشتركة في العمليات (التلغراف كان اداة جديدة للإتصال).

شهدت الحرب العالمية الأولى بداية استخدام الأسلحة الحديثة في اشكالها الأولى وفيما عدا القنابل الذرية، والأسلحة الالكترونية الصاروخية فان كل الأسلحة الهامة استخدمت في الحرب الأولى، وان كانت الدول لم تفطن في ذلك الحين لمدى امكانيات الأسلحة الجديدة وقدرتها على تغيير كثير من الأفكار في مجال الاستراتيجية والتاكتيك.

وفي النهاية فان تحول الحرب الى مجهود قومي شامل قد جعل النصر من نصيب الدول التي تملك موارد اكبر وانتاجاً اوفر.. وقد جاء الدعم الأمريكي للحلفاء في وقت ارهقت فيه المانيا والنمسا وتركيا فرجح كفة الحلفاء الغربيين، وفي نوفمبر ١٩١٨ بدأت القوات الحليفة في فرنسا هجومها المضاد الذي انتهى بدخول الحلفاء المانيا واحتلال كولونيا ومايتز وكوبلنز.

نتائج الحرب:

وقد ادت الهزيمة الى نشوب الثورات في روسيا والمانيا وانهارت الإمبراطورية النمساوية المجرية وظهرت دول قومية في رومانيا والمجر ويوغسلافيا وتشكوسلوفاكيا وبولندا، كما انهارت الإمبراطورية العثمانية في الشرق، وكانت بريطانيا قد فرضت حمايتها على مصر والسودان، واحتل جيش اللنبي القدس ودمشق، وفي افريقيا طرد الانكليز والفرنسيون الألمان من الكاميرون وتوجلاند وادخلت جنوب افريقيا جنوب غرب افريقيا تحت وصايتها وكانت تحت السيطرة الألمانية واستطاع التحالف بين بريطانيا والبرتغال وبلجيكا طرد الألمان من تنجانيقا وقد فرضت معاهدة فرساي شروطاً قاسية على المانيا وفرض الحلفاء عليها دفع تعويضات باهظة كانت فيما بعد سبباً لدعوات الثأر التي انبعثت في المانيا بعد سنوات واشعلت الحرب العالمية الثانية.

وقدمت امريكا مساعدات لإعادة بناء اوربا، ولكن الأزمة الإقتصادية عام ١٩٢٩ اوقفت الدعم الأمريكي، واجتاحت المرارة بلدان اوربا التي مزقتها

الحرب. وقد سقطت جمهورية (فيمار) اللبرالية في المانيا (١٩١٩ ــ ١٩٣٣) وكانت الالزاس واللورين قد اعطيتا لفرنسا ومالميدي لبلجيكا وشلزويج للدنمارك وسليزيا لبولندا.

وفي ١٩٣٤ تولى هتلر زعيم الحزب النازي الرئاسة في المانيا وسمي (بالفيرر) اي القائد، وقد اعلن بعدها عدم اعتراف حكومته بمعاهدة فرساي ورفض الاستمرار في دفع تعويضات للحلفاء واعاد تسليح المانيا. وفي ١٩٣٨ ضم النمسا لألمانيا ثم ضم تشكوسلوفاكيا بعد الإتفاق مع رئيس وزراء بريطانيا تشامبرلين في ميونيخ وفي ١٩٣٩ عقد معاهدة عدم اعتداء مع الإتحاد السوفيتي.

وكان المسرح قد اعد لأحداث الحرب العالمية الثانية.

فالحرب العالمية الأولى لم تحسم النزاعات التي اندلعت في اوربا بل زادتها حدة.. وكان لا بد من جولة اخرى اشد عنفاً...

فترة ما بين الحربين (١٩١٨ ــ ١٩٣٩)

فرض الحلفاء على المانيا في معاهدة فرساي (٢٨ ــ ٥ ــ ١٩١٩) شروطاً قاسية تتضمن:

- منع المانيا من صنع اسلحة هجومية مثل الغواصات والطائرات والسفن الحربية الثقيلة التي تزيد حمولتها عن ١٦ الف طن.
- نزع سلاح منطقة الراين وعدم بناء تحصينات على بعد ٥٠ كيلو متراً من الشاطئ الشرقي للراين.
- تحديد عدد الجيش الألماني بما لا يزيد عن مائة الف.

- دفع تعويضات للدول الحليفة التي تضررت من الحرب.
- ضم الالزاس واللورين لفرنسا.
- شكلت الدول التي كونت التعاهد الثلاثي عصبة الأمم ولم تشترك امريكا في عصبة الأمم بسبب سيادة الإتجاه للعزلة في امريكا بعد الحرب والنفور من التورط في المشاكل الأوربية ووجدت امريكا ان مجالها الحيوي في الشرق الأقصى.
- بعد ان اكمل هتلر سيطرته على اجهزة الدولة في داخل المانيا وحصل على تفويض من (الرايخستاج) صادر نشاط الأحزاب ومنع المعارضة ووضع خطة لبناء قوة المانيا من جديد.. وذلك طبقاً لاستراتيجية مدروسة وقوامها:
- الحديث عن السلام ومحاولة ايقاع الفرقة بين خصوم المانيا بتقديم عروض مغرية لكل دولة وعقد محالفات مؤقتة معها ثم التحلل منها.
- الإستعداد للحرب ببناء اسلحة هجومية حديثة والمضي قدماً في التسليح وتدريب كفاءات عسكرية المانية دون الإكتراث لقيود معاهدة فرساي.
- تطوير اجهزة الحرب النفسية وخطط التسلل من الداخل ودعم الإنقلابات لدى جيران المانيا تدعمها قوة المانيا (في النمسا، تشكوسلوفاكيا، السوديت..) في شكل طابور خامس (في حصار مدريد قال فرانكو ان لديه خمسة طوابير ــ اربعة تزحف على المدينة والخامس بداخلها).
- تشكيل محور من ايطاليا والمانيا واليابان (١٩٣٦) ضد فرنسا وروسيا وامريكا.
- ان سياسة هتلر كانت تهدف لتغيير ميزان القوى الذي حاول الحلفاء فرضه على اوربا بعد هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى للمحافظة على المانيا في وضع ضعيف..

● حاولت امريكا انعاش اوربا وقدمت لها مساعدات اقتصادية ولكن الأزمة الإقتصادية عام ١٩٢٩ شلت عملية الإنعاش.

● واجهت الدول الغربية أزمة انتاج، ونظراً لعدم الوعي بالقوى الإقتصادية وحركتها عجزت الحكومات عن السيطرة عليها، وكانت ازمة الإنتاج سببها عدم التخطيط الإقتصادي وضعف القوة الشرائية مع زيادة حدة التنافس بين المنتجين وتكدس الإنتاج دون ان يجد من يقدرون على شرائه وترتب على ذلك تعطيل المصانع وحرق الفائض من السلع وتدهور العملات والعطالة وانتشار التذمر والدعوات المتطرفة بين العمال، وظهرت المواجهة بين اليمين الأقصى (الفاشية والنازية) وبين اليسار الأقصى (الشيوعية).

● وفي ايطاليا اسس بنيتو موسوليني في ١٩١٩ الجمعية الفاشية لمحاربة الشيوعية، وفي اكتوبر ١٩٢٢ دعا الملك عمانويل موسوليني لتشكيل الحكومة، وركز موسوليني كل السلطة في يده وسمى نفسه الدوتشي.

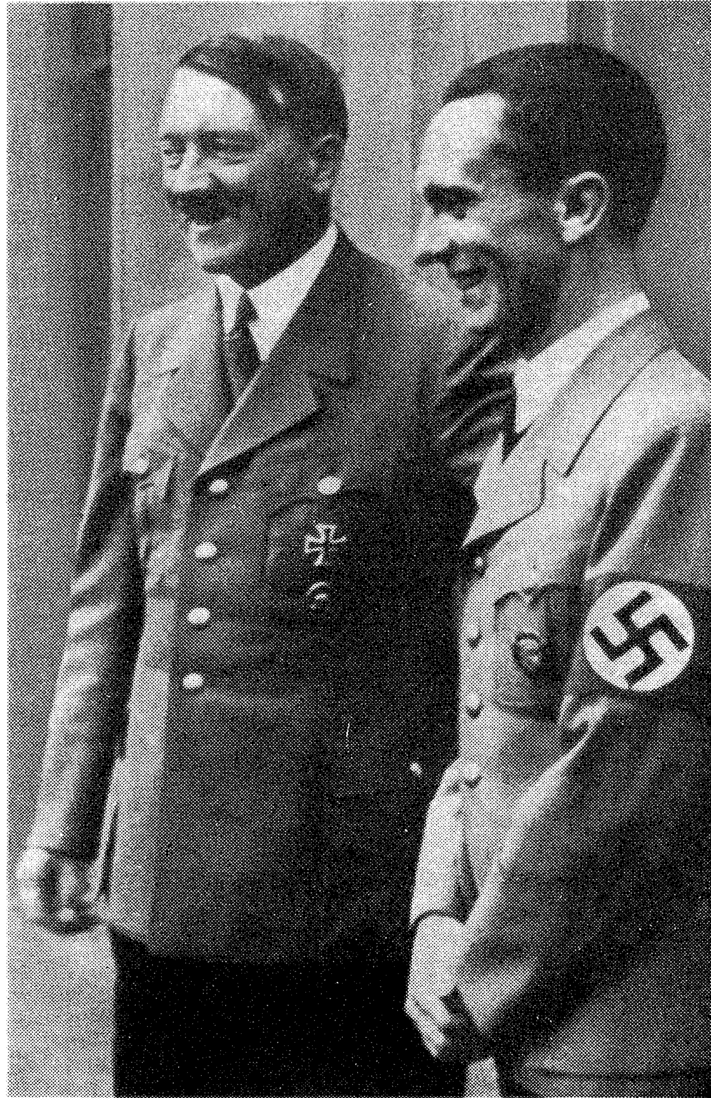
● في المانيا شكل الإشتراكيون الديمقراطيون الحكومة في جمهورية فيمار بعد هروب القيصر لهولندا ١٩١٨ وكانت قيادة الجيش الألماني قد قبلت تكوين حكومة من الإشتراكيين المعتدلين خوفاً من خطر الشيوعية. ولكن اليمينيين المتطرفين سرعان ما اتهموا الإشتراكيين بانهم السبب في هزيمة المانيا، وبعد هروب القيصر حملوهم مسؤولية الهزيمة وتوقيع معاهدة فرساي.

● وفي ظروف الأزمات والبطالة المتفشية في المانيا لاحت نذر الحرب الأهلية وشكل النازيون والشيوعيون جماعات مسلحة كانت تتقاتل في الشوارع.

● برز ادولف هتلر كخطيب مفوه وتولى زعامة الحزب النازي، واتخذ خطاً سياسياً متطرفاً متعدد الوجوه، فهو من جهة كسب تمويل رجال الأعمال والصناعة بوعده بأنه سيمنع الإضطرابات والمساومات النقابية ومن جهة اخرى كسب العمال بالعمل على ازالة البطالة وإيجاد فرص العمل،

وخلق مجال حيوي لألمانيا، وكسب العناصر الوطنية والجيش بالدعوة للتحرر من قيود معاهدة فرساي والثأر لهزيمة الحرب العالمية الأولى واسترداد الأراضي الألمانية واستعادة الكرامة والعزة القومية، وطارد العناصر اليهودية.

ـ في ٣٠ يناير ١٩٣٣ دعا رئيس الدولة الفيلد مارشال هندنبرج هتلر لتشكيل الحكومة الألمانية بعد ان حصل حزبه على اغلبية اصوات الناخبين وقد تحدى هتلر معاهدة فرساي وفاجأ الحلفاء بالأمر الواقع.. وهو عودة المانيا قوية تملك قوة عسكرية ضخمة، واضطر الحلفاء للتراجع، وقدموا



هتلر مع جوبلز وزير الدعاية في العهد النازي (١٩٣٥)

تنازلات سمحت لهتلر باحتلال النمسا ثم تشكوسلوفاكيا بدون حرب. وتهالكت حكومة تشامبرلين على ارضاء هتلر بأي ثمن، ولم تستطع (عصبة الأمم) ــ وهي المنظمة الدولية التي سبقت الأمم المتحدة ــ ان تفعل شيئاً.

فترة الحروب المحدودة:

يمكن القول ان الفترة من ١٩١٨ حتى نشوب الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ هي فترة حروب محدودة وحروب باردة.. وموازنات جديدة، للقوى وتجربة للأسلحة الجديدة، مهدت كلها للحرب العالمية الثانية، فقد استمرت الحرب الأهلية في روسيا وارسل الحلفاء امدادات ومساعدات للقوى المعادية للحكم البلشفي.

● وفي عام ١٩٣١ بدأت الحرب في منشوريا بين قوات اليابان والصين، وعندما طلبت عصبة الأمم انسحاب اليابان من منشوريا رفضت اليابان وانسحبت من عصبة الأمم.

● وفي ١٩٣٥ بدأ موسوليني حملته لغزو الحبشة، وفي مايو ١٩٣٦ دخلت القوات الايطالية اديس ابابا وفشلت مساعي الإنكليز والفرنسيين واكتفت عصبة الأمم بالإستنكار وفرض عقوبات اقتصادية ضد ايطاليا لم تنفذ.

● في ١٦ مارس ١٩٣٥ اعلن هتلر التجنيد الإجباري وزيادة عدد القوات الألمانية الى نصف مليون جندي وزيادة حجم الأسطول الألماني، وبناء قوات جوية (اللفتواف) واعلن وسط هتاف الجماهير زوال قيود معاهدة فرساي وهي القيود المذلة لألمانيا وعرضت بريطانيا على هتلر معاهدة سلام.

● وفي مطلع ١٩٣٥ صوت سكان السار بالإنضمام لألمانيا وفعلاً انضموا للوطن الأم ولم يتحرك الحلفاء وفي مارس ١٩٣٦ ارسل هتلر فرقة لاحتلال اراضي الراين المنزوعة السلاح، ولم تحرك فرنسا ساكناً.. وكانت القيادة العسكرية الألمانية بقيادة الجنرال فون بلومبرج تخشى مغبة الحرب مع فرنسا.. ولكن فرنسا كانت مشغولة بصراعات داخلية، وفازت مقامرة هتلر.

● وفي ١٧ يوليو ١٩٣٦ بدأت الثورة المضادة للحكم الجمهوري في اسبانيا وقاد الحركة المناهضة للتحالف الجنرال فرانشيسكو فرانكو، ودعم هتلر وموسوليني الجنرال فرانكو واتبعت بريطانيا وفرنسا سياسة عدم التدخل.

● اما ستالين فقد ارسل اسلحة وعتاداً للجمهوريين، وحارب في صفوف القوات الموالية للحكومة الجمهورية كثير من المتطوعين اليساريين منهم الزعيم اليوغسلافي (تيتو) والكاتب الأمريكي (ارنست همنجواي).. واندريه مالروا (وزير الثقافة الفرنسي في عهد ديقول) واستفاد هتلر من مساعدة فرانكو لتجربة اسلحته الجديدة وتدريب سلاح الطيران الألماني، وفتح جبهة في مؤخرة فرنسا، وزيادة حدة الصراعات الأهلية بين اليمين واليسار في فرنسا وبريطانيا، ودعم محور (روما ــ برلين).

● في مارس ١٩٣٨ ــ نفذ هتلر خطة ابتلاع النمسا (الانشلوس) بتحرك منسق بين الحزب النازي في داخل النمسا والقوات الألمانية التي عبرت الحدود بين البلدين واستمر يقدم لبريطانيا عروضاً سلمية، وفي مايو ١٩٣٧ استقبل هتلر لورد هاليفاكس وزير خارجية بريطانيا لبحث الوفاق بين البلدين.

● ثم وقع تشامبرلين اتفاقاً في ميونيخ مع هتلر في ٣٠ سبتمبر ١٩٣٨ تم بمقتضاه ضم (السوديت) وهي منطقة منيعة تابعة لتشكوسلوفاكيا يتكلم اهلها الألمانية، الى المانيا.

● وفي مارس ١٩٣٩ (حل) هتلر جمهورية تشكوسلوفاكيا وقسم مناطقها حيث استولت المجر على جزء منها وتحولت بوهيميا ومورافيا لمحميات المانية. واعتبرت اتفاقية (ميونيخ) نموذجاً للإستسلام امام التهديد بالقوة ودخلت القاموس السياسي بهذا المعنى.



هتلر



موسوليني

الحرب العالمية الأولى:

THE NEW YORK HERALD

EUROPEAN EDITION—PARIS—FRIDAY, SEPTEMBER 11, 1914.

TWO CABINET MINISTERS HAVE ARRIVED IN PARIS

THE OCEANIC LOST: BUT HER CREW SAFE

AUSTRIAN ARMY IN FULL RETREAT

WOUNDED AT NEUILLY ARE WELL CARED FOR

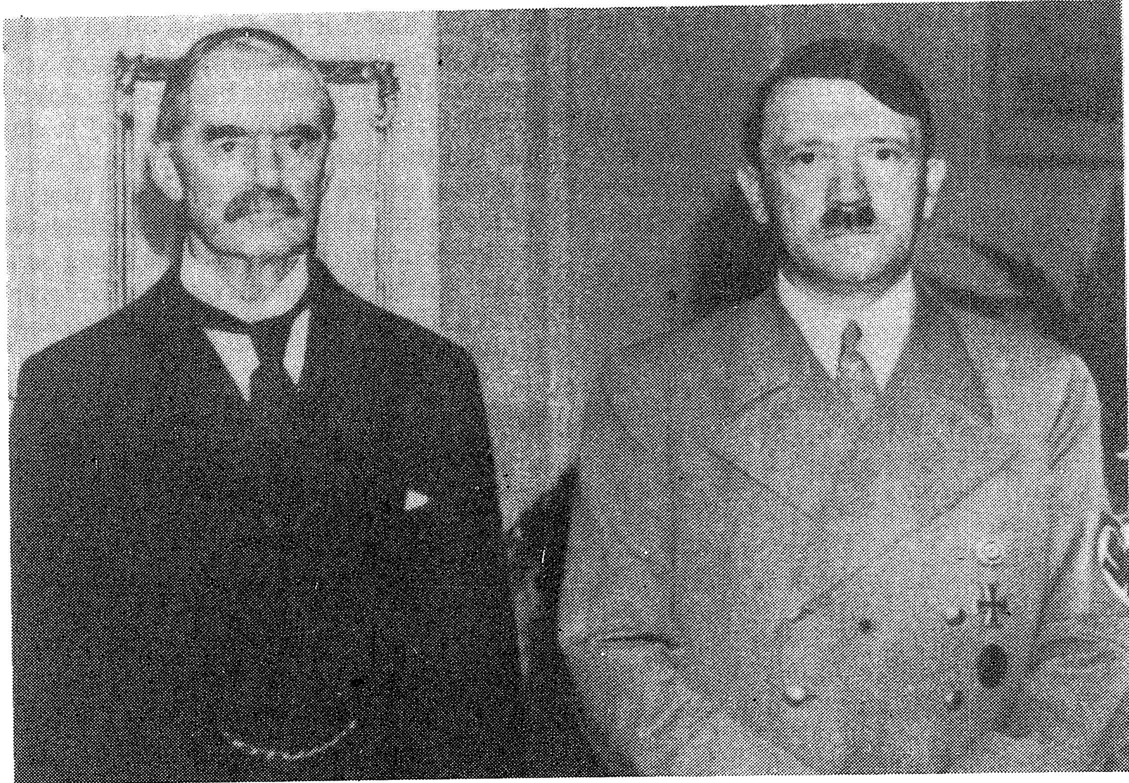
ALLIES PURSUING RETREATING ENEMY

SERVIAN TROOPS CROSS THE SAVE

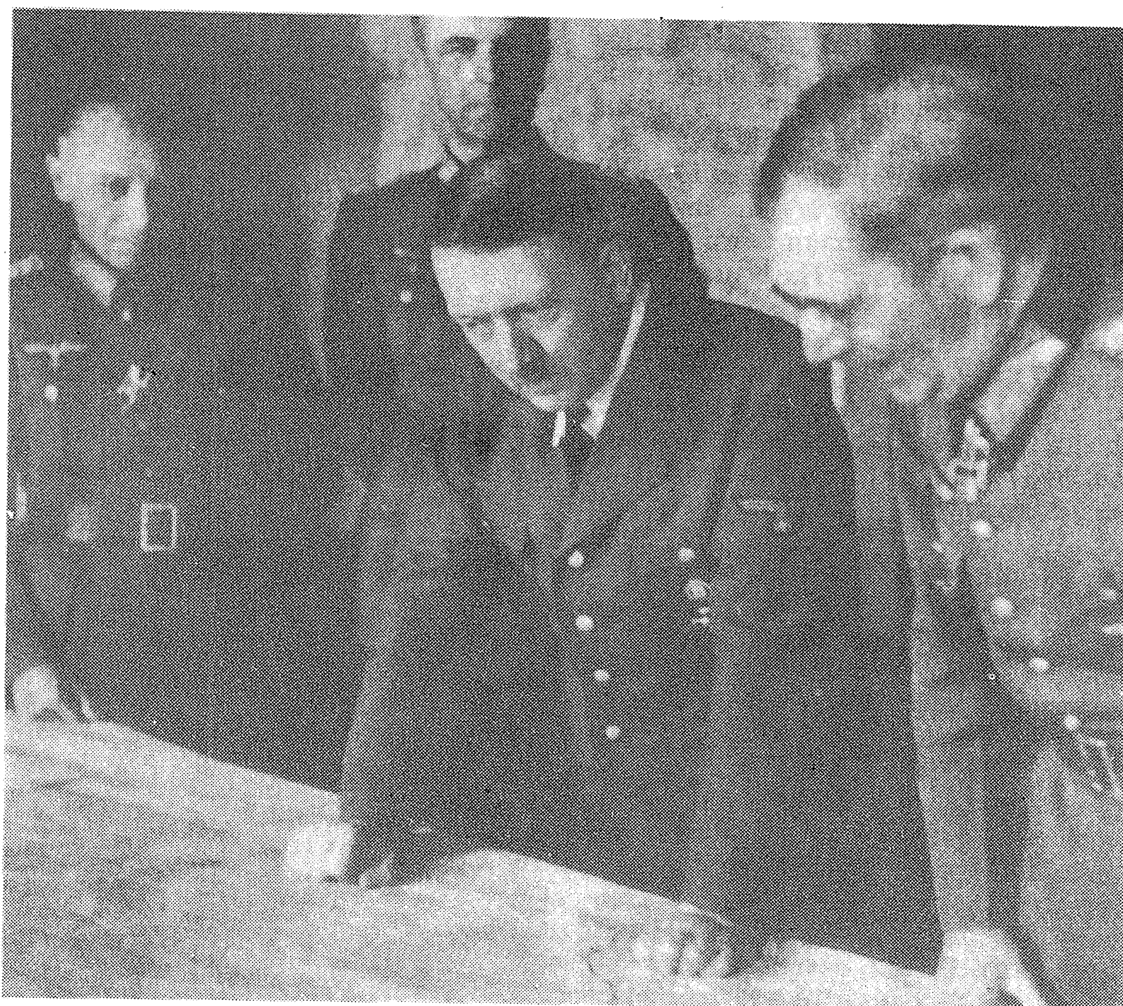
تقرير من صحيفة الهرالد عن فشل الهجوم الألماني للاستيلاء على باريس وتراجعهم بعد معركة المارن. في ١١ سبتمبر ١٩١٤.



الحرب العالمية الأولى
جنود فرنسيون في فردون



اتفاق ميونيخ بين هتلر وتشامبرلين (سبتمبر ١٩٣٨) كان استسلاماً من الحلفاء لضم النمسا لألمانيا وتشجيعاً لهتلر على اقتسام تشكوسلوفاكيا



هتلر يراجع خطط القيادة الألمانية لغزو أوربا

الفصل الخامس

ظهور النازية والحرب العالمية الثانية



ــ لم تتدخل روسيا ولا فرنسا لحماية تشكوسلوفاكيا بالرغم من التعهدات من الدولتين لبراغ ومارس هتلر بنجاح سياسة حافة الحرب ضد الحلفاء وانتـزع مكاسب هامة قبل ان يدخل الحرب فعلاً.

ــ في اكتوبر طلب هتلر ضم الممرات بين المانيا وبروسيا الشرقية ــ والتي تمر عبر اراضي بولندا الى المانيا واستولى على ميناء (ممل) الذي كان تابعاً لألمانيا ثم وضع تحت اشراف عصبة الأمم ثم تحت سيطرة ليتوانيا ولما كانت بولندا مرتبطة بمعاهدات دفاع مشترك مع فرنسا وبريطانيا فان التهديد بغزو بولندا كان معناه الحرب الشاملة..

ــ في ٢٣ اغسطس ١٩٣٩ وقع ربنتروب ومولوتوف معاهدة عدم اعتداء بين روسيا والمانيا. وقال هتلر بعدها (العالم الآن في جيبي).

جاءت هذه المعاهدة بعد فشل المحادثات بين بريطانيا وفرنسا من جهة وروسيا من جهة اخرى، اتهم ستالين بريطانيا وفرنسا انهما تريدان دفع المانيا لمحاربة روسيا.

والمعاهدة قسمت مناطق النفوذ بين روسيا والمانيا في بولندا وشرق اوربا.

ــ وفي آخر اغسطس ارسل هتلر عدداً من رجال العاصفة المتنكرين في زي جنود بولنديين لمهاجمة محطة اذاعة المانية قرب الحدود في (جلايفتز) ثم قال انه سيرد على القوة بالقوة لأن بولندا هاجمت المانيا!

ـ في ٣ سبتمبر اعلن تشامبرلين ودلادييه، ان حالة الحرب قد اعلنت بين بلديهما (بريطانيا وفرنسا) وبين المانيا وهكذا بدأت الحرب العالمية الثانية.

الحرب.. لماذا؟

تجربة ودروس حرب ١٩١٤ لم تحدث تغييراً يذكر في عقلية وتفكير الزعماء والقادة في اوربا.. بل استمرت الدول الأوربية تحتكم الى القوة في حل نزاعاتها وتحاول ضم اراضي الغير بالقوة، وتمارس عدم الإعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها واهدار حقوقها القومية، وظلت تحاول بناء توازنات وتحالفات للمحافظة على الأوضاع القائمة وهي اوضاع لا بد ان تتغير عاجلاً او آجلاً فلم يكن معقولاً ان تظل المانيا ضعيفة وممزقة وخاضعة لقيود معاهدة فرساي التي جلبت للجماهير البطالة والفقر والجوع، وكان لا بد ان ينتشر التذمر وتعم الثورة وجاءت ازمة الرأسمالية في عام ١٩٢٩ فزادت من بؤس العاملين، وجعلت الحكومات والزعماء السياسيين في حالة عجز وبؤس ازاء القوى الإقتصادية الجامحة التي عجزوا عن فهمها او السيطرة عليها.. واستغربوا ان تؤدي وفرة الإنتاج الى البطالة واغلاق المصانع ووقفت الدول الغربية على شفا الحرب الأهلية حيث وقع استقطاب حاد بين اليمين واليسار، وانتشرت اساليب العنف في العمل السياسي وازدهرت العصابات السياسية المسلحة في معظم العواصم الأوربية.

كانت خطة النازية والفاشية هي التوسع على حساب الدول الأخرى بالحرب، وكان اذكاء الباعث القومي كحافز معنوي وتوجيه الإهتمام للنزاعات الخارجية وسيلة لتحقيق السلام في الجبهة الداخلية.. اما تحويل الصناعة والإنتاج لصنع الأسلحة والعتاد فكان حلاً لمشاكل الأزمة الإقتصادية والتوسع في القوات المسلحة قضى على مشكلة العطالة، ولكن هذه السياسة كانت تجعل الصدام والحرب امراً لا مفر منه...

ومع ذلك فان الخسائر الفادحة التي منيت بها فرنسا وبريطانيا في حرب ١٩١٤ جعلت زعماء البلدين في حالة تردد وخوف من تحمل مسؤولية خوض حرب جديدة، وسيطرت على قادة البلدين عقلية دفاعية (خط ماجينو

في فرنسا) اما امريكا فكانت تميل للعزلة.. وهذا شجع هتلر على انتزاع زمام المبادرة، وكان يعبر عن احتقاره الشديد لزعماء الدول اللبرالية وكان يسميهم (الفاقدين للعمود الفقري) خاصة بعد ان رأى تهالكهم على ارضائه بأي ثمن.

الفصل الخامس

الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية: (**سبتمبر ١٩٣٩ ـــ اغسطس ١٩٤٥**).

غزو بولندا:

بعد عشرة ايام من تقسيم تشكوسلوفاكيا واحتلالها، اصدر هتلر اوامره في ٢٥ مارس ١٩٣٩ بوضع خطة (للحل العسكري لمشكلة بولندا) وقام بالتنفيذ المارشال والترفون براوختش، وكانت هناك معاهدة عدم اعتداء بين المانيا وبولندا وقعت في عام ١٩٣٤ كما ان فرنسا وبريطانيا ضمنتا استقلال بولندا وسلامة اراضيها وارتبطت فرنسا بتحالف عسكري مع بولندا، لكل هذا كان مفهوماً ان الهجوم على بولندا سوف يؤدي لحرب اوربية.

وقد ابدى بعض قادة الجيش الألماني مخاوف من اشعال الحرب ولكن هتلر تمكن من ابعاد اولئك الضباط الذين ترددوا في تأييد خطط الحرب (بلومبرج وفريتش) وسار قدماً في تنفيذ خطته وان كان قد اجّل تنفيذها شهراً كاملاً بسبب مذكرة موسوليني ان بلاده لن تستطيع الدخول في الحرب بجانب المانيا في ذلك التاريخ.. كما ان بريطانيا اعلنت في ذلك الوقت انها قد تحالفت عسكرياً مع بولندا.

غير ان توقيع معاهدة عدم الإعتداء بين المانيا والاتحاد السوفيتي في ٢٣ اغسطس ١٩٣٩ اعطى هتلر (النور الأخضر) للمضي قدماً في العدوان على بولندا.. كما قسم اتفاق (مولوتوف وربنتروب) بولندا طوليا الى منطقتي نفوذ روسية في الشرق والمانية في الغرب. وسلك هتلر حسب الخطة النازية التي اشتهرت فيما بعد واتبعتها دول اخرى للضغط والتوسع وهي:

(١) ــ تشجيع التذمر والاضطرابات في دانتزيج بواسطة عناصر موالية للنازي.

(٢) ــ حشد قوات المانية على الحدود بين البلدين.

(٣) ــ تدبير استفزازات مفتعلة واتهامات بالعدوان اشهرها: هجوم جنود العاصفة الألمان المتنكرين في ازياء الجيش البولندي على محطة اذاعة في سليزيا، واتخاذ الحادث مبرراً للعدوان ضد بولندا.

على ان يمهد كل ذلك لعملية غزو خاطفة تتم بسرعة قبل ان يتاح للبريطانيين والفرنسيين التحرك لنجدة بولندا. وقد اتيح للقيادة الألمانية ان تجرب في بولندا نظرياتها عن الحرب الصاعقة او الحرب الخاطفة وحققت فعلاً نجاحاً باهراً. وقد طبقت بعد ذلك في فرنسا واسكندنافيا والبلقان. وتتلخص خطط الحرب الخاطفة في استخدام تشكيلات من الدبابات والمدرعات والقوات المحمولة تدعمها مظلة جوية لمفاجأة العدو والتقدم بسرعة في عمليات اختراق والتفاف وتجاوز لنقط العدو الحصينة وتطويقها.. ثم تدميرها بعد ذلك، مع استخدام كل اساليب الحرب النفسية لاحداث البلبلة والفزع والاضطراب بين صفوف العدو والتأثير على معنوياته.

استخدام الألمان فرق (البانزر) وهي فرق من الدبابات والمدرعات تشكل رأس الرمح في عمليات الإختراق وتدعمها الطائرات المنقضة القاذفة (شتوكا)، وفي الحرب العالمية الأولى كانت الدبابة والطائرة من اسلحة الدعم للمشاة، ولكن الجنرال الألماني جودريان فطن لأهمية تشكيل فرق من الدروع ذات قوة نيران عالية وحركة سريعة واستخدام السلاح الجوي استراتيجياً (لضرب اهداف في العمق) وتاكتيكاً لدعم تشكيلات الدروع (PANZER) البانزر

بحر البلطيق
ليتوانيا
كونجسبرج
مجموعة جيوش الشمال
دانزج
بوميرانيا
الجيش الرابع
الجيش الثالث
جيش ناريو
ناريو
جيش بومورز
جيش مودلين
بوزنان
جيش بوزنان
كالستز
وارسو
برست ليتوفسك
لودز
جيش لودز
رادوم
لوبلن
الجيش الثامن
جيش كراكوف
ساندوميرز
نهر فستولا
كراكوف
الجيش العاشر
لوو
جيش الكربات
مجموعة جيوش الجنوب
الجيش الرابع عشر
سلوفاكيا

مجموعات الدفاع البولونية الرئيسية
الهجمات الألمانية
الهجوم البولندي المضاد
ميل ٦٠ صفر
كلم ١٢٠ صفر

غزو بولندا



كولونيل كلاوس فون شتوفنبرج الذي دبر المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر في ٢٠ يوليو ١٩٤٤



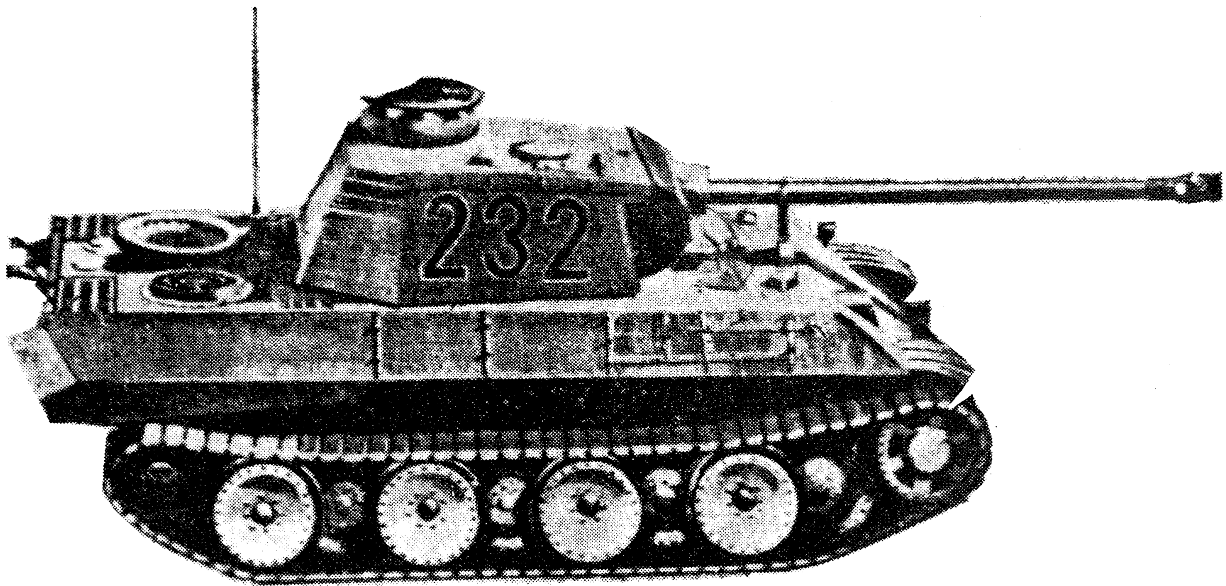
ستالين وترومان وتشرشل في مؤتمر يالتا ١٩٤٥

في تقدمها.. كما استخدم الألمان على نطاق واسع القوات المحمولة جواً وبحراً والمنقولة بالطائرات الشراعية وقوات المظليين لمفاجأة العدو ولاحتلال المواقع الهامة وراء خطوطه ولفتح جبهات وراء ظهر العدو لاحداث ارتباك بين صفوفه.

كما ان الألمان جعلوا معظم قواتهم من المشاة قوات محمولة ومزودة بوسائل النقل الميكانيكية وهذا ساعدهم في تنفيذ خطط الحرب الخاطفة التي تستدعي سرعة الحركة.

وشهدت الحرب العالمية تطوراً كبيراً في اساليب الحرب النفسية باستخدام الإذاعات والمنشورات والأفلام والدعاية المدروسة الموجهة لقطاعات معينة، واطلاق الشائعات التي تجد رواجاً وتضعف الجبهة الداخلية وتنشر روح الشك والهزيمة والتذمر بين العدو.

كما تطورت اساليب التجسس وزرع الجواسيس في المواقع الهامة، وكذلك



الدبابة الفهد (بانزر)

رأس الرمح في عمليات الاختراق الألمانية

الأساليب الخداعية كما استخدمت على نطاق واسع الفرق الخاصة المدربة على اعمال التسلل وراء خطوط العدو للقيام بعمليات التخريب والإغتيال وتحقيق اهداف ذات اهمية خاصة ــ (الكوماندوس) ومن جهة اخرى فان عنف الإرهاب النازي وقسوته اثارت ضده مقاومة السكان في مناطق الاحتلال حيث تشكلت حركات مقاومة وطنية سرية لعبت دوراً في محاربة الاحتلال وتحرير اوطانها، وكانت ابرزها في يوغسلافيا وفرنسا وروسيا وبولندا.

ــ وقد تميزت الحرب الماضية بما جلبته من ويلات ومعاناة بالنسبة للمدنيين وباهدار حقوق الأسرى، حيث قتل اكثر من مليون الماني بسبب القصف الجوي كما خسرت روسيا ١٧ مليوناً من المدنيين والعسكريين، وخسرت اليابان اكثر من نصف مليون قتيل ومليون جريح منهم مليون راحوا ضحية تفجير القنابل الذرية فوق هيروشيما وناجازاكي. وقد شيد النازيون معسكرات اعتقال في داشاو وبوخنفالد وتريبلنكا اشتهرت بفظائعها حيث اعدم الملايين بالغاز واحرقوا في الأفران، وقد عقدت محكمة نورمبرج لمحاكمة كبار المسؤولين عن جرائم الحرب ونفذت احكام الإعدام في عدد منهم.

ومن اسباب كثرة الضحايا بين المدنيين:

ــ أصبحت الحدود بين الخطوط الخلفية والخطوط الأمامية غير واضحة، حيث استهدفت الحرب ضرب مراكز الإنتاج والمواصلات والسدود ومخازن التموين والوقود والمصانع بانواعها، وانتقلت الحرب الى المدن والأماكن المأهولة مع تطور اساليب الحرب المتحركة.. (وقد تعمد الألمان اثارة الفزع بين المدنيين لإجبارهم على ترك مساكنهم وسد الطرق واعاقة تحرك قواتهم..).

ــ زيادة قوة النيران ومداها وتطور السلاح الجوي والقصف بالطائرات.. حيث استخدمت اسلحة الإبادة بالجملة مثل القنابل الثقيلة والحارقة وصواريخ

ارض ـــ ارض والقنبلة الذرية التي استخدمتها امريكا قرب نهاية الحرب ضد اليابان.

ــ اشتراك المدنيين في اعمال المقاومة ضد الإحتلال حيث لجأ المعتدون الى العقوبات الجماعية واخذ الرهائن وسجن اعداد كبيرة من المدنيين، وتسخيرهم في معسكرات العمل الإجباري، وتركهم فريسة للأمراض والمجاعات كوسيلة للسيطرة على مناطق الإحتلال.

عناصر الحرب الخاطفة: BLITZKRIEG

الحرب الخاطفة او الحرب الصاعقة التي برع فيها القادة الألمان في الحرب العالمية الماضية اعتمدت على العناصر التالية..

ــ الإهتمام بالتحضير الدقيق للضربات الإبتدائية.
ــ استخدام الضغوط والحصار الإقتصادي ضد العدو.
ــ اتقان اساليب الحرب النفسية والدعاية للتأثير على معنويات العدو، والمخابرات لجمع معلومات دقيقة.
ــ استخدام الطابور الخامس في عمليات وراء خطوط العدو تمهد للغزو.. وتساعد على شل قدرات العدو الدفاعية واحباط ارادته في القتال.
ــ المفاجأة وسرعة الحركة في العمل العسكري الحاسم لتدمير قوات العدو بحيث لا يتاح لحلفاء الخصم التدخل لنجدته.
ــ استخدام الدبابات والطائرات والقوات المحمولة في عمليات: اختراق ← تقدم ← تطويق ← ابادة.
ــ الإستفادة الكاملة من امكانيات الدبابة والطائرة باعتبارها اسلحة هجومية فعالة في الحرب المتحركة وتركيزها في تشكيلات مستقلة خاضعة للخطة الاستراتيجية.

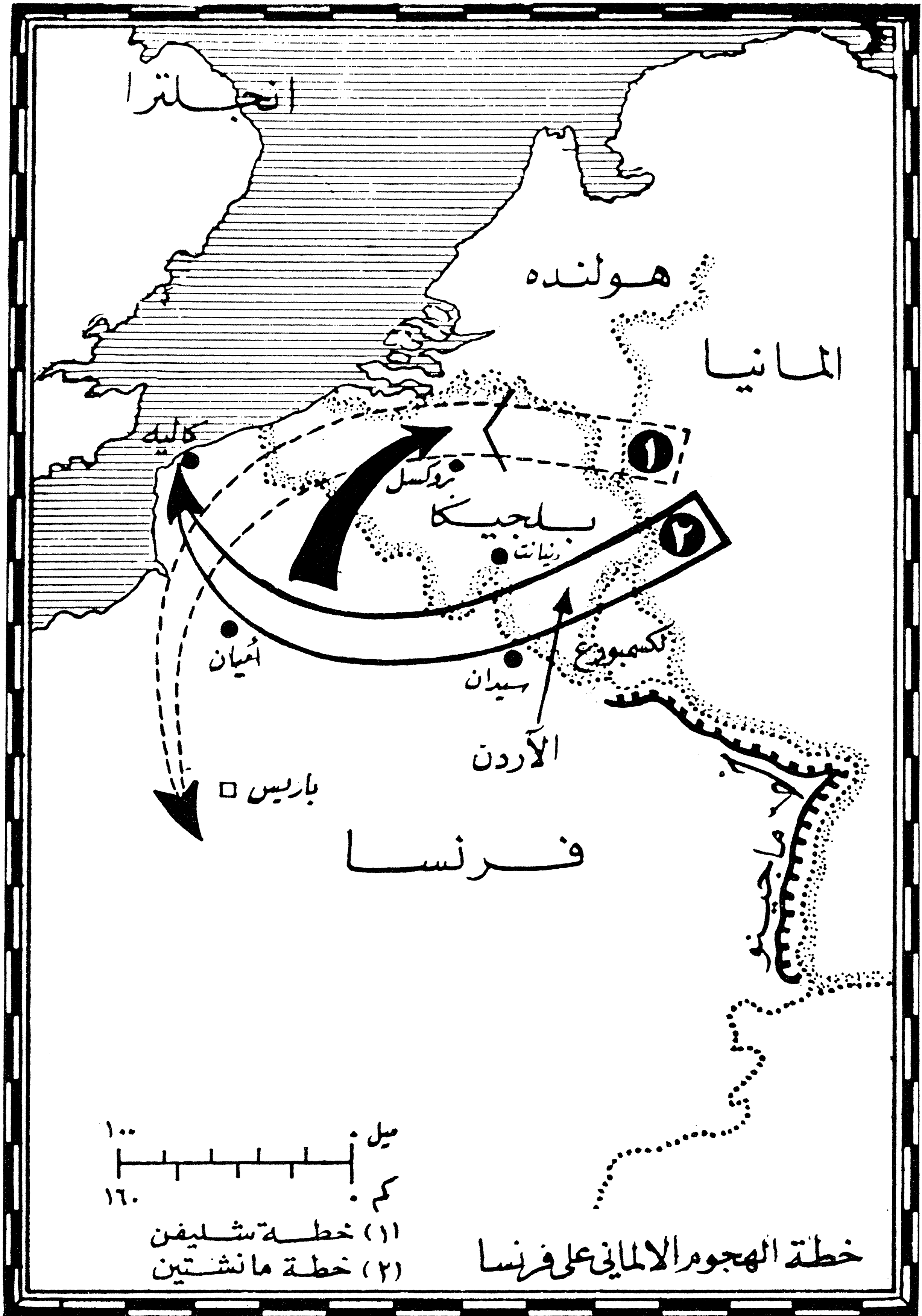
وفي بداية الحرب كانت خسائر القوات الألمانية المهاجمة قليلة فاجتياح بولندا استغرق ١٩ يوماً تقريباً..

وكلف القيادة الألمانية ١٤ الف قتيل و٣٠ الف جريح بينما اسر الألمان ٧٠٠ الف جندي بولندي ولم يعرف بالضبط عدد قتلى الجيش البولندي وان كان يزيد عن مائتي الف رجل.

ـــ وفي اكتوبر ١٩٣٩ بعد انتهاء احتلال بولندا (التي زحف الجيش السوفيتي شرقاً فاحتل نصفها الشرقي) امر هتلر القيادة الألمانية العليا بوضع خطة غزو فرنسا قبل ان تكتمل استعدادات الحلفاء وقامت الـ .O.K.W (Obercommand der wehrmacht كما كانت تعرف آنذاك القيادة الألمانية) باعداد (الخطة الصفراء) لغزو فرنسا، وهي تعتمد على الخطة القديمة لفون شليفين التي وضعها منذ ١٩٠٥ وطبقت جزئياً في ١٩١٤، وتهدف لتفادي تحصينات خط ماجينو الفرنسي (الممتد بين المانيا وفرنسا من سويسرا جنوباً الى بلجيكا شمالاً) والاندفاع شمالاً وغرباً نحو الساحل الفرنسي ثم جنوباً نحو باريس.. ولم يتعلم الفرنسيون شيئاً من دروس الحرب العالمية الأولى فظلوا يعتقدون ان الأمن في ظل خط ماجينو. كما انهم لم ينسقوا خططهم الدفاعية مع بلجيكا وهولندا. وبالرغم من مرور شهور بعد غزو بولندا فان الحلفاء لم يدرسوا اسباب انهيار بولندا السريع.

ـــ وفي مايو ١٩٤٠ حشد الألمان في الغرب ١٢٦ فرقة في مواجهة ٩٤ فرقة فرنسية و١٠ بريطانية و٢٢ بلجيكية و٩ هولندية اي ان التفوق العددي (٤ مليون مقابل ٢ مليون) كان في جانب الحلفاء كما كان لدى الحلفاء ٢٦٩٠ دبابة و١٢٠٠ طائرة فرنسية و٦٠٠ طائرة بريطانية (في مقابل ٢٤٤٠ دبابة المانية و٣٢٠٠ طائرة) ولكن الدبابات الألمانية كانت تمتاز بالسرعة وقوة النيران وانها تتحرك في مجموعات كثيفة وليست موزعة على وحدات المشاة.

ـــ وبالرغم من ان البريطانيين كانوا اول من طور الدبابة في الحرب العالمية الأولى وان الجنرال ديغول كان قد لفت النظر مبكراً لدور الوحدات المدرعة في عمليات الإختراق والتقدم السريع عبر الثغرات والإلتفاف.. الا


انجلترا
هولنده
المانيا
كاليه
بروكسل
بلجيكا
نامور
لكسمبورج
سيدان
أميان
الآردن
باريس
فرنسا
ميل ١٠٠
كم ١٦٠
(١) خطة شليفن
(٢) خطة مانشتين
خطة الهجوم الالماني على فرنسا

ان نظرياته لم تجد استجابة لدى الجيش الفرنسي الذي ظل يستعد لحرب دفاعية ويغفل عن الأساليب الألمانية الجديدة.

غزو هولندا وبلجيكا وفرنسا:

في خمسة ايام فقط احتل الألمان هولندا واجبروا جيشها المكون من ٤٠٠ الف رجل على الإستسلام. ففي فجر العاشر من مايو ١٩٤٠ احتل المظليون الألمان المطارات والجسور والنقط الاستراتيجية قرب روتردام ولاهاي بمساعدة (طابور خامس) من اعوان النازي في هولندا، وتلقوا تعزيزات من الجو تمكنوا بعدها من شل تحركات الجيش الهولندي، في الوقت الذي شنت فيه القوات الألمانية هجوماً ارضياً بقيادة الجنرال فون كلوشر واستطاع طابور مدرع الإتصال بالقوات المحمولة جواً التي احتلت مطار روتردام وفي فجر ١٤ مايو ١٩٤٠ قصفت الطائرات الألمانية الحي التجاري في روتردام ودمرته تماماً وقتلت ٣٠ الف مدني كإنذار بالمزيد من القصف اذا استمرت المقاومة.. وفي مساء ١٤ مايو استسلمت القوات الهولندية.

ــ كانت بلجيكا قد تعرضت يوم ١٠ مايو ١٩٤٠ الى هجوم الماني بقيادة الجنرال فون ريشناو واحتل المظليون الألمان لييج، واشتركت ثلاثة جيوش المانية في هجوم لاختراق بلجيكا والاندفاع نحو فرنسا.. بقيادة الجنرالات فون كلوج وكليست وقودريان تدعمها ثلاثة جيوش احتياطية كما قاد الجنرالات راينهارت وروميل عملية الاقتحام وفتح ثغرة في الخطوط الفرنسية قرب (سيدان) على نهر الموز واستخدمت طائرات قاذفة من طراز (شتوكا) المنقضة لتعويض تخلّف المدفعية الألمانية الثقيلة عن اللحاق بالقوات الميكانيكية المتقدمة وانفتحت ثغرة عرضها خمسون ميلاً في خطوط الحلفاء اندفعت منها القوات الألمانية نحو بحر المانش، الذي بلغت ساحله خلال ١١ يوماً مكملة بذلك تطويق القوات المتحالفة، وفي ٢٨ مايو ١٩٤٠ استسلم ملك بلجيكا للألمان. وكانت القوات الحليفة قد بدأت الانسحاب

بحراً من ميناء دنكرك الى بريطانيا تحت وابل من نيران الطائرات الألمانية، وقد تم خلال اسبوع اجلاء ٣٤٠ الف رجل.

ــ وفي ١٠ يونيو اعلنت ايطاليا الحرب على فرنسا المثخنة بالجراح وفي ١٤ يونيو دخلت القوات الألمانية باريس وفي ١٧ يونيو طلبت فرنسا وقف القتال ووقع المارشال بيتان على وثيقة الاستسلام، فقد تحطمت مقاومة فرنسا امام الهجمات الألمانية بعد ٤٢ يوماً من بدء الهجوم الألماني. واستخدم الألمان الساحل الفرنسي والهولندي قاعدة لشن هجماتهم على بريطانيا.

ــ وكانت المانيا قد احتلت في شهري ابريل ومايو ١٩٤٠ الدنمارك والنرويج في حملة خاطفة واحرزت قواعد للغواصات والطائرات لتهديد خطوط الحلفاء، وبذلك سيطر الألمان على سواحل اوربا الغربية من نارفك الى شيربورج.

معركة بريطانيا:

من يوليو الى اكتوبر ١٩٤٠ اشتد القتال بين الطائرات الألمانية والبريطانية للسيطرة على الجو واستخدم الألمان بكفاءة طائرة مسرشميت والانكليز طائرات سبتفاير المقاتلة.. وقد طور البريطانيون وسائل الدفاع الجوي باستعمال الرادار ومحطات التوجيه الأرضية، وفي سبتمبر ١٩٤٠ قصف الألمان المدن البريطانية على نطاق واسع وتعرضت لندن وكوفنتري لخسائر كبيرة، ولكن الألمان خسروا عدداً كبيراً من طائراتهم.

واستخدم الألمان قرب نهاية الحرب الصواريخ التي صنعها (فون براون) وهي (ف ١) و (ف ٢) وهي صواريخ (ارض ــ ارض) محشوة بمتفجرات تقليدية وتستعمل الوقود السائل وكانت سلاحاً للإزعاج اذ كان ينقصها التوجيه الدقيق.

صاروخ V2

عملية (باربا روسا):

بعد السيطرة على غرب اوربا وقفت بريطانيا بمفردها ولكنها كانت تسعى للحصول على دعم الولايات المتحدة واحياء التحالف مع روسيا وقد فكر هتلر في غزو بريطانيا ولكن السلاح الجوي الألماني (اللفتواف) خسر المعركة للسيطرة على الأجواء البريطانية كما ان السلاح البحري الألماني لم يكن قوياً بالدرجة الكافية.. وترك هتلر بريطانيا واتجه لتدبير الهجوم على الاتحاد السوفيتي برغم معاهدة عدم الإعتداء المعقودة بين موسكو وبرلين في عام ١٩٣٩.

في اواخر ١٩٤٠ وقع هتلر على التوجيه رقم ٢١ المسمى «عملية باربا روسا» وهي توضح الخطط الاستراتيجية للحملة العسكرية ضد الاتحاد

فيلق شميدت ٣٩
بروكسل
تيرلمونت
ماسترخت
فيلق هوبنر ١٦
واڤر
هانت
الجيش الفرنسي الأول
ليبج
نهر الميز
ڤرڤيير
جمبلوكس
نامور
نهر سامبر
فيلق هوت المدرع ١٥
ڤيليڤيل
دينانت
مارش
مجموعة كليست المدرعة
الجيش الفرنسي التاسع
فيلق رينهاردت
مونترميه
فيلق جودريان
لكسمبرج
سيدان
فرنسا
لكسمبرج
خط ماجينو
ميل ٥٠
كلم ٨٠

رؤوس الجسور الالمانية في ١٣ مايو ١٩٤٠ — خطوط الجبهة في ١٢ مايو سنة ١٩٤٠

عملية الاختراق عند سيدان

السوفيتي، وكانت الخطة ذات مرحلتين: في المرحلة الأولى اجتذاب القوات الروسية نحو حدود روسيا الغربية وتطويقها وابادتها، وفي المرحلة الثانية يندفع الألمان في تقدم سريع في حركة كماشة هائلة نحو الشمال ونحو الجنوب عبر نهر الفولجا مع تدمير القاعدة الصناعية الروسية في الأورال بالقصف الجوي. وكانت أهداف الجيوش الألمانية المهاجمة في الشمال لننقراد وفي الوسط سمولنسك وفي الجنوب كييف. على ان تحشد القوة الأكبر في الوسط حيث خصصت لها قوات مدرعة ضخمة مع غطاء جوي وكان الإعتقاد السائد في القيادة الألمانية ان الحملة ضد روسيا ستنتهي خلال سبعين يوماً كحد اقصى ولكن بعض كبار الضباط ابدوا تحفظات وكان من رأيهم ان التعاون مع ستالين اجدى من محاربته، وكان هذا رأي ربنتروب وجورنج ايضاً، وكانت روسيا قد وقعت معاهدة عدم اعتداء مع اليابان في ابريل سنة ١٩٤١ كما امتنعت عن مد يد العون الى يوغسلافيا عندما هاجمتها القوات الألمانية في ٥ ابريل ١٩٤١. وتجاهل ستالين التحذيرات التي تلقاها من مخابراته ومن مخابرات الحلفاء بأن المانيا تستعد لغزو روسيا واستمر يزود المانيا بالوقود والخامات حتى ساعة عبور القوات الألمانية حدود روسيا وكانت القوات الألمانية قد عبرت الحدود في فجر الثاني والعشرين من يونيو ١٩٤١ لتبدأ عملية (بارباوسا).

ــ وقد حشد الألمان قوة هائلة لغزو روسيا بلغت ١٤٨ فرقة منها ١٩ فرقة مدرعة (بانزر)، وبلغ عدد الجنود المحتشدين اكثر من ثلاثة ملايين مع ٣٣٥٠ دبابة و٧١٨٤ قطعة مدفعية و٢٥٠٠ طائرة و٦٠ الف سيارة و٦٢٥ الف حصان واشترك مع الجيش الألماني جيش فنلندا المكون من نصف مليون رجل وكذلك ربع مليون جندي روماني بالإضافة لقوات من ايطاليا والمجر.. وتشكوسلوفاكيا..

ــ اما الجيش السوفيتي فكان تعداده في ذلك الحين، مليون و٣٠٠ الف رجل ولكن تسليحهم لم يكن في مستوى تسليح القوات الألمانية.. كما ان القواد السوفيت لم يكونوا على دراية بأساليب الحرب المتحركة

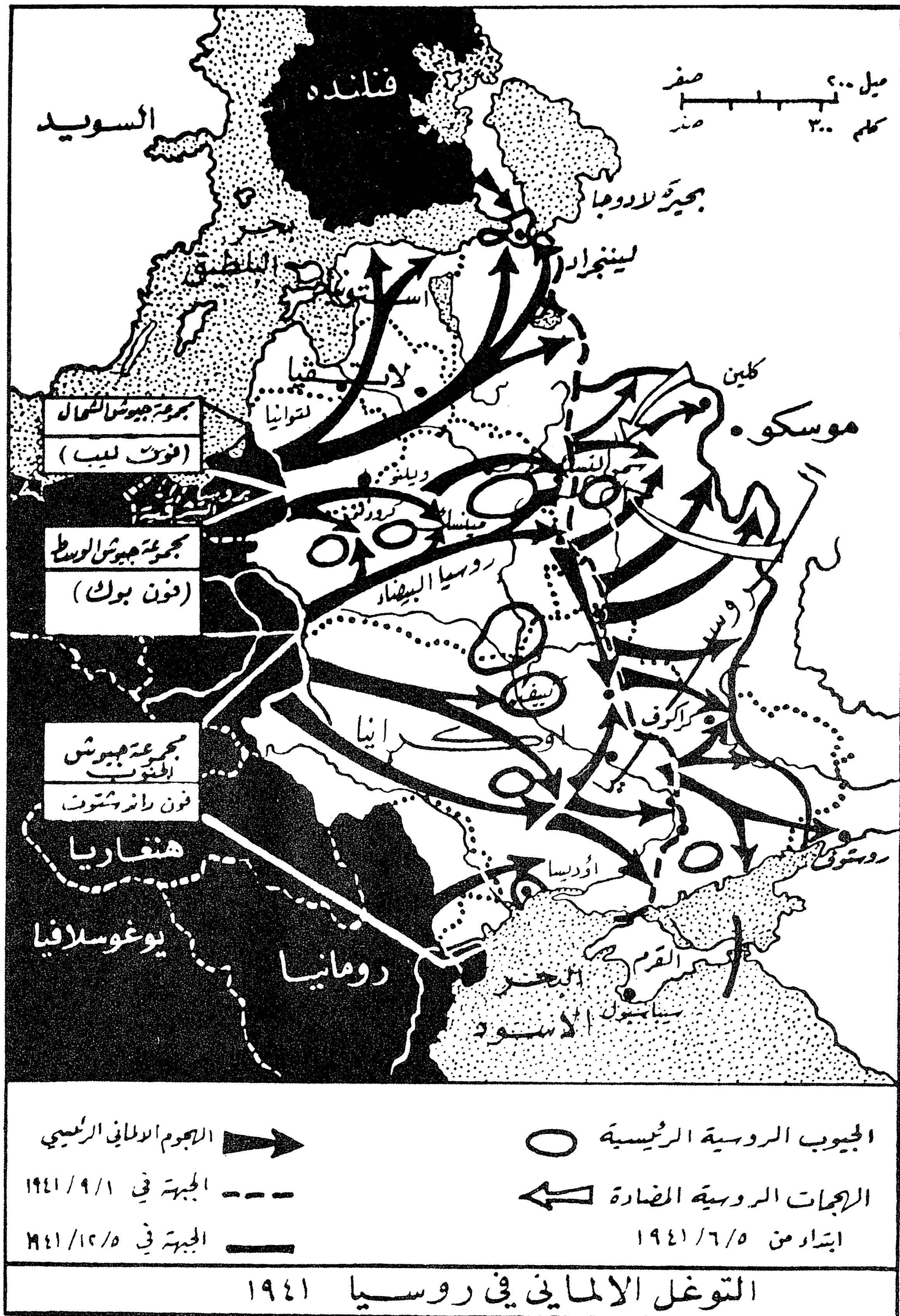
التي تعتمد على سرعة الحشد والمناورة. وكان الهجوم الألماني مفاجأة للسوفيت حيث لم يكونوا في حالة تأهب لصده.

— في ٣ يوليو ١٩٤١ اعلن ستالين انه يرحب بمعونات الحلفاء الغربيين ودعا الشعب لاتباع سياسة (الأرض المحروقة) لحرمان المعتدين من مزايا احتلال الأراضي كما اهاب « بالقوى الوطنية » ان تهب للدفاع عن روسيا وتحويل مناطق الحدود الى جبهات للقتال. ويشير المارشال سوكولوفسكي (الذي شغل منصب رئيس اركان حرب القوات السوفياتية) في كتابه عن الاستراتيجية السوفيتية ان القيادة السوفيتية ارتكبت اخطاء خطيرة واخذت على حين غرة بالهجوم الألماني مما جعل الجيوش الألمانية تتمكن من التوغل بعيداً في الأراضي السوفيتية والحاق خسائر كبيرة بالمدافعين، ثم تحولت القيادة السوفيتية الى رسم خطة للدفاع الاستراتيجي بعد ان حصلت على صورة حقيقية لأوضاع الجبهة وتهدف الخطة الى صد الهجوم الألماني او اعاقته وارهاقه وتهيئة الأوضاع لشن هجوم مضاد واستعادة المبادرة.

— وكانت القيادة السوفيتية تتوقع ان يهاجم الألمان في الوسط باتجاه موسكو ولكن الألمان ركزوا هجومهم في اتجاه الجنوب الشرقي لغزو حوض نهر الدون والقوقاز، في الوقت الذي كان فيه الجنرالات الألمان يلحون على هتلر ان يتحرك باتجاه العاصمة السوفيتية لأهميتها كمركز للمواصلات والصناعات والقيادة الإدارية والسياسية فضلاً عن اهميتها المعنوية وقد اتاح تردد القيادة الألمانية للروس ان يبنوا مراكز دفاعية عميقة حول موسكو بحيث تحولت لمنطقة دفاعية حصينة.

وفي شتاء (١٩٤١ — ١٩٤٢) شنت القوات الروسية هجوماً مضاداً في قطاع موسكو كان من نتائجه السياسية شل ميل اليابان وتركيا للإشتراك في القتال وبداية العون الغربي لروسيا.

— وبعد ذلك امكن تطوير سلسلة من الأعمال الهجومية المضادة في اتجاهات متعددة لعزل حشود الألمان. واضطر الألمان لنقل المزيد من الفرق للجبهة الروسية.



التوغل الالماني في روسيا ١٩٤١



لقاء الحلفاء ستالين وروزفلت وتشرشل
وخلفهم ايدن ومولوتوف في مؤتمر طهران ١٩٤٣

ــ وفي اكتوبر ١٩٤١ تمكن الألمان وحلفاؤهم الفنلنديون من تطويق لننقراد وعزلها ولكن المدينة ظلت تقاوم ولم تسقط حتى تم فك الحصار عنها في اول ١٩٤٤.

كما استطاعت القوات الألمانية في الجنوب ان تحتل شبه جزيرة القرم وان تحاصر سباستبول ولكن في الشمال والوسط بدأ هطول الأمطار في اكتوبر ١٩٤١ مما شل حركة المهاجمين ثم بدأ الشتاء الروسي في نوفمبر، وحاول المارشال فون بوك تطويق موسكو بحركة كماشة في الجبهة الوسطى مستخدماً ثلاث مجموعات مدرعة (بانزر) ولكن الهجوم توقف في جبهة

موسكو بسبب ضراوة المقاومة والظروف الطبيعية التي يألفها اهل البلاد اكثر من المهاجمين.

ـ توقف الهجوم الألماني ليبدأ الهجوم الروسي المضاد في صباح اليوم التالي، قاد الهجوم في قطاع موسكو الجنرال زوكوف تدعم جناحه الأيسر قوات الجنرال كونيف وفي الجبهة الجنوبية الغربية قاد الهجوم الجنرال تيموشنكو..

وتمكنوا من اختراق خطوط الألمان في عدة مواقع، وتولى هتلر بنفسه قيادة الحملة بعد ان اجبر الجنرال براوختش ومعظم قادة الجبهة الروسية على التقاعد، معلناً انه لا يعترف بمقدرة العسكريين المحترفين لأنهم طالبوه بالإنسحاب الى مواقع دفاعية ولكن الألمان اضطروا للتراجع ولم يعاودوا الهجوم الا في مايو ١٩٤٢ وكان الهجوم موجهاً في هذه المرة نحو القوقاز وهدفه الإستيلاء على آبار البترول الروسية وجر الروس لمعركة يجري فيها تحطيم حشودهم..

ولكن عندما بلغ الألمان آبار البترول في مايكوب وجدوها قد دمرت وكانت خطوط مواصلاتهم قد امتدت كثيراً وبدأت معركة ستالنقراد في اكتوبر ١٩٤٢ ولكن سير القتال حول المدينة اجبر الألمان على التراجع وتحولت المنطقة الى مصيدة لجيش الجنرال فون باولوس الذي اضطر للإستسلام في آخر يناير ١٩٤٣ (اصبح فون باولوس فيما بعد داعية ضد هتلر) وكان ذلك ايذاناً بأن المبادرة قد انتقلت الى ايدي الروس الذين واصلوا هجماتهم المضادة خلال ١٩٤٣، وكانوا قد القوا في المعارك بفرق جديدة جيدة التسليح، كما تعلموا دروس الحرب الخاطفة واساليب الرد عليها واستطاعوا تنظيم مقاومة واسعة وراء الخطوط الألمانية في الأراضي الروسية المحتلة.

ـ ومن جهة اخرى فقد تعرض الجيش الألماني لانتكاسات في شمال افريقيا حيث خسر المارشال روميل معركة العلمين في نوفمبر ١٩٤٢، واستسلمت قوات المحور في افريقيا للحلفاء، وبدأ الحلفاء في انزال قواتهم

الهجوم الألماني في شمال أفريقيا

في صقلية، ثم في ايطاليا في سبتمبر ١٩٤٣، (وكانت الولايات المتحدة قد دخلت الحرب بجانب الحلفاء رسمياً في ديسمبر ١٩٤١) كما كانت الطائرات الأمريكية الضخمة قد اخذت تشترك في قصف مدن الرور ونسف المصانع التي تزود آلة الحرب الألمانية بالسلاح والعتاد..

وكان الروس يلحون على الحلفاء لفتح الجبهة الثانية بسرعة في غرب اوربا لتخفيف الضغط على الجبهة الروسية. ولا شك ان بداية ١٩٤٣ شهدت انحسار موجة الهجوم النازي وارهاق المانيا ودول المحور..

● وقد كانت مغامرة هتلر في روسيا عاملاً فعالاً في فشل المانيا النازية واستنزاف قواها.

● وكما حدث في الحرب العالمية الأولى فالغلبة في النهاية كانت لأصحاب الإمكانيات الأكبر والمقدرة على تعبئة الموارد البشرية والمادية من اجل المجهود الحربي.

● وقد استطاعت المانيا النازية ان تحقق انتصارات مذهلة في بداية الحرب لتفوقها في التحضير للقتال والحشد واعداد الخطط المبتكرة وتوظيف الأسلحة الحديثة لخدمة استراتيجية الحرب الخاطفة واعتمادها على المفاجأة.. وبسبب روح المصادمة في قواتها الحسنة التدريب والتسليح ولكن المانيا بعثرت جهودها على جبهات متعددة واثارت عداء مجموعات كبيرة من الشعوب والدول وعندما استطاعت هذه الدول ان تفيق من المفاجأة وان تعبئ قواها وتنسق جهودها استطاعت ان تلحق الهزيمة بألمانيا.

ـــ وقد قيل ان هتلر هاجم روسيا لكي يضعف من قدرة بريطانيا على الصمود بأن يحطم آخر قوة اوربية يمكنها ان تتحالف مع بريطانيا كما قيل انه كان يدبر من البداية مهاجمة الاتحاد السوفيتي ويرى ان موسكو تكسب الوقت ريثما تستعد لتهاجم المانيا بعد ان تكون المانيا قد استنزفت قواها في محاربة الحلفاء.. كما ان هتلر كان يرى مجال توسع المانيا هو في شرق اوربا حيث كان حتماً سيصطدم بالنفوذ الروسي، ولذا فقد

بادر بالهجوم قبل ان تكتمل استعدادات الروس وكان يأمل ان تنتهي عملية (بارباروسا) خلال شهرين ونصف على الأكثر ولكن حساباته كانت خاطئة، وكان من رأي بعض القادة الألمان انه يمكن الحصول من الروس بالضغط والأساليب الدبلوماسية على ما تحتاجه المانيا دون حاجة لخوض حرب قد تطول دون نتيجة حاسمة. ولكن هتلر لم يستمع لنصائح اولئك القادة العسكريين وتولى بنفسه قيادة الحملة ضد روسيا.

في اكتوبر ١٩٤٠ حاول موسوليني ان يقلد هتلر في القيام بعملية غزو خاطفة وتحركت جيوشه نحو الحدود اليونانية عبر ألبانيا، ولكن جيوش موسوليني صادفت مقاومة عنيفة وتدخل سلاح الطيران البريطاني لدعم الدفاع اليوناني واحتل البريطانيون جزيرة كريت ومطاراتها التي تضع طائراتهم في مجال قصف حقول النفط الرومانية في بلوستي وهي الحقول التي تعتمد عليها اداة الحرب الألمانية. وامر هتلر القيادة الألمانية بأن تعد خطة لاحتلال كريت. وخلال ذلك كانت جيوش موسوليني عاجزة عن التقدم ثم اخذت تتراجع تحت وطأة الهجمات المضادة للجيش اليوناني والقصف البريطاني، ولكي ينقذ هتلر زميله موسوليني من ورطته قرر احتلال يوغوسلافيا وشمال اليونان. وفي ٦ ابريل ١٩٤١ اغارت الطائرات الألمانية على بلغراد وقصفت المساكن ومقر القيادة وطرق المواصلات مما سبب مصرع ١٧ الفاً من السكان، وفي ١٣ ابريل دخلت القوات الألمانية بلغراد بعد ان تقدمت نحوها من ثلاث جهات وقد ساعد على احتلال يوغوسلافيا الخلافات بين عناصر السكان من الصرب والكروات وقد خسر الألمان في الحملة ضد يوغوسلافيا ٥٥٨ قتيلاً فقط.

ــ ولكن هذا النصر الألماني السريع لم يضع حداً للمقاومة فقد تكونت في يوغوسلافيا اقوى حركات المقاومة وانتشرت حرب العصابات في المناطق الجبلية مما كبد الألمان فيما بعد خسائر كبيرة. ومن يوغوسلافيا تقدمت القوات الألمانية لمهاجمة اليونان كما فتحت جبهة اخرى من بلغاريا، وفي نهاية ابريل سنة ١٩٤١ كانت اليونان قد استسلمت واضطرت القوات البريطانية التي حاولت مساعدتها ــ اضطرت للإنسحاب الى جزيرة كريت.

الحرب في البحر المتوسط:

كان لايطاليا مستعمرات في ليبيا والصومال واريتريا والحبشة بينما كان لبريطانيا قواعد في مصر وجبل طارق وفلسطين ومالطة وللفرنسيين قواعد على الساحل الشمالي الغربي لأفريقيا وقد ظل البحر المتوسط منطقة هادئة حتى دخلت ايطاليا الحرب ضد الحلفاء في يونيو ١٩٤٠ وبعد استسلام فرنسا صار موقف بريطانيا في البحر المتوسط حرجاً. ولكن القوات البريطانية في مصر صمدت لهجوم ايطالي وردت بهجوم مضاد اشتركت فيه وحدات هندية واسترالية اجبرت فيه الإيطاليين على التراجع على امتداد الساحل الليبي في مطلع عام ١٩٤١ واسرت منهم اعداداً ضخمة وتم احتلال اقليم برقة. وفي مايو ١٩٤١ امر هتلر باحتلال كريت بقوات محمولة جواً، وبدأ الغزو في ٢٠ مايو واشتركت فيه ٥٠٠ طائرة قاذفة ومقاتلة و٥٠٠ طائرة نقل و٧٢ طائرة ناقلة شراعية، بقيادة الجنرال كيرت ستودنت والجنرال لور حيث تم احتلال المطارات والمواقع الهامة في الجزيرة واجبرت القوات البريطانية على الإنسحاب.

الحرب في شرق افريقيا:

في يوليو ١٩٤٠ احتلت القوات الإيطالية كسلا والقلابات وفي كينيا تقدموا الى مويال وفي اغسطس احتلوا الصومال البريطاني. وضعت القيادة البريطانية خطة لطرد الايطاليين من اثيوبيا بهجوم من السودان نحو شمال اثيوبيا واريتريا ومن كينيا نحو الصومال الايطالي ومن كينيا عبر جنوب اثيوبيا نحو اديس ابابا.

ــ بدأ الهجوم في فبراير ١٩٤١ وتقدمت قوة دفاع السودان نحو ارتريا وفي ٢٧ مارس دخلت كرن بعد معركة تعتبر من المعارك الفاصلة في شرق افريقيا، وفي ابريل كان قد تم تطهير المنطقة بين بحيرة تانا واديس ابابا وكذلك ميناء مصوع وخلال ذلك كانت القوات الزاحفة من كينيا

قد احتلت الصومال الايطالي، واحتلت قوة من عدن ميناء بربرة، ودخلت القوات الحليفة اديس ابابا في ٦ ابريل ١٩٤١.

ـــ وفي ٢٧ نوفمبر استسلمت القوات الايطالية في آخر معاقلها في جوندار. ومرة اخرى تأكد ان ايطاليا ليست قوة حربية تذكر فقد هزمت بواسطة قوات حليفة اقل عدداً وعدة ولكن احسن تنظيماً وانضباطاً من الجيش الايطالي. فقد خسر الايطاليون قرابة ٢٩٠ الفاً بين اسير وقتيل بينما كانت خسائر الحلفاء في حملة شرق افريقيا ١١٥٤ وان كان ٢٠ الفاً مرضوا بسبب الملاريا والدوزنتاريا مات منهم ٧٤٤. (عدد القوات الإيطالية ٤٢٠ الفاً مقابل ٧٧ الفاً قوات حليفة من جنسيات مختلفة) وقد اظهرت القوة السودانية شجاعة فائقة ومقدرة قتالية عالية في معارك ارتريا واثيوبيا واكتسبت خبرات هامة.

روميل يغير الموقف:

كون الألمان الفيلق الافريقي بقيادة الجنرال اروين روميل وبعثوا به لنجدة الطليان في ليبيا، وصل روميل الى طرابلس في ١٢ فبراير ١٩٤١ وبدأ يعيد تنظيم قواته وارسلت اليه فرقة من البانزر وفرقة مدرعة خفيفة وغطاء جوي، وفي اواخر مارس بدأ روميل زحفه السريع حيث بلغ الحدود المصرية تاركاً طبرق محاصرة. وحشد الجنرال ويفل كل ما لديه من قوات (هندية واسترالية ونيوزيلندية) لتشكل قوة دفاع متحركة تمكنت بصعوبة من وقف تقدم الألمان.

ـــ وفي ١٥ يونيو شن الحلفاء هجوماً مضاداً لفك الحصار عن طبرق ولكنهم فشلوا، وحل الجنرال اوكنلك محل ويفل. وقيل ان من اسباب فشل الهجوم المضاد البريطاني فعالية الأسلحة الألمانية المضادة للدبابات. وفي اواخر نوفمبر شن الحلفاء هجوماً آخر تمكنوا فيه من فك الحصار عن طبرق والتقدم شرقاً بعدها ـــ ولكنهم تحملوا خسائر كبيرة.

ـــ وفي يونيو ١٩٤٢ تطورت الإشتباكات في الصحراء الغربية الى هجوم

الماني ادى الى انسحاب قوات الحلفاء وتكبدها المزيد من الخسائر في معركة سميت « معركة الكولدورن (الغلاية) نسبة لشدة حرارة الطقس » ولم تتوقف قوات روميل الا في العلمين (على مسافة ٨٠ ميلاً من الاسكندرية)، وحاول الجيش البريطاني الثامن بناء خط دفاعي قوي امام الاسكندرية وقدر (اوكنلك) ان هدف الزحف الألماني هو قناة السويس.

معركة العلمين:

في ١٣ اغسطس ١٩٤٢ اعلن ان الجنرال مونتقمري قد تولى قيادة الجيش الثامن بينما تولى الجنرال هارولد الكسندر قيادة القوات المتحالفة في الشرق الأوسط بدلاً من اوكنلك، وكان تشرشل قد زار القاهرة في مطلع اغسطس واعطى توجيهات بضرورة تحطيم قوات المحور في شمال افريقيا. قام مونتقمري باعادة تنظيم وتدريب الجيش الثامن وتسليحه بمعدات حديثة وكان تحت تصرف مونتقمري ١١ فرقة منها ثلاث فرق مدرعة وقوات هندية واسترالية ونيوزيلندية بالإضافة للقوات البريطانية، بينما كان لدى روميل ١٤ فرقة من الألمان والطليان.

ـــ بدأ الهجوم البريطاني في العلمين ليلة ٢٣ ـــ ٢٤ اكتوبر ١٩٤٢ بقصف مركز بالمدفعية واستمرت المعارك سجالا عدة ايام، وهدأت المعارك فترة قصيرة في بداية نوفمبر ولكن في الثاني من نوفمبر تجدد القتال ورجحت كفة الحلفاء وبدأ روميل ينسحب في الخامس من نوفمبر واخذت قوات الحلفاء تتعقبه حتى وصل الى تونس.. وكانت معركة العلمين نقطة تحول هامة في الحرب حيث رجحت كفة الحلفاء في المعارك التالية.. وكانت امريكا قد دخلت الحرب بقوة لدعم قوات الحلفاء وانشأ الحلفاء قيادة مشتركة لطرد قوات المحور من شمال افريقيا واعطيت قيادة العمليات المشتركة للجنرال الأمريكي ايزنهاور.

ـــ وفي ٨ نوفمبر ١٩٤٢ نزلت قوات الحلفاء في الجزائر واحتلت مراكش وتلقى جيش روميل امدادات جوية وبحرية هبطت في تونس وحدثت

في تلك الأثناء تطورات في فرنسا حيث احتل الألمان البقية الباقية من الأرض الفرنسية واغرق البحارة الفرنسيون سفنهم الراسية في ميناء طولون حتى لا تقع في يد الألمان وانضم المزيد من الفرنسيين للحلفاء وبذل الألمان محاولات يائسة لإبقاء طرق امداد جيش روميل مفتوحة، ولكن الحلفاء شنوا هجمات مركزة على قوات المحور المحاصرة في تونس ولعب سلاح الطيران دوراً هاماً في تلك المعارك، وفي ١٣ مايو ١٩٤٢ استسلمت قوات المحور في افريقيا للحلفاء، واخذ الحلفاء ٢٤٠ الف اسير منهم الجنرال فون ارنيم نائب روميل ــ اما روميل نفسه فكان قد تمكن من الإفلات ليتولى القيادة على الساحل الفرنسي ثم ليجبر على تجرع السم بعد ان اتهمه الجستابو بالتآمر على هتلر في مؤامرة يوليو ١٩٤٤.

ــ وبانتهاء معارك تونس لم يعد للمحور قوات على ارض افريقيا حيث خسرت قوات المحور في معارك افريقيا حوالي مليون جندي بين قتيل وجريح واسير ومفقود.

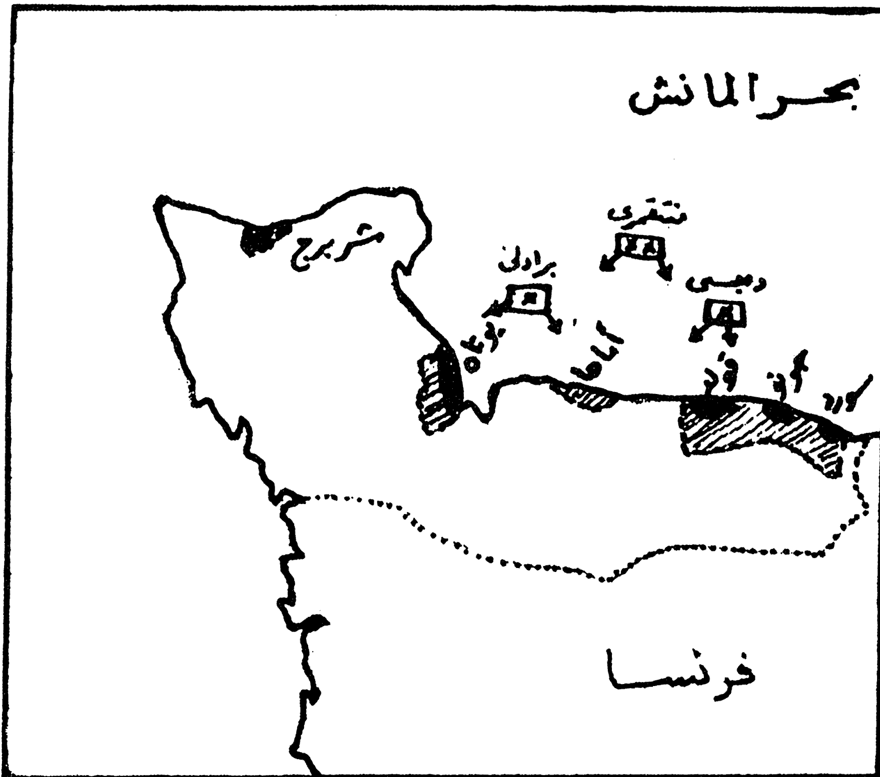
ــ ويقول المؤرخون ان معركة العلمين (اكتوبر ١٩٤٢) ومعركة ستالنقراد (يناير ١٩٤٣) كانتا ابرز معالم التغير في ميزان القوى بين قوات المحور وقوات الحلفاء. ولا ريب ان دخول امريكا الحرب بثقلها قد رجح كفة الحلفاء واتفق الحلفاء في خريف ١٩٤٣ على ضرورة تركيز جهودهم لإلحاق الهزيمة بألمانيا ثم التحول لضرب اليابان.. وقد بدأ التحضير لاحتلال الحلفاء لإيطاليا بعد حملة تونس وفي يونيو ١٩٤٣ بدأت العمليات في صقلية ثم امتدت لإيطاليا في سبتمبر واكتوبر ١٩٤٣ ونزلت قوات امريكية وبريطانية على سواحل ايطاليا واحتلت نابولي وسآلرنو وتقدمت نحو روما. وكان ملك ايطاليا قد اقال موسوليني واعلن انسحاب ايطاليا من الحرب.. ولكن الألمان عادوا لاحتلال ايطاليا وانقاذ موسوليني والتصدي لعمليات الحلفاء وانحازت حكومة بادوليو للحلفاء في ١٣ اكتوبر ١٩٤٣ واعلنت الحرب ضد المانيا وقد استخدم هتلر قوات المظلات لإطلاق سراح موسوليني ووضعه تحت حماية الجيش الألماني..

ــ ولكن في ٢٨ ابريل ١٩٤٥ استطاعت جماعة مسلحة من المقاومة الإيطالية القبض على موسوليني وهو يحاول الفرار لسويسرا واعدم.

ــ وفي مؤتمر طهران (نوفمبر ١٩٤٣) التقى تشرشل وروزفلت وستالين واتفقوا على فتح جبهة جديدة ضد هتلر في فرنسا. وهي الجبهة التي كان الروس يلحون في فتحها، وساور السوفيت الشك ان تأخير فتح الجبهة في شمال فرنسا هدفه استنزاف جهود الجيش السوفيتي، كما ان اختيار ايطاليا موضعاً للوثوب لتحرير اوربا من النازي كان مقصوداً به قطع الطريق امام احتمالات التقدم الروسي غرباً، بالإضافة الى ان طبيعة ايطاليا تساعد على حرب دفاعية طويلة..

العبور (٦ يونيو ١٩٤٤) (عملية اوفرلورد).

كان من رأي البريطانيين مهاجمة قوات الإحتلال الألمانية في اطراف اوربا في الشمال والجنوب وتجنب العبور من بحر المانش. بينما كان من



غزو نورمندي

رأي الأمريكيين القيام بعمليات نزول مباشر الى سواحل فرنسا على ان الطرفين كان من رأيهما ارهاق المانيا بسبب خسائرها المتزايدة في الجبهة الروسية وفي البحر المتوسط. وقد انشأ الحلفاء قيادة مشتركة في بريطانيا لعمليات عبور المانش وتم اختيار الجنرال ايزنهاور قائداً اعلى للقوات المتحالفة (١٩٤٤) والجنرال مونتقمري البريطاني ليكون معاوناً له وبدأ الاعداد لعبور المانش والتمهيد لذلك بعمليات قصف جوي مركز لضرب مراكز الوقود والصناعة والمواصلات الألمانية ولإرهاب الألمان واضعاف روحهم المعنوية، كما ادخلت المقاومة الفرنسية في العمليات الاستراتيجية وصار نشاطها جزءاً من النشاط العام للحلفاء لتدمير القوات الألمانية.

ورد الألمان باستعمال صواريخ (ارض ــ ارض) ضد الجزر البريطانية التي اطلقوا عليها (ف ١ وف ٢) وهي تعني سلاح الإنتقام الأول والثاني وكانت قواعدها في رأس كاليه. واختلف الرأي بين القادة الألمان في خطتهم الدفاعية. كان من رأي رونشتاد ان يحتفظ بقوات احتياطية مدرعة لشن هجوم مضاد لسحق اي قوات للحلفاء تعبر المانش. بينما كان من رأي روميل ان احتكار الحلفاء للسيطرة الجوية سوف يمنع تحرك اي قوة احتياطية لشن هجوم مضاد فعال، وبدلاً من ذلك امر جنوده ببناء خط دفاعي على حافة الساحل مكون من شراك والغام تعطل تقدم الجنود وتجعلهم فريسة لنيران المدافعين.

ــ واهتم الحلفاء بتضليل الألمان عن الأماكن التي اختاروها لإقامة رؤوس جسورهم.. وحشدوا زوارق ومعدات عبور امام رأس كاليه (وهي اضيق نقطة لعبور المانش) بينما كانوا في الواقع يدبرون العبور عند اوسع الخطوط لعبور المانش لإنزال قواتهم على ساحل نورمندي، وهكذا عندما استطاع الحلفاء بناء رؤوس جسور ظل الألمان يترددون في شن هجوم مضاد في انتظار عبور قوات اخرى عند رأس كاليه.

ــ حدد ايزنهاور السادس من يونيو ١٩٤٤ موعداً للعبور الذي سمي (D-DAY).

وسميت رؤوس الجسور يوتاه واماها وجولد وجونو وسورد.. على ساحل نورمندي وقضت الخطة بانزال ٦٠ الف جندي و٦٠٠٠ عربة ناقلة ومدرعة في اليوم الأول حملتهم ٥٠٠٠ سفينة ابحرت في الفجر تحت حماية مظلة جوية هائلة وقوة بحرية ضخمة وقامت قوات المظليين والكومندوس البحرية المحمولة جواً بتطهير المواقع الأولى لاستقبال القوات المتقدمة على الساحل. استخدم الأمريكان معدات حديثة مثل الزوارق ذات القاع المستوى التي تفتح عند بلوغ الشاطئ والعربات البرمائية.. كما جرت السفن معها ارصفة كاملة لتكون بمثابة موانئ مؤقتة، وواجه الأمريكان مقاومة شديدة في رأس الجسر المسمى « اوماها » ولكنهم استطاعوا تعزيز مواقعهم في الليل حيث انزلوا ٣٤ الف جندي وبعدها استطاع الحلفاء ضم رؤوس الجسور معا وتلاحمها لتشكل جبهة واحدة وفي ٢٧ يونيو احتل الحلفاء ميناء شيربورج وسيطروا على شبه الجزيرة تماماً.

ــ وقد حل الحلفاء مشاكل الإمداد فبعد مرور ثلاثة اسابيع منذ العبور استطاع الحلفاء انزال مليون جندي و١٧٧ الف عربة و٥٠٠ الف طن من الإمدادات بينما كان الألمان يعانون من تدمير الخطوط الحديدية في فرنسا ونقص الوقود ولذا فان تحرك قواتهم كان صعباً وكانت قواتهم تصل للميدان بدون معدات ثقيلة ولذا تأخر احتشادهم وقيامهم بالهجمات المضادة. وطلب رونشتاد اعفاءه من القيادة فاعفاه هتلر وعين مكانه فون كلوج وكانت خطة هتلر هي كسب الوقت بامل التوصل لسلاح جديد ويعتقد انه كان ينوي تطوير السلاح الصاروخي كما ان الألمان كانوا يجرون بحوثاً لصنع القنبلة الذرية.

وفي ٢٠ يوليو ١٩٤٤ فشلت مؤامرة دبرها بعض الضباط لاغتيال هتلر ووقف الحرب.. وكان روميل طرفاً فيها.. وتولى هتلر بنفسه قيادة العمليات الحربية بعد ان قام بتعديلات واسعة في القيادة.

ــ في ١٥ اغسطس ١٩٤٤ نزلت قوات حليفة على الساحل الجنوبي لفرنسا واحتلت قاعدة طولون وميناء مرسيليا وفي ٢٥ اغسطس دخل الحلفاء

باريس. واضطر الألمان للتراجع نحو حدود بلادهم بعد ان واجهوا هجمات متعددة. وكانت هجماتهم المضادة قد فشلت واستنفدت قسماً كبيراً من احتياطهم، واحتل الحلفاء الرور بعد معارك ضارية في ابريل ١٩٤٥، قادها الجنرال مونتقمري البريطاني والجنرال عمر برادلي الأمريكي، وفي ٢٥ ابريل ١٩٤٥ تقابل الجيش الأمريكي والجيش الروسي في تارجو على نهر الألب. وكان السوفيت قد بدأوا هجومهم في منتصف ابريل ١٩٤٥ حيث اخترقوا خطوط الألمان واندفعوا نحو برلين وفي الجنوب اتجهوا نحو حوض الدانوب حيث دخلوا فيينا وبودابست واتصلوا بقوات تيتو في يوغسلافيا.

— وفي ٢٢ ابريل بدأت القوات الروسية تضرب برلين وفي ٩ مايو ١٩٤٥ استسلمت القوات الألمانية في برلين وكان هتلر قد انتحر، وكانت القوات الألمانية في الجبهة الغربية قد استسلمت قبل ذلك بيومين.

صور من الحرب العالمية الثانية — الجبهة الشرقية.



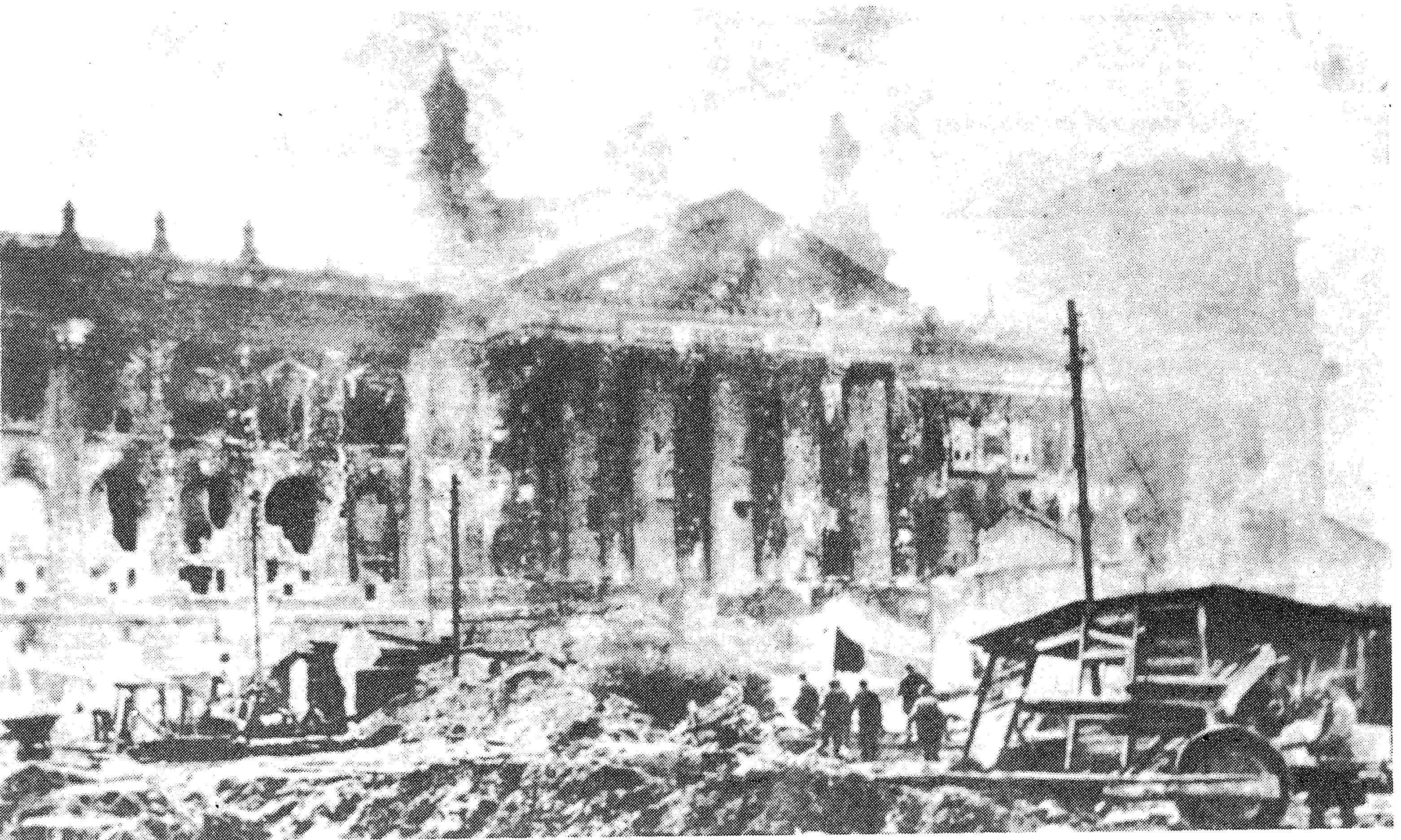
بولندا. المعارك من أجل تحرير وارسو. يناير / عام ١٩٤٥.



رفع العلم السوفييتي على دار الحكومة في برلين.
ابريل ١٩٤٥.



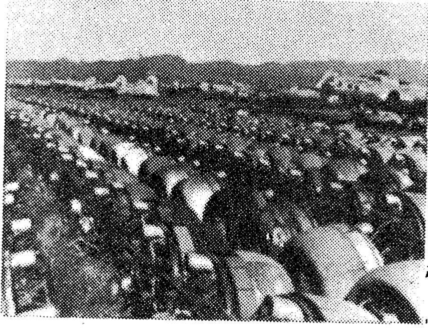
في ٢٥ أبريل / نيسان عام ١٩٤٥ وصلت القوات السوفييتية الى نهر الب في منطقة مدينة تورجاو. وهناك التقت مع الجيش الأمريكي الأول



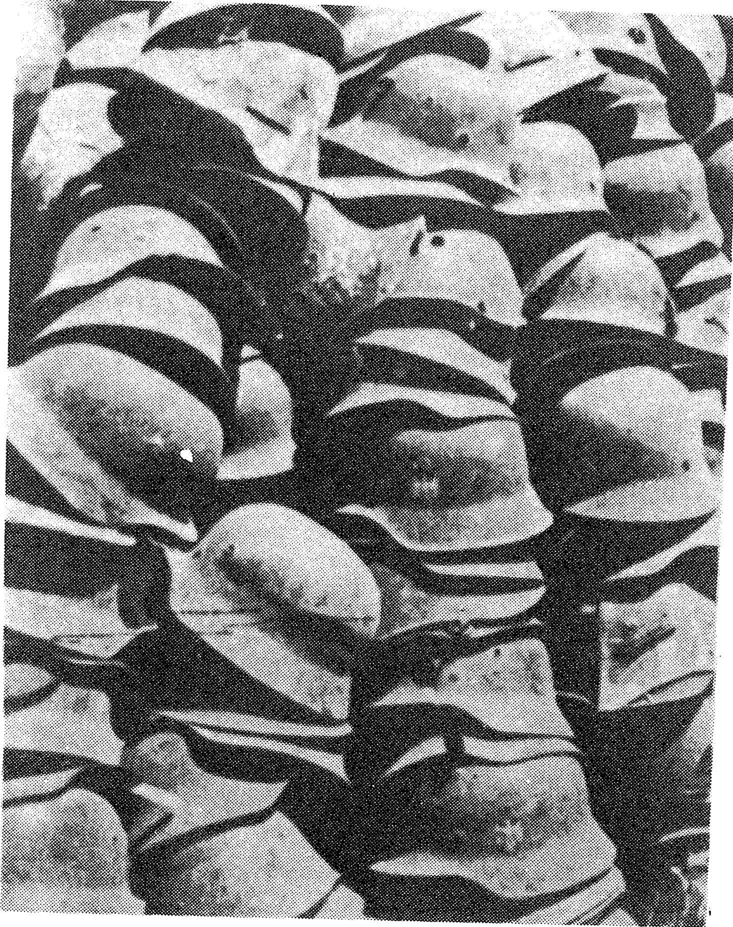
القتال في برلين حول المستشارية. ٣٠ ابريل عام ١٩٤٥



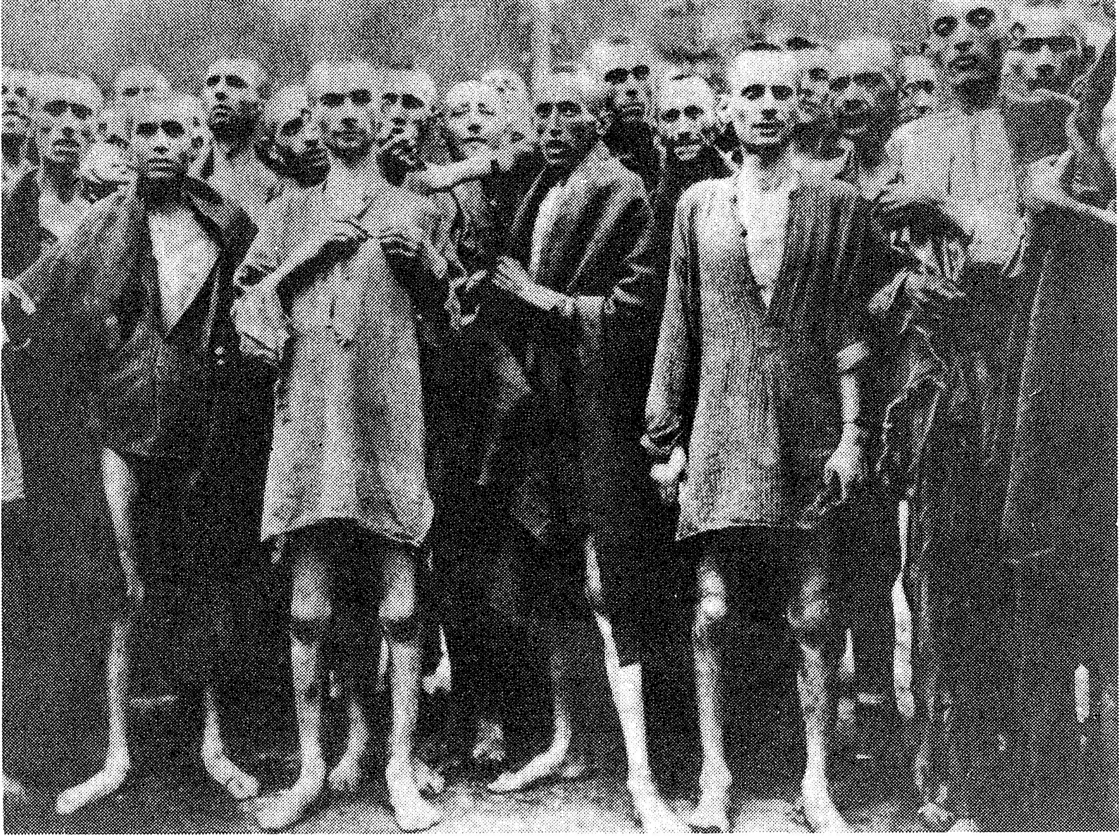
ضابط الماني يوقع وثيقة استسلام المانيا في مايو ١٩٤٥



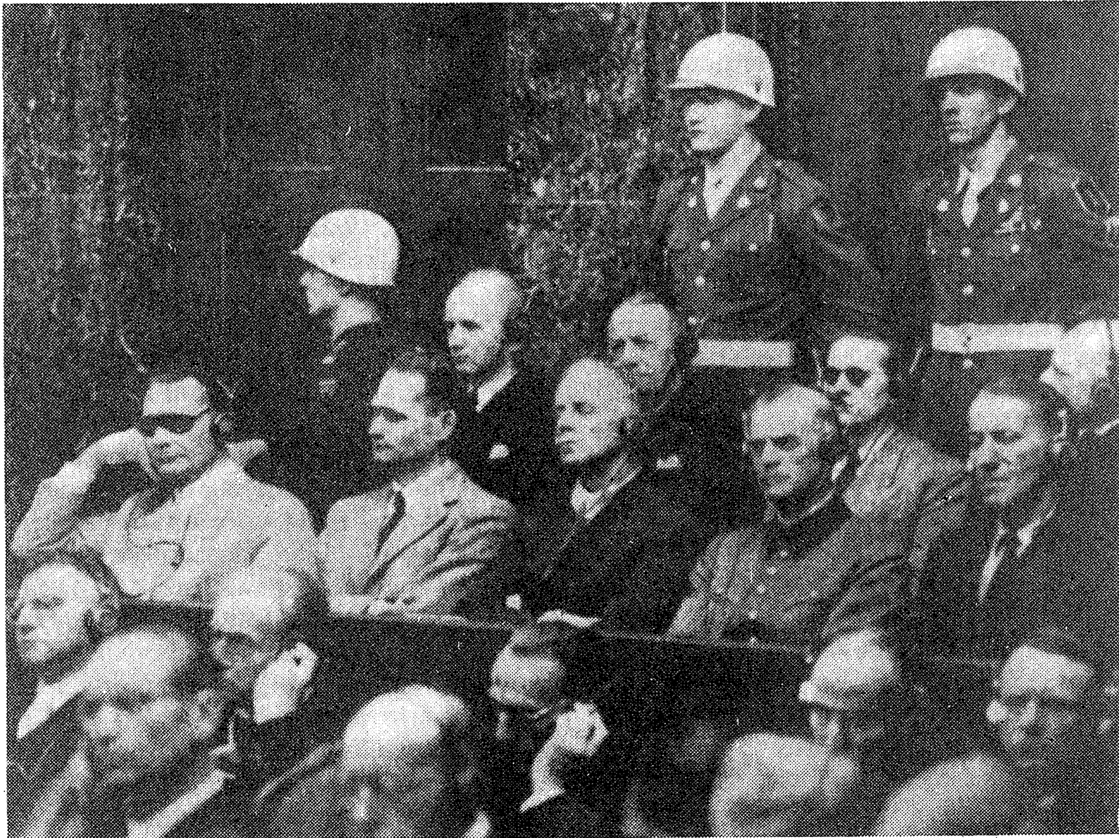
طائرات امريكية من مخلفات
الحرب تركت في العراء



أكوام من خوذات الجنود القتلى

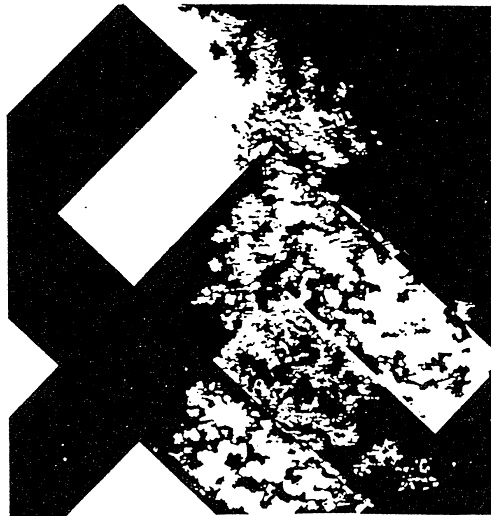


السجناء في معسكرات الاعتقال النازية حيث كانت تجري عمليات الاعدام بالجملة



محاكمات نورمبرج ضد زعماء النازي المتهمين بجرائم الحرب وبينهم جورنج وهيس

وقد كان لدى السوفيت شكوك بأن الحلفاء قد يقبلون استسلاماً جزئياً في الجبهة الغربية بينما يستمر القتال في الجبهة الشرقية، ولذا اصروا على الإستسلام الكامل لألمانيا وكان ستالين قد امر بتطويق برلين وتجاوزها ثم اقتحامها فيما بعد، ولذا وقعت برلين في المنطقة التي احتلها الجيش السوفيتي. وقد تم فيما بعد تمثيل كل الحلفاء في برلين واعطاؤهم ممرات عبر المنطقة السوفيتية التي قامت فيها فيما بعد **جمهورية المانيا الديمقراطية،** ولكن مشكلة برلين صارت من مخلفات الحرب العالمية الثانية التي سببت مواجهات خطرة بين الروس والحلفاء الغربيين. وفي (١٩٤٨ ــ ١٩٤٩) كاد ان يقع الصدام بين السوفيت والأمريكان بسبب الحصار الذي فرضه السوفيت على برلين الغربية.



اليابان والحرب في الشرق الأقصى.

اليابان:

حاولت مملكة (توكو جاوا) الحفاظ على استقلال اليابان بعزلها عن العالم الخارجي ومنعت التبادل التجاري مع الدول الأخرى ودخول السفن الأجنبية لموانىء اليابان، ولكن في يوليو ١٨٥٣ دخلت عدة قطع بحرية

امريكية بقيادة الكمودور ماتيو بيري خليج طوكيو وقدم بيري مذكرة للحكومة اليابانية يطلب فيها عقد معاهدة تجارية بينها وبين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وأصر بيري على الحصول على رد، وفي العام التالي بدأت محادثات بين اليابان وامريكا ادت لتوقيع معاهدة بين البلدين في ٣١ مارس ١٨٥٤، وبذلك بدأت اسوار العزلة التي احاطت باليابان تتحطم. وقد تكونت حركة معارضة للمعاهدات غير المتكافئة التي عقدتها العصبة الإقطاعية مع البرتغاليين والهولنديين والأمريكان واتخذت الحركة شعاراً لها « الولاء للإمبراطور وطرد البرابرة الأجانب » وفي (١٨٦٧ ــ ١٨٦٨) بدأت مواجهة حاسمة بين انصار الإمبراطور وبين امراء الإقطاع.

ــ وفي عام ١٨٦٩ انتهت مرحلة سيطرة امراء الإقطاع على السلطة في الجزر اليابانية التي استمرت سبعة قرون وبدأت مرحلة الحكم المركزي تحت سلطة الإمبراطور وقد أدى ذلك التحول الى فتح مجال لتقدم اليابان بسرعة في شتى المجالات.

ــ وفي ١٨٦٩ نقل الإمبراطور ميجي مقره من جزيرة كيوتو الى طوكيو، وتم نقل السلطة سلميا لحد ما من امراء الاقطاع الى الإمبراطور حيث وافقت السلطة المركزية على منح الأمراء معاشات، ولكن المقاتلين المحترفين من طبقة الساموراي ابدوا مقاومة متفرقة اخمدت بسرعة.

ــ والظاهرة المدهشة في تاريخ اليابان هي ان حكومة المِيجي قررت انه لا مناص من تحديث اليابان وتصنيعها لكي تحافظ على بقائها وحماية كيانها من الضغوط الخارجية ولتحقيق هذه الغاية لم تتردد حكومة الميجي في ارسال البعوث للدول الأوربية ولأمريكا لدراسة العلوم واكتساب الخبرات في شتى المجالات، كما وظفت الحكومة اليابانية خبراء اجانب في بعض المجالات، وابدى الشعب كله استعداداً للتعلم والتطور، كما جرى تعديل نظام التعليم والجهاز الإداري والسياسي وكسر الجمود الطبقي الذي كان سائداً في عهد الإقطاع، واعادة تنظيم القوات المسلحة ووضع اسس الصناعة، وفي ١١ فبراير ١٨٨٩ اعلن الإمبراطور الدستور الجديد (الذي ظل نافذ

المفعول حتى ١٩٤٧) وقد ركز الدستور السلطة في ايدي الإمبراطور وقوى السلطة التنفيذية وان اقام مجلساً للبرلمان، وخلال فترة التحديث سلكت اليابان سياسة خارجية دفاعية ريثما تجتاز مرحلة التصنيع واهتمت اليابان بتأمين الدفاع عن جزرها، فاستولت عام ١٨٧٥ على جزر بونين ثم على جزر اوكيناوا في ١٨٧٩ برغم احتجاجات الصين. ولكنها في اواخر القرن التاسع عشر بدأت اليابان تبحث عن (مجال حيوي) فاشتبكت في حرب مع الصين عام ١٨٩٥ استولت فيها اليابان على فرموزا ثم دخلت الحرب ضد روسيا القيصرية (١٩٠٤ ــ ١٩٠٥) وخرجت اليابان مرة اخرى منتصرة، وبدأت الدول الأوربية تحسب حساب اليابان فتحالفت بريطانيا معها (في الفترة من ١٩٠٢ ــ ١٩١١)، وفي ١٩١٠ ضمت اليابان كوريا اليها واثناء الحرب العالمية الأولى دخلت اليابان الحرب بجانب الحلفاء واستفادت من الحرب في احتلال الجزء الذي كان يحتله الألمان على الساحل الصيني، كما احتل اليابانيون بعض الجزر التي كانت تحت سيطرة الألمان في المحيط الهادي، وفي عام ١٩٣١ احتل اليابانيون منشوريا وحاولوا فصلها عن الصين.

الحرب في الشرق الأقصى:

لقد دخلت اليابان العصر الصناعي في وقت مبكر في القرن الثامن عشر واستطاعت ان تبني جيشاً قوياً وان تحقق انتصارات عديدة، وكانت اليابان تبحث عن مجال حيوي ومستعمرات ومصادر للمواد الخام واسواق لأن الجزر اليابانية هي جزر صخرية قليلة الموارد. وكان الحصول على هذا المجال الحيوي يؤدي للإصطدام بامريكا وبالدول الغربية. وكانت خطة اليابان هي الإستفادة من انشغال الدول الأوربية وامريكا بالحروب في القارة الأوربية واقتناص الفرصة لانتزاع وتأمين المجال الحيوي الذي كانت تطمع فيه.

● وفي نهاية ١٩٤١ كان لليابان جيش تعداده ٢,٥ مليون جندي بالإضافة لإحتياطي ضخم يزيد على ٣ مليون والى اسطول بحري مكون من ٢٣٠ قطعة بحرية كبيرة وسلاح جوي يضم ٧٥٠٠ طائرة.

ـــ وكانت اليابان تحسب حساباً للأسطوال الأمريكي في المحيط الهادي الذي كان يتخذ له قاعدة في ميناء (بيرل هاربر) في جزر هاواي، وكانت اهم قطعه ست حاملات طائرات سريعة. في ١٩٣٢ شن اليابانيون غزواً شاملاً ضد الصين فاستولوا على شنغهاي وبيبنق وقصفوا كانتون ونانكين وتيان تسن واستمر القتال في الصين حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية وبعد اندلاعها. وكانت اليابان قد اقتطعت مناطق واسعة من الصين.

ـــ وفي سبتمبر ١٩٤٠ دخلت اليابان رسمياً في عضوية المحور وهو الحلف الذي يشمل ايطاليا والمانيا، كما توغلت في مستعمرات فرنسا في الهند الصينية بعد سقوط فرنسا، وفي ابريل ١٩٤١ وقعت اليابان معاهدة عدم اعتداء مع روسيا مدتها خمس سنوات، وقامت الولايات المتحدة وبريطانيا وبعض الدول الأوربية الأخرى بتجميد ارصدة اليابان في بنوكها.



الجنود اليابانيون يشنون هجوماً في منشوريا (١٩٣١)

مناطق القتال في الشرق الأقصى ـــ والقوس الدفاعي للنفوذ الياباني (١٩٤٢).

● وكانت استراتيجية اليابان تقوم على مراحل:

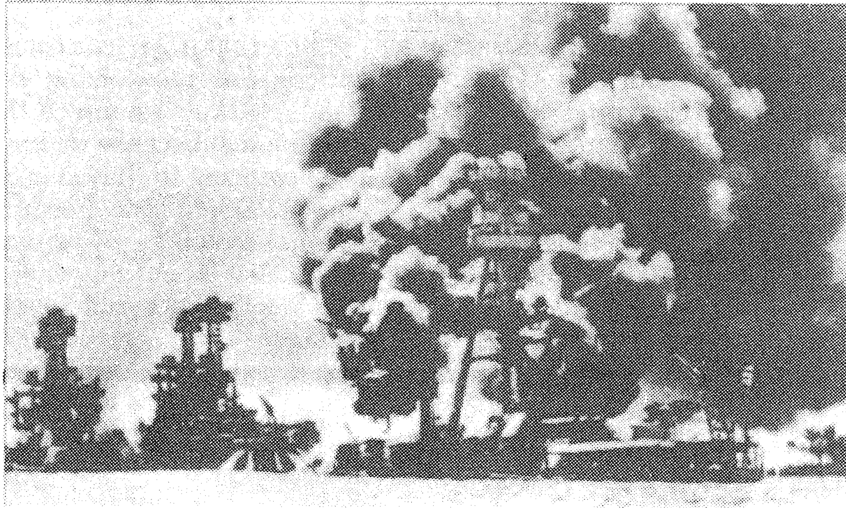
١ ـــ في المرحلة الأولى هدفها تحطيم الأسطول الأمريكي بضربة واحدة. واقامة قوس دفاعي يمتد من جزر كوريل في الشمال الى جزر مارشال وجلبرت في الجنوب.

٢ ـــ في المرحلة الثانية دعم القوس الدفاعي بسلسلة من الجزر المحصنة والقواعد البحرية والجوية.

٣ ـــ في المرحلة الثالثة خوض حرب استنزاف ضد الولايات المتحدة وحلفائها اثناء محاولتهم اختراق دفاعات اليابان ثم فرض الصلح عليهم على اساس قبولهم الأمر الواقع وهو احتفاظ اليابان بالملايو والهند الصينية والفلبين واندونيسيا ومنشوريا واجزاء من الصين.. وفي ابريل ١٩٤١ عقدت اليابان معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي لحماية ظهرها والتفرغ لمواجهة امريكا والدول الأوربية الغربية وهي بذلك قد سلكت مسلك هتلر في اوربا..

● وضعت اليابان خطة محكمة لأخذ المبادرة حيث فاجأت القوة البحرية الأمريكية في (بيرل هاربر) ودمرتها بواسطة هجوم بالطائرات في ٧ ديسمبر، ثم بدأ الهجوم الياباني جنوباً نحو الفلبين والملايو في زحف ذي شعبتين يتحول بعد نجاحه لتوجيه ضربة مشتركة نحو الجزر الأندونيسية، واثناء تلك العمليات قامت جيوش اخرى باحتلال جوام وتايلاند وهونق كونق.. ثم بورما..

● هذه الخطة اليابانية كان فيها طابع المغامرة، حيث انها لم تركز هدفها على منطقة واحدة بل حاولت ان تهاجم عدة مناطق متباعدة في وقت واحد.. ولكن القيادة اليابانية قدرت ان الحلفاء سوف يفاجئهم الهجوم الياباني وسيجدهم غير مستعدين كما ان وضعهم في موقف دفاعي في كل الجبهات سوف يسبب ارباك الحلفاء وعجزهم عن تركيز دفاعهم، كما ان اليابانيين استغلوا عدم وجود تنسيق وثيق بين القوات المدافعة، وعزلتها عن بعضها وامتداد خطوط تموين الحلفاء امتداداً كبيراً، بعكس الجيش الياباني الذي كان قريباً من قواعده.



الحرائق في بيرل هاربر عقب غارة الطائرات اليابانية

● وحتى شهر مارس استطاع اليابانيون تنفيذ الجزء الأكبر من خطتهم واحتلوا الملايو والفلبين والجزر الاندونيسية وقد قابلوا مقاومة شديدة من

القوة الأمريكية في الفلبين ولكنهم تغلبوا عليها واسروا اعداداً كبيرة من قوات الحلفاء.. ولكن الأمريكان تمكنوا من كشف الشفرة التي تستخدمها البحرية اليابانية وبذلك استطاعوا اعداد كمائن للأسطول الياباني في المعارك التالية.. فاحبطوا محاولة لاحتلال غينيا الجديدة (ايريان) كما كبدوا اليابانيين خسائر جسيمة في محاولتهم احتلال جزر هاواي في المحيط الهادي.

● وفي اثناء ذلك كان الأمريكان قد زادوا انتاجهم من الطائرات والغواصات وتمكنوا من مهاجمة خطوط امدادات القوات اليابانية التي تحتل عدداً كبيراً من الجزر في المحيط الهادي واستعدوا لشن هجمات في منطقة وسط الباسفيك حيث استولوا على جزر سليمان وجواد الكنال، في سلسلة من المعارك العنيفة المتصلة استمرت من اغسطس ١٩٤٢ الى ديسمبر ١٩٤٣.

● وبسبب اتساع مسرح العمليات استخدم الجانبان حاملات الطائرات في المعارك الضارية من اجل السيطرة الجوية والبحرية. وفي هذه المعارك تأكدت اهمية السيطرة الجوية وضرورتها.

● وابتكر اليابانيون نظام القوافل السريعة لتموين قواتهم التي صارت تبحر ليلاً خوفاً من الطائرات ونظم الجنرال ماك ارثر سلسلة عمليات لإسترداد المبادرة من اليابان سميت بـ (قفزات الضفدع) لأنها كانت تستدعي احتلال جزر المحيط الهادي وجزر الفلبين واحدة بعد الأخرى في عمليات تتم تحت حماية البحرية والطائرات، بينما شن البريطانيون والاستراليون هجمات مضادة لطرد اليابانيين من بورما ومع نهاية ١٩٤٤ كان ميزان القوى قد تحول لصالح الأمريكان وحلفائهم في المحيط الهادي.. وانتقلت المبادرة لأيديهم تماماً..

● وفي مارس ١٩٤٥ دارت معركة جزيرة ايوجيما التي هاجمها الأمريكان وتكبدوا فيها خسائر كبيرة وتمكنوا من احتلالها بعد قتال عنيف لإتخاذها مع اوكيناوا قاعدة جوية للإغارة على طوكيو ومدن اليابان.

اليابان كسبت المعارك التاكتيكية وخسرت الاستراتيجية:

معركة بيرل هاربر:

قرر الجنرال (ياماموتو) الياباني انه من الضروري قصم ظهر الأسطول الأمريكي قبل خوض الحرب في المحيط الهادي وذلك بتوجيه ضربة مفاجئة له، لأن الأسطول الأمريكي كان هو العمود الفقري للعمليات في المحيط الهادي.

● حشد ياماموتو اسطولاً من ٦ حاملات طائرات وطرادين وبارجتين وعدة مدمرات وغواصات وناقلات وقود بقيادة الادميرال ناقومو في ٧ ديسمبر ١٩٤١ وصلت القوة الى مسافة ٢٠ ميلاً شمال جزر هاواي.

ــ وانضمت للقوة ١٦ غواصة خمس منها اطلقت غواصات صغيرة تسربت لميناء (بيرل هاربر) في جزر هاواي، اما الأسطول الأمريكي الراسي في ميناء بيرل هاربر فكان مكوناً من ٨ بوارج و٩ طرادات و٢٩ مدمرة وخمس غواصات ولم يكن فيه حاملات طائرات.. هاجمت القاعدة الأمريكية موجة اولى من ١٨٣ طائرة يابانية هاجمت المطارات والسفن الحربية في الصباح الباكر وتلتها موجة ثانية من ١٨٠ طائرة يابانية (بعد ٤٠ دقيقة من الموجة الأولى) استطاعت الطائرات اليابانية اغراق خمس بوارج امريكية واعطاب ثلاث، كما الحقت اضراراً كبيرة بالسفن الأخرى وقتلت ٢٤٠٣ جنود وبحارة امريكيين.. اليابان ارتكبت خطأً رغم هذا النجاح وهو (١) تدمير البوارج مع عدم تدمير حاملات الطائرات الأمريكية وكانت عنصراً فعالاً في الحرب البحرية الجوية في المحيط الهادي وهي اهم من البوارج.

٢ ــ فشل الطائرات اليابانية في تدمير معدات الميناء وارصفته وورش الصيانة كما لم تجعل الطائرات المهاجمة مستودعات الوقود الأمريكية من اهدافها.. وكانت تحتوي على نصف مليون برميل من الوقود الحيوي لتحركات الأسطول الأمريكي.

اما من الناحية النفسية فالغارة على بيرل هاربر بالطريقة التي جرت بها ساعدت في نشر روح التحدي بين الشعب الأمريكي واصراره على الحاق الهزيمة باليابان.

ـ من جهة اخرى اعترف الأمريكان ان سبب خسائرهم في بيرل هاربر كان ضعف اجهزة مخابراتهم (ابلغ ضابط رادار ان هناك طائرات تقترب من القاعدة ولكن رئيسه قال انها طائرات صديقة) وهذا يعني ان تقييم المعلومات لم يكن سليماً في القيادة الأمريكية، كما ان القيادة العسكرية الأمريكية لم تضع قواتها في حالة تأهب بالرغم من وجود حالة عداء او حالة حرب غير معلنة بين اليابان وامريكا فالحالة في قاعدة بيرل هاربر كانت حالة استرخاء ولم تكن هناك يقظة لاحتمالات هجوم من العدو.

ـ ولكن المكاسب التاكتيكية التي حققتها اليابان بهجماتها السريعة المفاجئة في البداية.. اخذت تفقدها مع تطور الحرب حيث فقدت المبادرة. وظهرت عدم قدرتها على حماية خطوط امداداتها الطويلة الممتدة، وكان في ذلك ترجيح الكفة لصالح الطيران والأسطول الأمريكي. استردت امريكا زمام المبادرة في الحرب سنة ١٩٤٤ وحشدت امكانياتها كلها لسحق اليابان. وادت هزيمة المانيا النازية وايطاليا الفاشية الى وقوف اليابان وحيدة امام قوة الحلفاء، وبعد ان القى الأمريكيون قنبلتهم الذرية الأولى فوق هيروشيما والثانية فوق نجازاكي اضطرت اليابان الى الإستسلام، وتولى الجنرال الأمريكي ماك ارثر رئاسة سلطة الإحتلال، وفرض على اليابان دستوراً جديداً وعدل مناهج التعليم، واتخذ اجراءات لتغيير الإدارة وازالة قدسية البيت الإمبراطوري ومنع اليابان من بناء قوات مسلحة بما يضمن عجزها عن تهديد الولايات المتحدة الأمريكية من جديد. والجدير بالذكر ان اليابان بعد الحرب هددت المصالح الأمريكية في التنافس السلمي على غزو الأسواق حيث استطاعت المنتجات اليابانية ان تنافس المنتجات الأمريكية في عقر دارها مما جعل الين عملة اقوى من الدولار.

ظاهرة فريدة:

وتعتبر اليابان ظاهرة نادرة في تاريخ تطور الأمم، فقد قام اباطرة الميجي بعد انتزاع السلطة من امراء الاقطاع (الشوقان) في ١٨٦٨ بالعمل الواعي لبناء بلادهم كقوة صناعية وحربية كبرى تنافس الدول الأوربية وامريكا، وقد استفادوا من وضع اليابان المميز وهي انها بلد لم يخضع للغزو والسيطرة الأجنبية خلال تاريخه الطويل، كما ان شعبه عريق ويمتاز بالتجانس التام بين عناصره، وهذا يجعل الشعور القومي قوياً، ولكن وضع اليابان كجزر صخرية على طرف القارة الآسيوية يغريها بالعزلة كما يحميها من الغزاة، وعندما دخلت اليابان العصر الصناعي ازداد اعتمادها على العالم الخارجي لإستيراد الوقود والمواد الخام والغذاء، وهذا الإعتماد على المناطق الكائنة وراء الحدود مع قوة الشعور القومي جعل من السهل اقناع الشعب بسياسة التوسع الخارجي لضمان استمرار وتقدم الدولة، وقد شبه كثير من المؤرخين وضع اليابان بوضع بريطانيا. وقد رأت امريكا بعد استسلام اليابان ان افضل حل لضمان بقاء اليابان بعيداً عن مجال تهديد امريكا هو تغيير قيم المجتمع الياباني وامركته ليأخذ ملامح المجتمع الأمريكي، وفرضت سلطات الإحتلال الأمريكية برئاسة الجنرال ماك ارثر دستوراً جديداً لليابان في ١٩٤٦، نزع سلطات الإمبراطور وجعله يملك ولا يحكم، وادخل النظام اللبرالي على النمط الغربي، كما قام ماك ارثر بإجراء اصلاح زراعي محدود لكسر شوكة الإقطاع لحساب تشجيع الرأسمالية الزراعية، وفي اول سبتمبر ١٩٥١ تم التوقيع في سان فرانسيسكو على معاهدة الصلح بين اليابان وامريكا وقد وقعت عليها ٤٨ دولة ولكن الإتحاد السوفيتي والصين الشعبية والدول الأخرى الشيوعية رفضت التوقيع عليها.

وقد انتعش الإقتصاد الياباني نتيجة للقروض والأموال الأمريكية التي تدفقت على اليابان واستطاعت اليابان بناء صناعاتها وتحديثها وتطويرها حتى نافست السلع اليابانية البضائع الأمريكية في السوق الأمريكية ذاتها، وفي ظل اللبرالية الجديدة تطورت الحركة النقابية كما ظهرت تيارات اشتراكية قوية في اليابان.

وكان الشعب الياباني في مقدمة الشعوب المطالبة بتحريم الأسلحة الذرية تحريماً تاماً لأنه اول من اكتوى بنارها وذاق ويلاتها الرهيبة..



الساموراي

الحرب العالمية الثانية ودور سلاح الطيران والقصف الجوي:

شهدت الحرب العالمية الثانية تطوراً هاماً في سلاح الطيران واستخدامه والتحسينات المطردة في الطائرات المروحية.

وبالرغم من ان الطائرة استخدمت في الحرب العالمية الأولى الا انها لم تستخدم الا في عمليات محدودة بقصد الإستطلاع او المساعدة في ضبط التهديف للمدفعية، ولم تكن الطائرات الأولى قادرة على حمل كميات كبيرة من القنابل كما ان القاء القنابل على الأهداف الأرضية لم يكن دقيقاً

ومع ذلك استخدمت الطائرات في الحرب الأولى لدعم تقدم المشاة في بعض العمليات التاكتيكية.

ـــ وفي الحرب العالمية الثانية طور الألمان الطائرات المقاتلة اهمها (مسرشميث) والطائرات القاذفة (المنقضة طراز شتوكا وهنيكل القاذفة المتوسطة) كما زودت الطائرات المطاردة بالرشاشات لمهاجمة المشاة (STRAFING) كذلك استخدم الألمان الطائرات للنقل الجوي ولإلقاء جنود المظلات، واستخدموا الطائرات الشراعية لعمليات الإنزال وراء خطوط الأعداء للحصول على عنصر المفاجأة، واتموا عمليات انزال ناجحة في غزو هولندا وبلجيكا وكريت.. ولكن خسائرهم كانت كبيرة مما جعلهم يحجمون عن التوسع في تلك العمليات..

وقد استعد الألمان للحرب بصنع عدد كبير من الطائرات الحربية وتدريب الطيارين على عمليات الحرب الخاطفة، ودربوا عملياً عدداً من طياريهم بارسالهم للجبهة الإسبانية حيث حاربوا بجانب قوات فرانكو في الحرب الأهلية (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩).



هتلر مع الطيارين

ـــ ومع ان الحلفاء كانوا هم اول من استخدم الدبابة في الحرب العالمية الأولى ولم يفطنوا لإمكانياتها القتالية كسلاح هجومي، كذلك لم يفطن الحلفاء لدور الطائرة. وان كان (دوهيت) الإيطالي قد دعا بعد الحرب العالمية الأولى لإستخدام الطائرات كأساطيل جوية في عمليات قصف استراتيجي كثيفة لتدمير معنويات العدو، الا ان كتاباته لم تجد اهتماماً. اما الألمان فقد طوروا سلاح الطيران الألماني (اللفتواف) كسلاح مستقل مثل السلاح البحري، ووضعوا له مهام تاكتيكية في مساعدة قواتهم المدرعة وكان التنسيق بين الهجمات الجوية وتاكتيكات فرق البانزر المدرعة فعالاً في سرعة تقدم القوات الألمانية، كما ان استخدام سلاح الطيران في قصف المدن الهامة (وارسو ـــ روتردام ـــ بلغراد) كان له اثره الحاسم في انهيار المقاومة بسرعة في البلدان التي تعرضت للغزو النازي.

ـــ اما الحلفاء فكانوا يوزعون طائراتهم على فرق المشاة لتقوم بعمليات الدعم التاكتيكي مثلها مثل الدبابات، وهم في ذلك كانوا ينطلقون من فلسفة قوامها ان الأساس هو سلاح المشاة وهذا يعني ان فلسفتهم كانت دفاعية بحتة بينما الألمان اعطوا الأساس للوحدات المدرعة والميكانيكية وجعلوا سلاح الطيران قوة ضاربة لدعم تقدمها، ومعنى هذا ان الهجوم كان الشكل الرئيسي لأساليبهم القتالية، وكانت ميزة الألمان هي تكثيف دباباتهم وطائراتهم للقيام بمهام الإختراق والتقدم والتطويق كما ان الطيران كان اساسياً في دعم عمليات القوات المحمولة جواً وانزالها وراء خطوط العدو لإرباكه وتحطيم مقاومته. ولكن الألمان بعد الإنتصارات الساحقة في عام (١٩٣٩ ـــ ١٩٤١) لم يواصلوا تطوير خبراتهم في مجال الطيران، وفي معركة بريطانيا اصيب هتلر بخيبة امل كبرى في سلاحه الجوي الذي كان يقوده المارشال قورنق حيث فشل (اللفتواف) في السيطرة على الأجواء البريطانية وتكبد خسائر كبيرة اضطرته لوقف عملياته فوق بريطانيا.

ـــ وكان السبب في ذلك استخدام البريطانيين للرادار بكفاءة (RADAR = Radio detection & ranging) واعتماد الطائرات البريطانية على

توجيهات المحطات الأرضية وارتباط شبكة الدفاع الأرضية بمحطات الرادار، كما ان البريطانيين صنعوا طائرات اسرع وتحلق على ارتفاعات اكبر من الطائرات الألمانية.

ـــ واكتشف الألمان بعد معركة بريطانيا ان كسب السيطرة الجوية لا يكون بالضرورة في معارك ضخمة بين اسراب الطائرات المقاتلة بل يكون بضرب شبكات الدفاع الجوي والمطارات وما فيها من طائرات جاثمة، وان تطوير الدفاع الجوي لا يقل اهمية عن بناء الطائرات المقاتلة، وكان الإعتقاد السائد قبل الحرب العالمية الثانية انه لا يوجد دفاع ارضي فعال ضد الطائرات المهاجمة ولكن اجهزة الرادار المرتبطة بالمدفعية المضادة للطائرات اكدت فعالية الدفاع الأرضي ضد الغارات الجوية.

وقد استخدم الألمان في تقدمهم الطائرات المنقضة التي كانت تصدر صوتاً عنيفاً لتدمير الأهداف وجعلوا منها شبه مدفعية متحركة، وكان الحلفاء يطلقون مناطيد مقيدة بأسلاك فوق الهدف للوقاية من هجمات الطائرات المنقضة التي كان عليها ان تنقض فوق الهدف تماماً لإلقاء حمولتها.

ـــ والجدير بالذكر ان الألمان صنعوا فعلاً طائرة نفاثة في ١٩٤٤ وكان اسمها السري (ME 262) ولم يتح لهم استخدامها، وكان هتلر يريدها طائرة نفاثة قاذفة للقنابل ولم تكن النماذج الأولى منها بقادرة على حمل القنابل اذ كانت تحمل كميات كبيرة من الوقود، ولذا اوقف انتاجها واتجه الباحثون الألمان وعلى رأسهم (فون براون) (الذي اشرف على برنامج (ابولو) لغزو الفضاء في امريكا فيما بعد) اتجهوا لصنع الصواريخ (ف ١) و (ف ٢) لضرب لندن. وهذه كان ينقصها التوجيه لإصابة اهدافها بدقة، ولكن هتلر لم يشجع البحوث النظرية في مجال الأسلحة بل كان يريد اسلحة ذات طبيعة عملية ونفع مباشر، وان كان قد ثبت بعد الحرب العالمية الثانية ان العلماء الألمان كانوا يبحثون في صنع القنبلة الذرية.. وكانوا قد اقتربوا كثيراً من اسرارها.

القنبلة الذرية:

في اغسطس ١٩٣٩ كتب العالم الألماني اليهودي الأصل البرت اينشتين رسالة الى روزفلت قال فيها انه يمكن صنع قنبلة تقوم على استغلال الطاقة الناجمة عن تحطيم الذرة، وهي طاقة هائلة ونصح اينشتين بالبدء في اجراء البحوث حول هذا الموضوع حتى لا تسبق دول اخرى امريكا في هذا المضمار.

ــ واقتنع الرئيس الأمريكي برسالة اينشتين وامر بتوفير كل الإمكانيات اللازمة لصنع القنبلة الذرية، ووضعت العمليات المتصلة بالمشروع تحت اشراف الجنرال (لسلي جروفز) وسمي المشروع بالإسم السري (المنطقة الهندسية لمانهاتن) MANHATTEN ENGINEERING DISTRICT او باختصار مشروع مانهاتن.

ونجحت تجربة اول قنبلة ذرية فجرت في صحراء (الموجورادو) في يوليو ١٩٤٥.

ــ وكان الألمان قد طوروا عمليات القصف الجوي الاستراتيجي الذي يستهدف ضرب مدن الأعداء وتدمير الأهداف الاستراتيجية وبدأوا بشن غارات عنيفة على المناطق الصناعية وشبكات المواصلات والمرافق الهامة ومخازن الوقود في المانيا. وكان لدى الأمريكان اساطيل من الطائرات الضخمة المروحية البعيدة المدى تحرسها اسراب من المقاتلات وقد احدثت هذه الغارات دماراً واسع النطاق بمدن المانيا الصناعية ومجهودها الحربي.

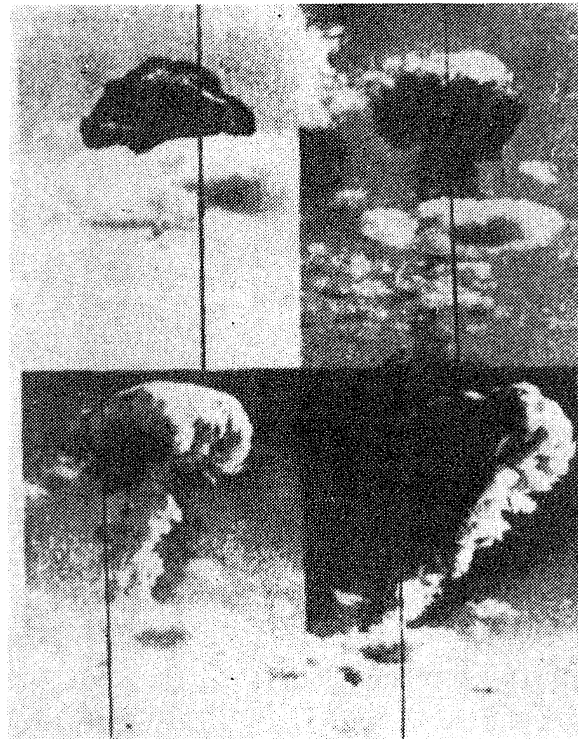
ــ ولكن الأمريكان كانوا يواجهون مقاومة عنيفة من القوات اليابانية في الشرق الأقصى، كما ان المسافات الشاسعة في الشرق الأقصى لم تكن تسمح بعمليات قصف استراتيجي واسع النطاق، وكانت حاملات الطائرات الأمريكية معرضة للهجمات الإنتحارية التي يقودها الطيارون اليابانيون من فرق (الكاميكاز).

ــ وفي مؤتمر طهران في ديسمبر ١٩٤٣ ابلغ ستالين روزفلت وتشرشل

ان الإتحاد السوفيتي سيدخل الحرب ضد اليابان بعد ان تهزم المانيا، ورحبت امريكا بذلك وان كانت قد خشيت توسع النفوذ الروسي في الشرق الأقصى، وكانت روسيا تطالب بضم جزر كوريل وجنوب جزيرة سخالين اليها ــ (وقد ضمتهما اليها فعلاً مما سبب توتر علاقات موسكو وطوكيو لفترة طويلة بعد الحرب العالمية الثانية).

ــ وفي ٦ اغسطس عام ١٩٤٥ امر ترومان بقصف هيروشيما بقنبلة ذرية حملتها طائرة امريكية من طراز (ب ٢٩) ــ وفي ٩ اغسطس القيت قنبلة ثانية على نجازاكي وقد راح ضحية القنبلتين قرابة المائتي الف نسمة، مما اجبر اليابان على الإستسلام بلا قيد او شرط (وكانت تساوم على وضع الإمبراطور) وكان الإتحاد السوفيتي قد اعلن الحرب ضد اليابان في ٨ اغسطس ١٩٤٥.

ــ وقد ترك القاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكي آثاراً سياسية وعسكرية خطيرة..



تجربة قنبلة ذرية امريكية في نيفادا

فمن جهة كان تدمير هيروشيما ايذانا بدخول العالم العصر الذري وبظهور السلاح المطلق الذي يضع وجود الحضارة الإنسانية نفسها في موضع التساؤل ويستدعي استراتيجية سياسية وعسكرية جديدة.

ومن جهة اخرى فان امريكا خرجت ظافرة من الحرب العالمية الثانية ولكن الشعوب الآسيوية كانت تنظر نحوها بكثير من التشكك، وتبنى السوفيت الفكرة القائلة بأن اليابان كانت ستستسلم على اي حال ولم يكن ثمة داع لقصفها بالقنابل الذرية، ولكن امريكا ارادت استعراض قوتها وارهاب السوفيت ووقف امتداد نفوذهم على حساب النفوذ الغربي.



اثنان من الناجين من القنبلتين النوويتين اللتين القيتا على اليابان في مهرجان نزع السلاح العام خارج الامم المتحدة ١٩٨٥

ballito

News Chronicle

LATE LONDON EDITION

THIS day FIELD-DAY

On this Bank Holiday the course of world history may have been altered

FORCE OF NATURE HARNESSED:
ATOM BOMB ON JAPAN

Power equal to 20,000 tons of T.N.T.

Next step is to control the force

ALLIES BEAT GERMANS IN BATTLE OF SCIENCE

"IT CAN BE DONE," HE SAID IN 1941

British and U.S. scientists pooled skill

WASHINGTON, Monday.

IT MAY BE THAT THIS BANK HOLIDAY WEEK-END THE COURSE OF WORLD HISTORY WAS CHANGED. FOR AT 11 A.M. IN THE WHITE HOUSE TODAY PRESIDENT TRUMAN ANNOUNCED THAT BRITISH AND AMERICAN SCIENTISTS, WORKING TOGETHER, HAD "HARNESSED THE BASIC POWER OF THE UNIVERSE," AND THAT A FEW HOURS EARLIER THE FIRST ATOMIC BOMB HAD FALLEN ON A JAPANESE CITY.

Hidden cities housed the workers

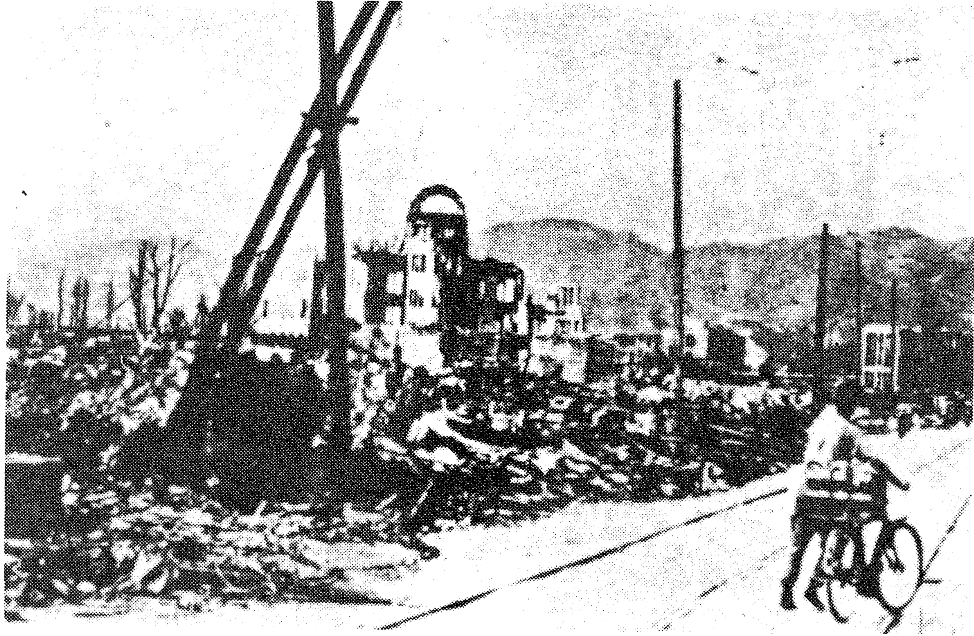
TARGET, AND RESULT

First atom bomb vaporised tower

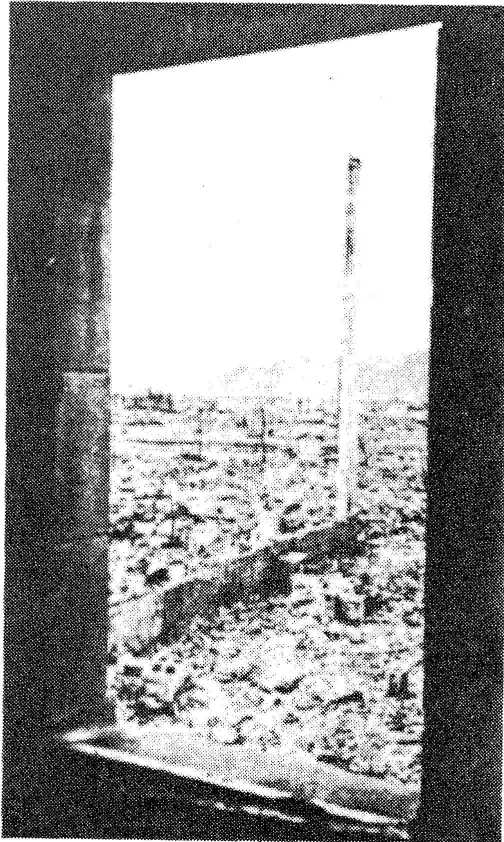
What is meant by atomic energy

LET the BELLS RING *but...*

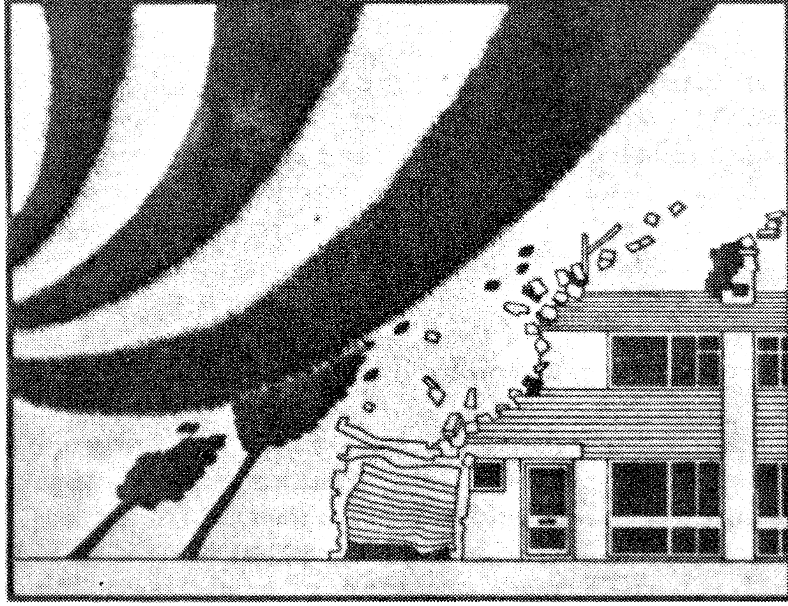
صورة الصفحة الأولى من صحيفة نيوز كرونيكل طبعة لندن
عدد ٧ أغسطس ١٩٤٥ وفيها خبر القاء القنبلة الذرية على اليابان.



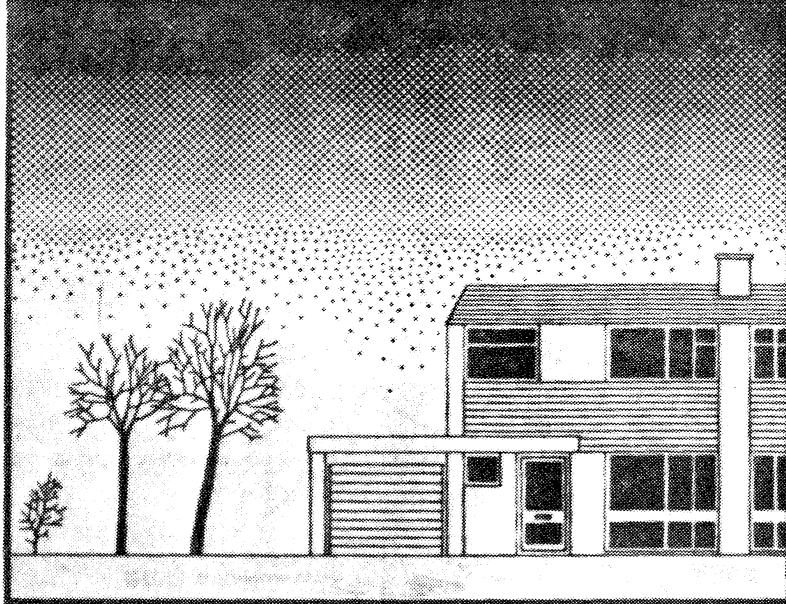
هذا كل ما تبقى من هيروشيما بعد قصفها بقنبلة ذرية في ٦ أغسطس ١٩٤٥



هذه اطلال نجازاكي بعد قصفها بقنبلة ذرية في ٩ أغسطس ١٩٤٥ (صورة لم يسمح بنشرها إلا عام ١٩٧٥)



موجة الحرارة والضغط تحطم المباني وتقتل كل الأحياء في دائرة قطرها خمسة اميال من مركز الانفجار



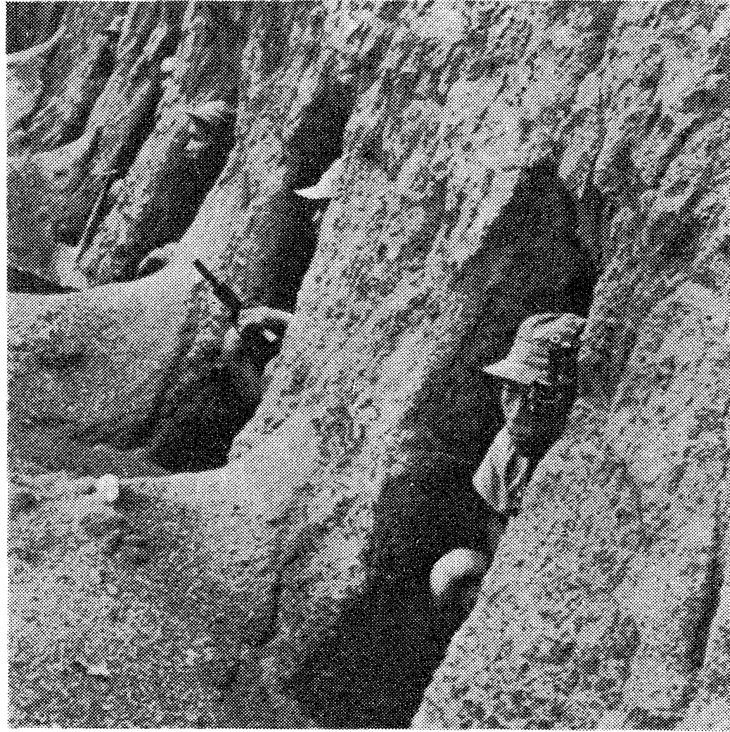
ثم بعد ذلك تأتي سحب الغبار المشع والهواء الملوث بالاشعاع فتنتشر في مساحات واسعة تتجاوز منطقة الانفجار بآلاف الأميال..

استمرار الحرب المحدودة في الشرق الأقصى:

رافق معارك الحرب العالمية الثانية تصاعد في مستوى الوعي السياسي لدى الجماهير في قارات العالم، كما اسفرت الحرب عن مد وطني عارم في انحاء البلدان المستعمرة والخاضعة للنفوذ الإستعماري، واشتد ساعد حركات التحرر الوطني المناضلة للخلاص من سيطرة الإستعمار.

وقد خرجت دول الإستعمار القديم الأوربية وهي اضعف كثيراً بعد ان استنزف الصراع الطويل قوتها، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي كقوتين عملاقتين تتزعم كل منهما معسكراً من الدول الأقل قوة.

غير ان توقف القتال بين الدول الكبرى في اوربا والشرق الأقصى لم يمنع استمرار المعارك وحروب التحرير في مناطق عديدة من العالم. وقد دارت اكبر المعارك في الصين بين جيوش شيانق كاي شيك وجيوش ماوتسي تونق وقد ظن شيانق كاي شيك ان الفرصة سانحة بعد هزيمة اليابان لفرض



جنود الصين الوطنية (كاي شيك) يتحصنون في جزر كيموي (١٩٥٤)

حكم (الكومنتانق) ولكن هجماته باءت بالفشل كما انحازت فرق بأكملها من جيوشه الى ماوتسى تونق وساعد على انهيار نظام كي شيك الفساد واستغلال النفوذ والتضخم المالي، وبالرغم من المساعدات الأمريكية الحربية والإقتصادية الضخمة اضطرت قوات كاي شيك الى التراجع الى جزيرة فورموزا (تايوان) في نهاية ١٩٤٨.

ـــ وفي يونيو ١٩٤٩ تشكل في الصين المؤتمر السياسي الإستشاري الذي اختار اعضاء الحكومة المركزية للصين بزعامة ماوتسي تونق في مرحلة (الديمقراطية الجديدة) وكان نصف اعضاء الحكومة من خارج الحزب الشيوعي الصيني، حيث سلكت حكومة بكين في تلك الفترة سياسة معتدلة ازاء الفئات المتوسطة وحاولت كسبها لصف تحالف قوى الشعب العامل بينما اتخذت خطا لا تهادن فيه ضد المصالح الإستعمارية وضد الإقطاعيين، وقامت في تلك الفترة بتطبيق خطة الإصلاح الزراعي وفي عام ١٩٥٠ بدأت الصين تنفيذ اول مشروع للتنمية للسنوات الخمس، وكان وفد صيني قد وصل الى موسكو في ديسمبر ١٩٤٩ ووقع معاهدة « للصداقة والتحالف والعون المتبادل » بين موسكو وبكين، وحصلت الصين على قرض سوفيتي قيمته ٣٠٠ مليون دولار كما اقيمت مشروعات (سوفيتية ـــ صينية) مشتركة وكان ماوتسي تونق قد زار موسكو في ١٩٥٠ واجتمع طويلاً مع ستالين وبالرغم من تأكيد (ماو) لدور الفلاحين في الثورة الصينية واصراره على ضرورة اعتماد الصين على امكانياتها الذاتية في المقام الأول لإنجاز التصنيع وحفز الإنتاج الا ان العلاقات مع موسكو ظلت قوية وتدعمت خلال اشتراك قوات من المتطوعين الصينيين في القتال الى جانب كوريا الديمقراطية في الحرب الكورية، ومنذ انسحاب قوات كاي شيك الى فورموزا رابط الأسطول الأمريكي في مضايق فورموزا واعتبرت الصين امريكا العدو الأول لثورتها.

ـــ وقد حققت الصين بنجاح مشروع السنوات الخمس الأول وفي ١٤ يونيو ١٩٥٤ تبنت الدستور الجديد وفي ابريل ١٩٥٥ تم سحب القوات الروسية من منشوريا ولاحظ المراقبون ان التناقضات في علاقة موسكو وبكين اخذت تظهر على السطح بعد وفاة ستالين.

فيتنام:

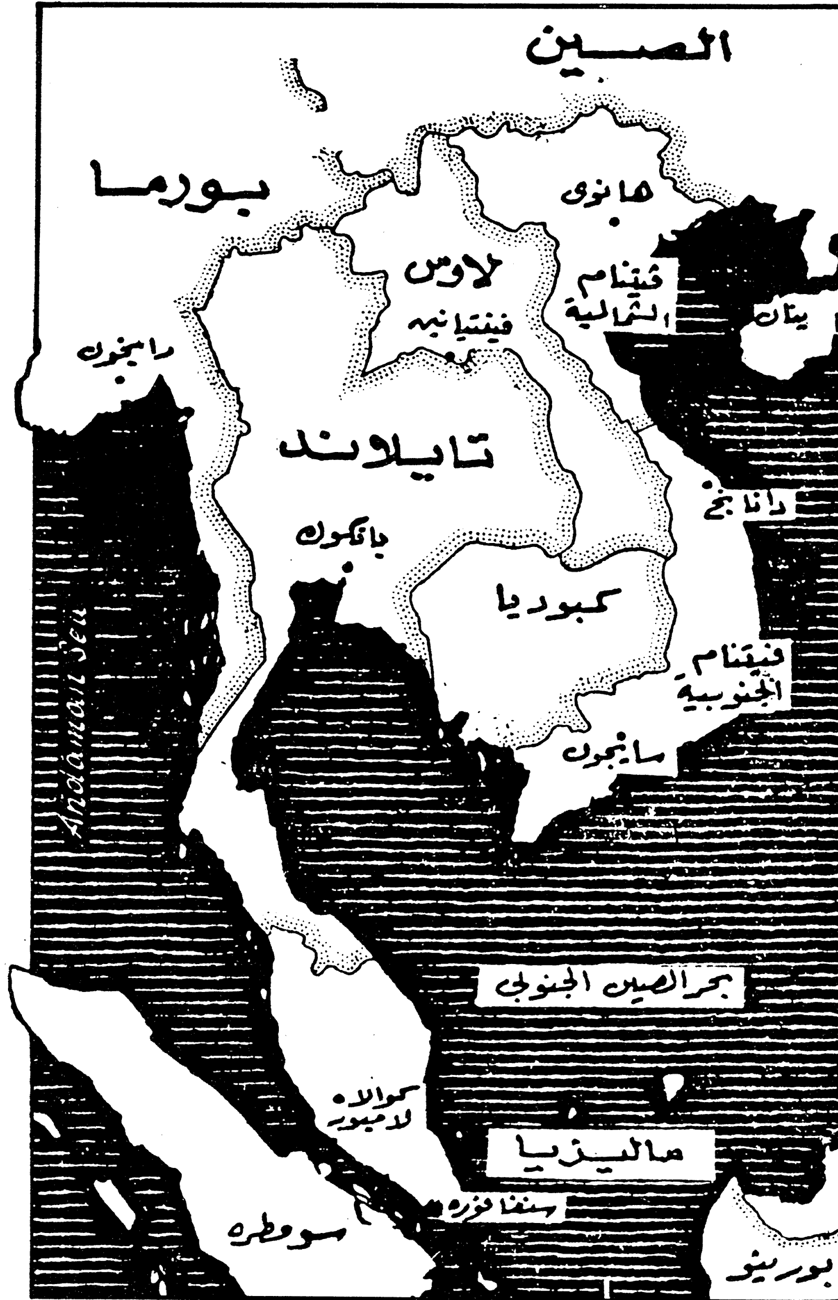
وفي الهند الصينية تكونت عام ١٩٤١ جبهة تحرير فيتنام التي شنت حرب التحرير ضد قوات الإحتلال اليابانية وبعد استسلام اليابان نزلت قوات فرنسية في جنوب فيتنام ومعها قوات بريطانية بينما زحفت قوات تابعة لشيانق كاي شيك نحو شمال فيتنام لاحتلالها وبدأ قتال عنيف مع قوات جبهة تحرير فيتنام المسماة (الفيتمنه) بقيادة هوشى منه.

— وفي ١٩٤٧ اعلن الجنرال نجويان فوجياب ان حرب العصابات قد تحولت الى حرب متحركة لتحرير فيتنام، وشهد عام ١٩٥٠ اعتراف عدد من الدول الشيوعية بحكومة الفيتمنه..

— وفي نوفمبر ١٩٥١ اعلن الصينيون انهم أتموا بناء خط حديدي الى الحدود مع شمال فيتنام لنقل الإمدادات للفيتمنه، وفي يناير ١٩٥٢ قتل القائد الفرنسي الجنرال دي لاتر دي تاسيني وكان قد حاول اتخاذ تاكتيك هجومي ضد القوات الفيتنامية، وبعد النكسات التي اصيب بها الفرنسيون بدأت امريكا ترسل عونها العسكري الكبير مما مكن الفرنسيين من زيادة قواتهم الى ١٨٠ الفاً في عام ١٩٥٣ وتجنيد مائة الف في الجيش الموالي لهم والذي اصبح فيما بعد جيش فيتنام الجنوبية ومن جهة اخرى زاد الثوار نشاطهم بحيث صار جيشهم النظامي يبلغ ١٥٠ الفاً كما وسعوا نشاطهم في لاوس، وقد اقام الفرنسيون مركز دعم عملياتهم في المنطقة الحصينة في ديان بيان فو، وقد قام الثوار بتطويق القاعدة الفرنسية في ديان بيان فو وقد استطاع الثوار السيطرة على الموقف برغم تفوق الفرنسيين في الطائرات، وتمكن الثوار من جلب مدفعيتهم وتغطيتها بعناية ومنعوا استخدام المطار الحربي بعد مارس ١٩٥٤.. وتمكنت قوات الثوار من اقتحام تحصينات ديان بيان فو وتدميرها، وفي ٨ مايو ١٩٥٤ استسلمت الحامية الفرنسية في ديان بيان فو. وكانت ضربة قاصمة لنفوذ فرنسا في جنوب شرقي آسيا مما دعا امريكا للتدخل مباشرة لحماية المصالح الغربية في المنطقة وهدد وزير خارجية امريكا المستر فوستر دالاس الصين بأنها

سوف تتعرض للقصف الجوي اذا واصلت ارسال المساعدات لثوار فيتنام.

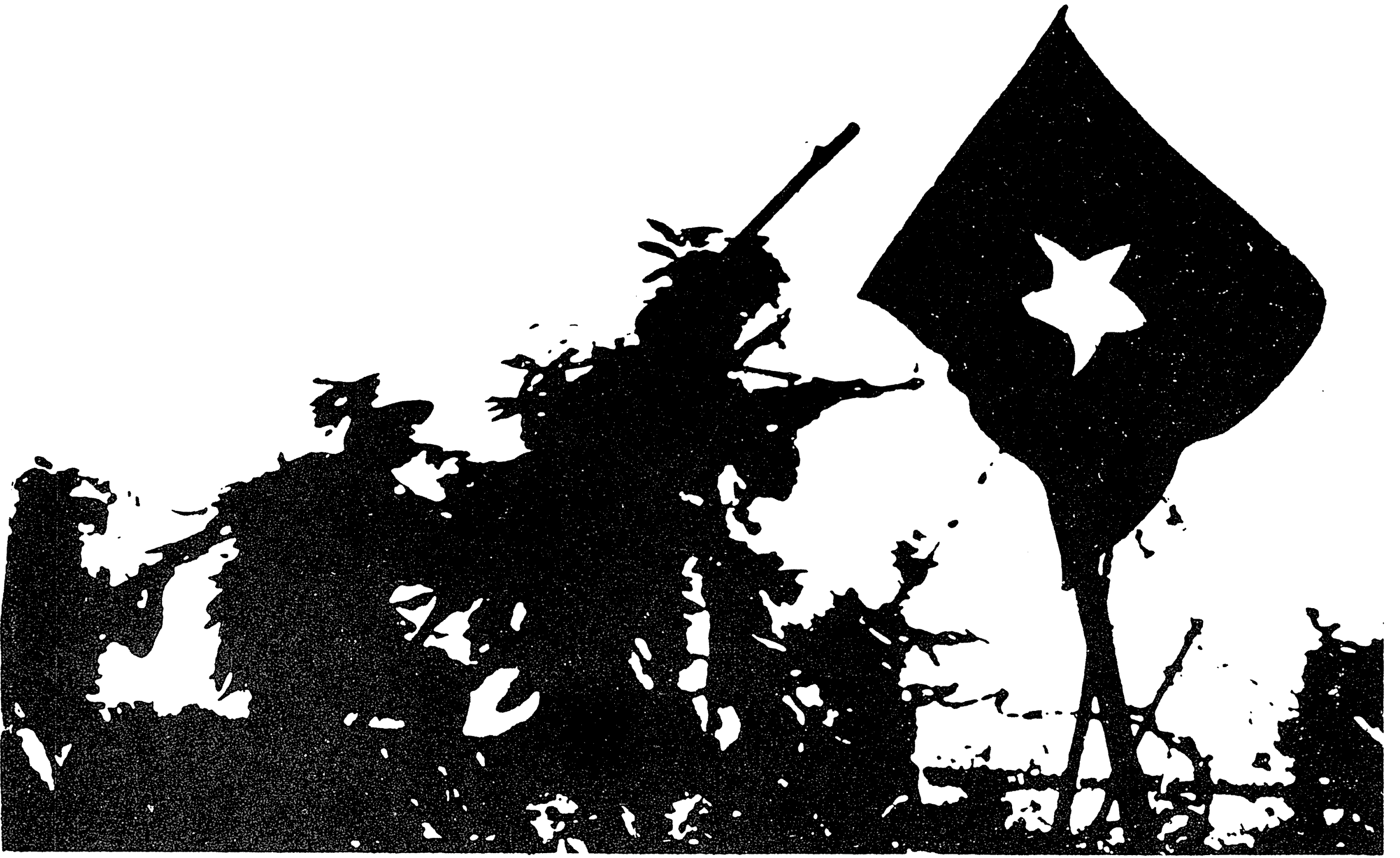
— وفي ٢٠ يوليو اعلن بيير مندس فرانس رئيس وزراء فرنسا ان حكومته سوف تعمل لتحقيق السلام في الهند الصينية. وكان وزراء خارجية الدول



الغربية الكبرى والإتحاد السوفيتي في اجتماعهم الصيفي في برلين قد دعوا لمؤتمر يعقد في جنيف يحضره مندوبون عن فرنسا وبريطانيا وامريكا والإتحاد

السوفيتي والصين الشعبية والفيتمنه وعن جنوب فيتنام ولاوس وكمبوديا لبحث السلام في الهند الصينية وبدأ المؤتمر في مطلع يونيو، وفي اواخر يوليو ١٩٥٤ تم التوصل لوقف اطلاق النار بعد اقرار اتفاقية للهدنة وقع عليها قائد القوات الفرنسية وقوات الفيتمنه ولجنة الرقابة الدولية التي اشتركت فيها الهند وكندا وبولندا وكان من مهامها الإشراف على انتقال السكان بين شمال وجنوب فيتنام بعد ان اتفق على تقسيم البلاد عند خط العرض ١٧، كما نص الإتفاق على اجراء انتخابات عامة في فيتنام في موعد اقصاه يوليو ١٩٥٦، وفي لاوس وكمبوديا قبل ذلك، كما منعت الإتفاقية وجود قوات عسكرية اجنبية في الهند الصينية، ودعت الأطراف للإلتزام بتوحيد فيتنام عن طريق الإنتخابات الحرة وقد رفضت الولايات المتحدة في بيان مستقل هذا الإلتزام.

ـ ونتيجة لإتفاقية جنيف ولدت جمهورية فيتنام الديمقراطية التي تلقت دعماً مادياً وحربياً من الصين والإتحاد السوفيتي ودول شرق اوربا، بينما تولى (نقو دينه ديم) رئاسة وزارة فيتنام الجنوبية، وفي اكتوبر ١٩٥٥ اعلن قيام الجمهورية في سايقون، كما اعلن ديم انه لن يتقيد باتفاقية جنيف ورفض اجراء انتخابات عامة لتوحيد فيتنام وفي عام ١٩٥٧ بدأ نشاط الثوار وسط الفلاحين في فيتنام الجنوبية. وشهد عام ١٩٦٠ مولد جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام التي عرفت باسم (الفيت كونق) وبدأت حرب العصابات في الجنوب. كما اشتد الإحتكاك على طول خط وقف اطلاق النار بين فيتنام الشمالية والجنوبية. وخلال عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣ زاد عدد قوات الثوار ثلاث مرات « ٣٠ الفاً » كما زاد عدد القوات الأمريكية والخبراء الأمريكان الى ١٦ الفاً، وذكر تقرير للمخابرات الأمريكية انه في مطلع ١٩٦٤ كان الثوار يجمعون الضرائب من سكان ٣٧ مقاطعة (من مجموع ٤٠ مقاطعة) في فيتنام الجنوبية وفي نوفمبر ١٩٦٣ اطاح انقلاب عسكري تم برضاء الأمريكان بحكومة ديم وبدأت سلسلة من الإنقلابات في سايقون بينما واصلت امريكا ارسال قواتها ومعداتها الى فيتنام الجنوبية واتسع نطاق القتال.. وامتد القتال الى لاوس.



وقد بدأت الولايات المتحدة منذ ١٩٦٤ غارات جوية عنيفة على فيتنام الشمالية حيث هددت (بإعادة فيتنام الشمالية للعصر الحجري)، واشتركت القوات الأمريكية في معارك مباشرة مع ثوار الفيتكونج، وقد بلغ عدد الجنود والضباط الأمريكيين في فيتنام في عام ١٩٦٩ اكثر من نصف مليون جندي.

وفي عام ١٩٧٢ بدأت المفاوضات في جنيف بين مندوبي الولايات المتحدة وحكومة فيتنام الشمالية وثوار الفيت كونج وفي العام التالي تم الإتفاق على وقف اطلاق النار، غير ان هذا الإتفاق لم ينفذ وبدلاً من ذلك اتسع نطاق القتال وشمل مناطق في كمبوديا، وشن الفيت كونج هجمات مركزة ضد القوات الأمريكية وقوات حكومة سايجون، وفي ٣٠ ابريل ١٩٧٥ دخلت قوات الثوار سايجون واستسلمت قوات سايجون

وانسحب الأمريكيون وتكونت حكومة للوحدة الوطنية في فيتنام. وقد بلغت خسائر الولايات المتحدة في فيتنام ٤٧,٧٥٢ من العسكريين بالإضافة الى ٥٢٢٥ من الدول الحليفة، كما خسرت حكومة سايجون ٢٠٠ ألف جندي، أما ضحايا الحرب من المدنيين الفيتناميين فزادوا عن المليون، كما شرد خمسة ملايين ولجأ ١٦٥ ألفاً للولايات المتحدة ودول اخرى، وفي ٢ يوليو ١٩٧٦ احتفل رسمياً بتوحيد شطري فيتنام الشمالي والجنوبي.

الحرب الكورية:

في العاشر من اغسطس ١٩٤٥ تحركت القوات السوفيتية طبقاً لإتفاقية بوتسدام بين الحلفاء واحتلت شمال كوريا حتى خط العرض ٣٨ شمالاً وذلك لقبول استسلام القوات اليابانية في كوريا وكان الكوريون قد نظموا حركة مقاومة ضد اليابان فلما دخلت القوات السوفيتية اعلنت المقاومة



ثوار الفيت كونق يقتحمون قصر الرئاسة في سايجون

اليسارية تأسيس جمهورية شعبية في كوريا الشمالية اعترف بها السوفيت، وكان للجمهورية الجديدة جيش من المليشيا تعداده ١٠٠ الف تزود بالأسلحة التي استولى عليها من القوات اليابانية وقد ترأس الجمهورية الشعبية الكورية الزعيم كيم ايل سونق.

ــ وفي ١٩٤٦ طبق اصلاح زراعي شامل وانعقد اول مجلس للشعب في كوريا الشمالية في فبراير ١٩٤٧، وتحولت المليشيا الى جيش نظامي كما اعلن الزعيم كيم ايل سونق عن تأسيس جمهورية الشعب الديمقراطية الكورية، وتم سحب القوات السوفيتية من كوريا الشمالية.

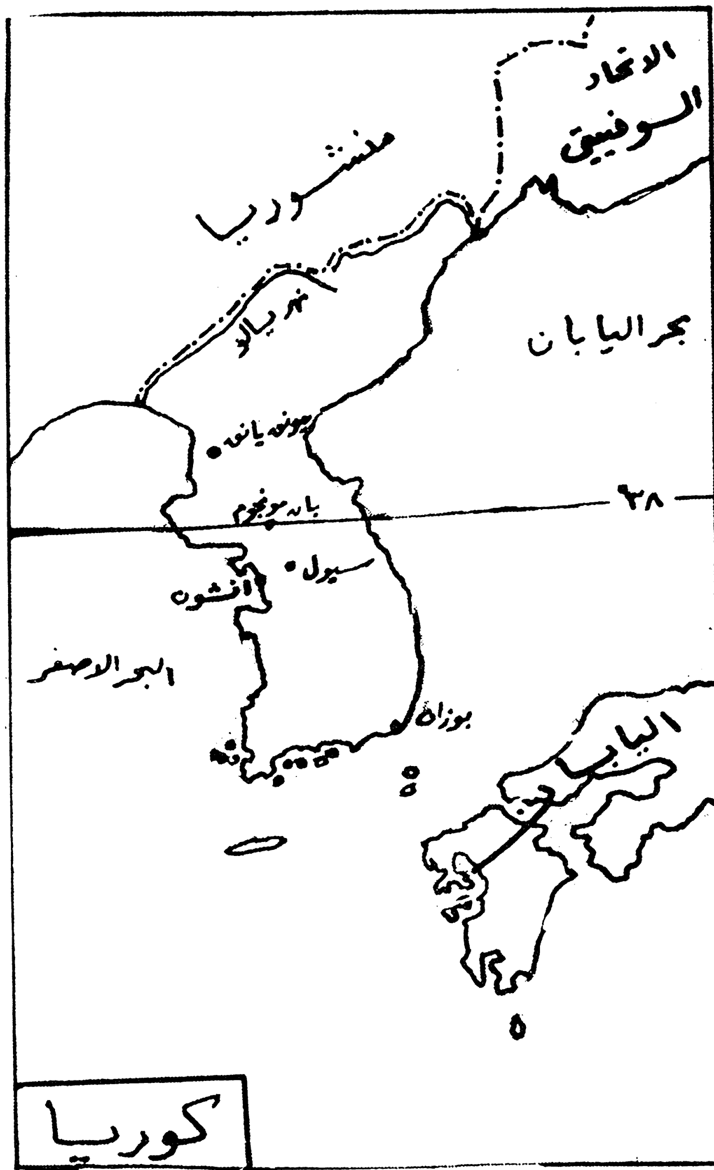
ــ اما القوات الأمريكية فقد وصلت الى كوريا الجنوبية في سبتمبر ١٩٤٥ بقيادة الجنرال هودج الذي فرض على المنطقة حكماً عسكرياً مباشراً وفي سنة ١٩٤٦ كون الأمريكيون مجلساً استشارياً بزعامة سنقمان ري الذي كان يبلغ عمره آنذاك ٦٩ عاماً وكان وزيرا خارجية الاتحاد السوفيتي وامريكا قد اتفقا على اقامة لجنة روسية ــ امريكية مشتركة لخلق ادارة موحدة لكوريا واقتراح نظام وصاية مشتركة، وقد نظم اتباع سنقمان ري مظاهرات واحتجاجات ضد اللجنة المشتركة التي لم تحقق شيئاً واجلت اجتماعاتها الى اجل غير مسمى. استخدم سنقمان ري قوة بوليس تعدادها ٣٠ الفاً في مطاردة خصومه السياسيين وكان ضباط القوة من العناصر التي خدمت الإحتلال الياباني من قبل واستخدمت في قمع الحركة الوطنية في كوريا. وكان واضحاً ان جماعة سنقمان ري ليست لديها فرصة للفوز بالطرق الديمقراطية، ولذا لجأت للإرهاب والإغتيالات ضد العناصر المعارضة.

ــ وفي نوفمبر ١٩٤٧ اقترحت امريكا في الجمعية العامة للأمم المتحدة قيام لجنة مؤقتة للإشراف على الإنتخابات في جميع انحاء كوريا وقد اجازت الجمعية العامة الإقتراح الأمريكي بالأغلبية، ولكن الإتحاد السوفيتي والدول الشيوعية عارضوا القرار وطالبوا اولاً بانسحاب القوات الأجنبية من كوريا قبل أي خطوة، وقاطعوا اللجنة، ومع ذلك فقد اشرفت اللجنة على قيام برلمان في كوريا الجنوبية يسيطر عليه سنقمان ري وحزبه، ولكن في اكتوبر

١٩٤٨ اندلعت ثورة شعبية في مقاطعة (يوسو) ضد حكم سنقمان ري وقمعت الحركة بالعنف حيث اعتقل عشرون الفاً واعدم عدد كبير وطرد عدد اكبر من الموظفين واغلقت الصحف، ونظمت حركة اغتيالات ضد عناصر المعارضة وفي ديسمبر ١٩٤٨ اعترفت الأمم المتحدة تحت ضغط امريكا بأن حكومة سنقمان ري هي الحكومة الشرعية لكوريا الجنوبية التي اتخذت مقرها في سيول، وقد دأبت حكومة سيول على نشر انباء غزو محتمل من الشمال وذلك لتحويل الأنظار عن متاعبها الداخلية من ذلك الأنباء التي اذاعتها في اعقاب ثورة يونيو في ١٩٤٨.

سير القتال:

في ٢٥ يونيو ١٩٥٠ اندلع القتال على امتداد خط العرض ٣٨ وادعى الكوريون الجنوبيون والأمريكيون ان قوات كوريا الديمقراطية (الشمالية) هي التي بدأت العدوان، بينما اكدت اذاعة (بيونق يانق) عاصمة كوريا الديمقراطية وايدتها الدول الشيوعية ان العدوان بدأ من الجنوب.. والمصادر الأمريكية اكدت ان ١٠٠ دبابة روسية الصنع و١٥٠ طائرة كورية شمالية اشتركت في الهجوم.. وبعد ساعات من بدء القتال دعت امريكا مجلس الأمن للإنعقاد، وطالب المجلس اولاً بوقف اطلاق النار وعودة قوات الجانبين لخطوطها الأصلية قبل اندلاع القتال. ولكن في ٢٧ يونيو تقدمت امريكا بمشروع قرار لمجلس الأمن بأن تقدم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لجمهورية كوريا (الجنوبية) كل عون ممكن لصد الهجوم المسلح.. وكان مندوب الاتحاد السوفيتي غائباً عن مجلس الأمن بسبب موقف المقاطعة للأمم المتحدة الذي اتخذته روسيا في ذلك الحين بسبب عدم قبول الصين الشعبية في الأمم المتحدة. لذلك لم يتمكن الاتحاد السوفيتي من ممارسة حق الرفض (الفيتو) للمشروع الأمريكي الذي اصبح قراراً نافذاً، وبناء على القرار أصدر الرئيس الأمريكي هاري ترومان أمره للقوات الأمريكية بالتدخل لحماية كوريا الجنوبية، وفي ٨ يوليو تم تكوين قيادة لعمليات الأمم المتحدة في كوريا تحت قيادة الجنرال الأمريكي دوقلاس ماك آرثر الذي جهز قوة ضخمة





ماوتسى تونق وشوإن لاي

في اليابان واستخدم القوات الجوية والبحرية الأمريكية لضرب القوات الكورية الشمالية الزاحفة ولكن الشماليين تمكنوا من اكتساح شبه الجزيرة بينما تحصنت القوات الأمريكية في قوس دفاعي محصن حول ميناء بوزان في الطرف الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة كوريا حيث بقيت في الفترة من ٥ أغسطس حتى ٢٦ سبتمبر ١٩٥٠. وكان الجيش الكوري الشمالي يحاصر القوات الأمريكية في بوزان بينما امتدت خطوط تموينه الى سيول وما وراءها شمالاً، عبر الممرات الجبلية في المرتفعات الوسطى لكوريا. وفي منتصف سبتمبر ١٩٥٠ قام السلاح البحري الأمريكي بعملية برمائية لإنزال قوات في انشون، وهي ميناء جنوب غربي سيول وفي نفس الوقت خرجت طوابير مدرعة امريكية تحت مظلة جوية لشن هجوم مضاد من قطاع بوزان، وفي نفس الوقت قامت الطائرات والوحدات البحرية الأمريكية بقصف مركز لطرق مواصلات الجيش الكوري الشمالي ولقطع امداداته، وازاء هذا الهجوم المنسق أجبرت قوات كوريا الشمالية على التراجع شمالاً. وفي نهاية اكتوبر بلغت الوحدات الأمريكية المتقدمة شاطىء نهر يالو الذي يفصل بين كوريا ومنشوريا حيث تبدأ حدود الصين، وعبرته بعض الوحدات الكورية الجنوبية، وكانت الصين قد أنذرت امريكا بأنها لن تقف مكتوفة الأيدي لترى تهديد حدودها الشمالية. وقد بعثت الصين ٣٠٠ ألف من جنودها المتطوعين لنجدة كوريا الشمالية بينما حشدت اكثر من مليون من جنود الإحتياط وراء نهر يالو. وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ شن الصينيون والكوريون الشماليون هجوماً مضاداً ضد القوات الأمريكية واستطاعوا فتح ثغرة كبيرة. وقد اضطر الجيش الأمريكي الثامن الى التراجع الى مواقع قريبة من خط عرض ٣٨ بينما واصل الجيش الأمريكي العاشر تراجعه على امتداد الساحل الشرقي وتم اجلاء قواته بحراً ثم عادت لتتمركز في بوزان، وفي ٤ يناير ١٩٥١ احتلت القوات الشيوعية سيول، واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين حيث تكبد الجانبان خسائر كبيرة في الرجال والمعدات وهدد الجنرال ماك آرثر بتوسيع نطاق الحرب بقصف الأهداف الموجودة وراء خط يالو في الصين، ولمح جون فوستر دالاس للمسؤولين الهنود أثناء زيارته لدلهي أن بلاده قد تلجأ للأسلحة الذرية.

وفي ١١ أبريل ١٩٥١ اعفى الرئيس ترومان الجنرال ماك آرثر من منصبه، وعين مكانه الجنرال ريدجواي كقائد للقوات الحليفة في كوريا وذلك بسبب إصرار ماك آرثر على ضرورة نقل الحرب الى ما وراء نهر يالو للقضاء على مقاومة كوريا الشمالية. وقد اشتركت في القتال بجانب القوات الأمريكية والكورية الجنوبية قوات من بريطانيا وفرنسا وكندا وتركيا وتايلاند والفلبين ونيوزيلندا واستراليا واليونان وهولندا وكولومبيا وبلجيكا واثيوبيا وجنوب افريقيا، ولكن دورها كان رمزياً بينما وقع عبء القتال على عاتق الأمريكان وحلفائهم الكوريين الجنوبيين، وذكرت المصادر الأمريكية الرسمية أن خسائرها في كوريا كانت ٣٣,٦٢٩ قتيلاً و١٠٣,٣٨٤ جريحاً و٤٧٥٣ مفقوداً، بينما بلغ عدد ضحايا المدنيين أكثر من نصف مليون كوري، وفي خريف ١٩٥٣ بدأت الطائرات الأمريكية قصف ما يسمى (بالأهداف الإقتصادية) فدمرت سدود الري والخزانات في موسم زراعة الأرز.

في يوليو عام ١٩٥١ رابطت قوات الطرفين المتحاربين في كوريا حول خط عرض ٣٨ شمالاً (مع وجود قوات امريكية شماله على الساحل الشرقي وقوات شيوعية جنوبه على الساحل الغربي) واكد وزيرا خارجية امريكا وكندا انه لم يعد ممكناً إحراز نصر عسكري حاسم لأي من الطرفين بدون مواجهة حرب عالمية ثالثة. واقترح وزير خارجية الاتحاد السوفيتي تنظيم هدنة في كوريا، ودعا الجنرال ماتيو ريدجواي قائد القوات الأمريكية والحليفة في كوريا الى وقف اطلاق النار وبحث اجراءات الهدنة. وفي الثامن من يوليو بدأت اجتماعات العسكريين لبحث الهدنة، التي عقدت أولاً في كايسونق ثم انتقلت الى بان مون جوم الواقعة وسط خط العرض ٣٨ شمالاً حيث استمرت المحادثات عامين كاملين وتم توقيع اتفاقية الهدنة في ٢٧ يوليو ١٩٥٣ بعد أن تعرضت المحادثات للفشل وتعثرت بسبب الخلافات حول تحديد خط وقف اطلاق النار وفك الإشتباك بين القوات وتبادل الأسرى وتكوين لجان الرقابة المحايدة.. وقد اتفق على ترك ٤٠٠٠ يارده على جانبي خط وقف اطلاق النار ترابط فيها قوات الرقابة الدولية المحايدة، وتعثرت المفاوضات حول مصير الأسرى وكيفية اطلاق سراحهم.

واحتل الأسرى الشيوعيون معسكرات الإعتقال مما أدى لمصرع اعداد منهم وفي النهاية تم الإتفاق على صيغة لتبادل الأسرى، وبعد مصرع حوالي مليون كوري من الشمال والجنوب تحقق وقف اطلاق النار ولم تتحقق وحدة شطري كوريا. واستمر سنقمان ري يحكم كوريا الجنوبية بدعم امريكي اما الدول التي ساندت أمريكا في الحرب الكورية فقد اظهرت تردداً وابدت مخاوفها من التورط في حرب عالمية جديدة اذا تجدد القتال، وسارعت بسحب قواتها من كوريا.

تشرشل



ستالين



الفصل السادس

نتائج الحرب العالمية الثانية

انقسام العالم الى معسكرين:

في مارس ١٩٤٦ تحدث ونستون تشرشل في ميسوري بأمريكا فقال ان ستاراً حديدياً قد هبط بين شرق وغرب اوربا وان الشيوعية تسعى وراء حصاد ثمار الحرب وان لم تجازف بالحرب نفسها. ومنذ ذلك التاريخ بدأ استخدام عبارة دول الستار الحديدي في الغرب لتكون مرادفاً للدول الشيوعية، وفي فبراير ١٩٤٧ اعلن ترومان ان الأنظمة الدكتاتورية التي تفرض على الشعوب الحرة رغم ارادتها بالإعتداء (المباشر او غير المباشر) تعتبر تهديداً للسلام.. وهكذا توسع ترومان في تعريف العدوان بما يبرر التدخل الأمريكي وحتى الآن يحتدم الخلاف في الأمم المتحدة حول تعريف العدوان وكانت الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب العالمية الثانية ظافرة وبرزت كأقوى دولة تتزعم المعسكر الغربي وتحتكر السلاح الذري، ولكن في داخل امريكا نمت نزعة للإنعزال ولعدم الإنغماس في المشاكل الأوربية مثلما حدث بعد الحرب العالمية الأولى، وهذه النزعة ما لبثت ان انحسرت لتفسح المجال للإتجاه نحو تطويق الشيوعية ونفوذها ولرسم سياسة عالمية شاملة (GLOBAL) تصبح امريكا بمقتضاها وصية وقائدة للعالم الرأسمالي في مواجهة التحدي الشيوعي والحركات الثورية.

ــ وبدأ التزام امريكا بمساعدة اوربا الغربية على النهوض من انقاض الحرب واعادة بناء قوتها وحفزها لتحقيق الوحدة الأوربية من خلال مشروع مارشال، وقام دين اتشيسون وافريل هاريمان بالدعوة لفكرة التحالف الأطلسي بين غرب اوربا وامريكا الشمالية. بينما كانت امريكا بعد الحرب تعاني من صراع حاد بين العمال واصحاب الأعمال بسبب التضخم المالي الذي اعقب الحرب، وشهدت بداية عام ١٩٤٦ موجة عارمة من الإضطرابات العمالية، وفي العام التالي اجاز الكونقرس قانون (تافت هارتلي) الذي يقيد حق الإضراب ويمنع فئات كثيرة من ممارسته كما يفرض قيوداً اخرى على النقابات، كما بدأت في عام ١٩٤٧ حملة واسعة ضد اليساريين في اجهزة الدولة ونقابات العمال واشتدت مطاردة العناصر الشيوعية في اوساط المثقفين.

ــ وفي روسيا كان ستالين هو الزعيم القوي الذي خرج من الحرب وهو اوسع نفوذاً واشد بطشاً وبرز جدانوف في ١٩٤٦ باعتباره فيلسوف الحزب والمنظر له الذي بدأ حملة من اجل النقاء المذهبي ومحاربة الفكر الرأسمالي، وهو الذي قال في تقريره في اول مؤتمر للكومنفورم عقد في وارسو ١٩٤٧ « ان العالم ينقسم لمعسكرين: معسكر الشعوب المحبة للسلام ومعسكر الإستعمار والامبريالية الداعية للحرب » وهو التحليل الذي انطلقت منه في تلك الفترة الأحزاب الشيوعية. وهي فترة تشدد مذهبي حيث منع ستالين تدريس جوهر نظرية اينشتين النسبية، وادينت موسيقى شوستاكوفتش وبروكوفييف بالشكلية ونالت نظريات ليسنكو في الوراثة قداسة رسمية في الاتحاد السوفيتي. وكثرت التعديلات في القيادة وان احتفظ بيريا وجدانوف وبولقانين وميكويان ومولوتوف بمراكزهم كمعاونين لستالين.. ورصدت اموال طائلة للأبحاث الحربية، وفي سنة ١٩٤٧ جربت روسيا طائرة (ميج ١٥) وكانت افضل في المناورة والسرعة من النفاثات الحربية الأمريكية في ذلك الحين « وهي ف ٨٦ » وفي ١٩٤٩ فجر الاتحاد السوفيتي قنبلته الذرية الأولى.

ــ وفي امريكا وبريطانيا وكندا جرت محاكمات لبعض العاملين في

حقل الأبحاث الذرية الذين اتهموا بنقل اسرار القنبلة الذرية للاتحاد السوفيتي. وكانت المواجهة حادة في تلك السنوات التي اعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية حيث ظهر بوضوح تبلور معسكرين: المعسكر الشيوعي الشرقي والمعسكر الرأسمالي الغربي، يتنافسان بكل الوسائل لكسب النفوذ والسيطرة على العالم، واشتدت رياح الحرب الباردة بين المعسكرين حيث شهد المعسكر الشيوعي حملات تطهير واسعة وتشديد الصراع المذهبي وخاصة ضد تيتو وميوله الوطنية وشهدت امريكا محاكمات روزنبرج والجرهيس ثم بروز السناتور جوزيف مكارثي ولجنة (المناشط غير الأمريكية) التي استخدمها لإرهاب العناصر اللبرالية وانصار السلم. بينما دعا الاتحاد السوفيتي شعوب المستعمرات للإنتفاض ضد السيطرة الأجنبية الإمبريالية واقامة جبهة مشتركة مع الدول الشيوعية ضد الرأسمالية الغربية.

ـــ كما شهدت الفترة بعد الحرب العالمية الثانية اشتداد الصراع على شتى المستويات بين الشعوب والاستعمار، حيث حاولت دول الاستعمار القديم استرداد مواقعها في الشرق الأوسط والشرق الأقصى وافريقيا.

ففي الصين جرت معارك عنيفة بين حشود شيانق كاي شيك وبين القوات الشيوعية بقيادة ماوتسي تونق، وذلك بعد ان فشلت المساعي لتكوين جبهة متحدة في الصين، وامدت امريكا شيانق كاي شيك بمساعدات حربية لتنظيم ٢٠٠ فرقة ولكن قوات ماوتسي تونق صدت الهجمات المضادة وحشدت مليون جندي بالإضافة الى مليونين من رجال المليشيا واتبعت خطة بسط نفوذها على الريف لفرض حصارها على المدن وفي مطلع ١٩٤٩ تأسست حكومة ثورية في بكين بزعامة ماوتسي تونق بينما انسحب كاي شيك الى جزيرة فورموزا حيث بقي تحت حماية الأسطول السابع الأمريكي، واعلن ماوتسي تونق تحالفه الوثيق مع الاتحاد السوفيتي.

ـــ وفي الهند تولى لورد مونباتن في ١٩٤٧ الإشراف على تقسيم ولايات الهند بين الهند وباكستان بعد ان فشلت جهود المهاتما غاندي وزعماء حزب المؤتمر في الحفاظ على وحدة شبه الجزيرة الهندية، وبرزت مشكلة

كشمير وجامو وقد تم التقسيم في ظروف صراعات دموية قومية وطائفية شهدت مولد الهند وباكستان وزعزعة اعداد كبيرة من السكان من مناطق سكنهم.

كما شهد عام ١٩٤٩ مولد الجمهورية الأندونيسية بقيادة سوكارنو بعد معارك عنيفة ضد القوات الهولندية والبريطانية.

ـــ كما شهـد عـام ١٩٥٠ اشتداد المعارك في فيتنام بين القوات الفرنسية والقوات الشعبية بقيادة هوشى منه والجنرال جياب.. التي زادت مقدرتها القتالية بعد انتصار الثورة في الصين.

كما شهد نفس العام بدء الحرب الكورية بين القوات الأمريكية وحلفائها وبين قوات كوريا الشمالية والفرق الصينية والدعم السوفيتي.

ـــ كما شهد عام ١٩٤٧ اندلاع ثورة شيوعية في اليونان تصدت لها قوات بريطانية وبفضل العون الأمريكي امكن اخمادها عام ١٩٤٩.

وفي عام ١٩٤٥ استولى الثوار اليساريون على تبريز في شمال ايران ووجدوا دعماً من السوفيت ولكن عندما انسحب الجيش الأحمر زحف الجيش الايراني شمالاً وقضى على الحكومة الثورية في اذربيجان.

ـــ وفي فلسطين تدفق المهاجرون اليهود وكونوا جماعات ارهابية مسلحة لطرد العرب من ارضهم، وشجعتهم الإدارة البريطانية، ثم حاولت بريطانيا التنصل من مسؤوليتها فاحالت القضية في عام ١٩٤٧ الى الأمم المتحدة.

ـــ وفي نوفمبر ١٩٤٧ ايدت الجمعية العامة قراراً بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وفي ١٥ مايو ١٩٤٨ تقدمت الجيوش العربية نحو فلسطين واستطاعت في البداية ان تطوق الصهاينة ولكن المناورات الدولية والنفوذ الاستعماري شل ارادتها وفرضت الهدنة الأولى على العرب في ١٩٤٩ مما سمح للصهاينة بتقوية مواقعهم. وغادر ٨٥٠ الف فلسطيني ليصبحوا لاجئين بينما حل في ديارهم مليون صهيوني. وبوجه عام انتشرت روح المقاومة

الوطنية في المستعمرات والمناطق التابعة التي شددت نضالها من اجل الاستقلال الوطني، وانتشر المد الوطني، في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية. وبينما حاولت الحركات الوطنية اقصاء النفوذ الاستعماري القديم كان النفوذ الأمريكي يحاول وراثة مواقع النفوذ البريطاني والفرنسي والياباني في المستعمرات السابقة. وكانت الدول الغربية قد وقعت في ابريل ١٩٤٩ معاهدة حلف شمال الأطلنطي.



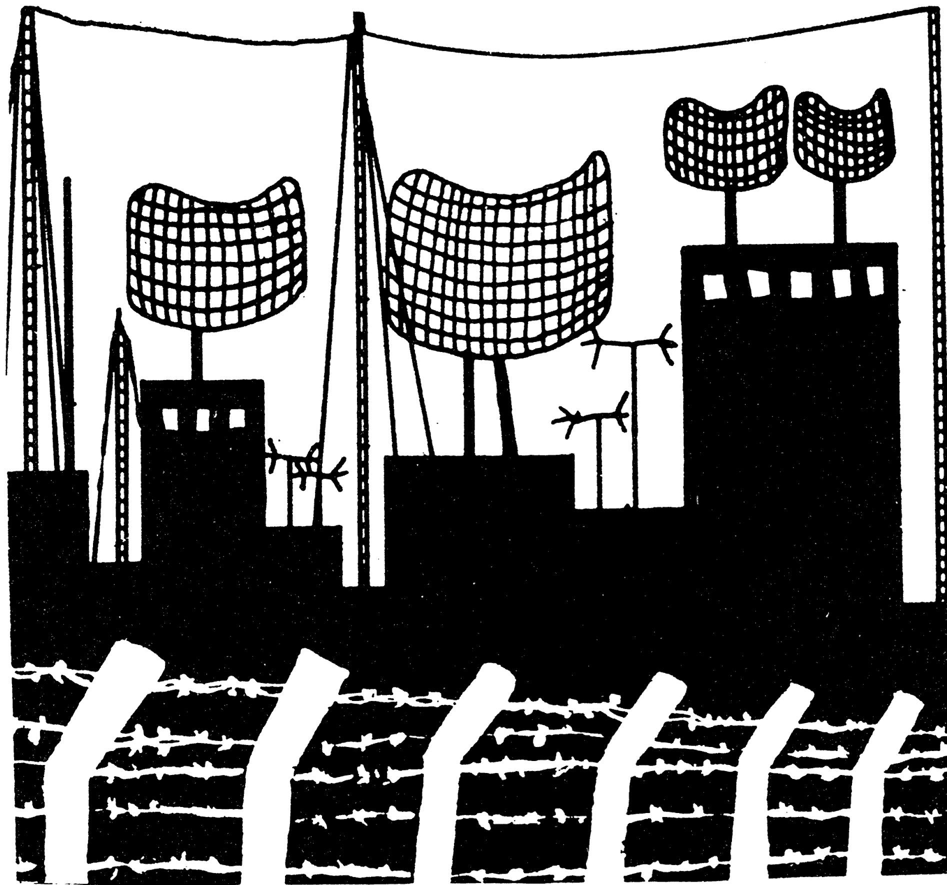
مهاجرون يهود يصلون الى فلسطين من أوربا (١٩٤٦)

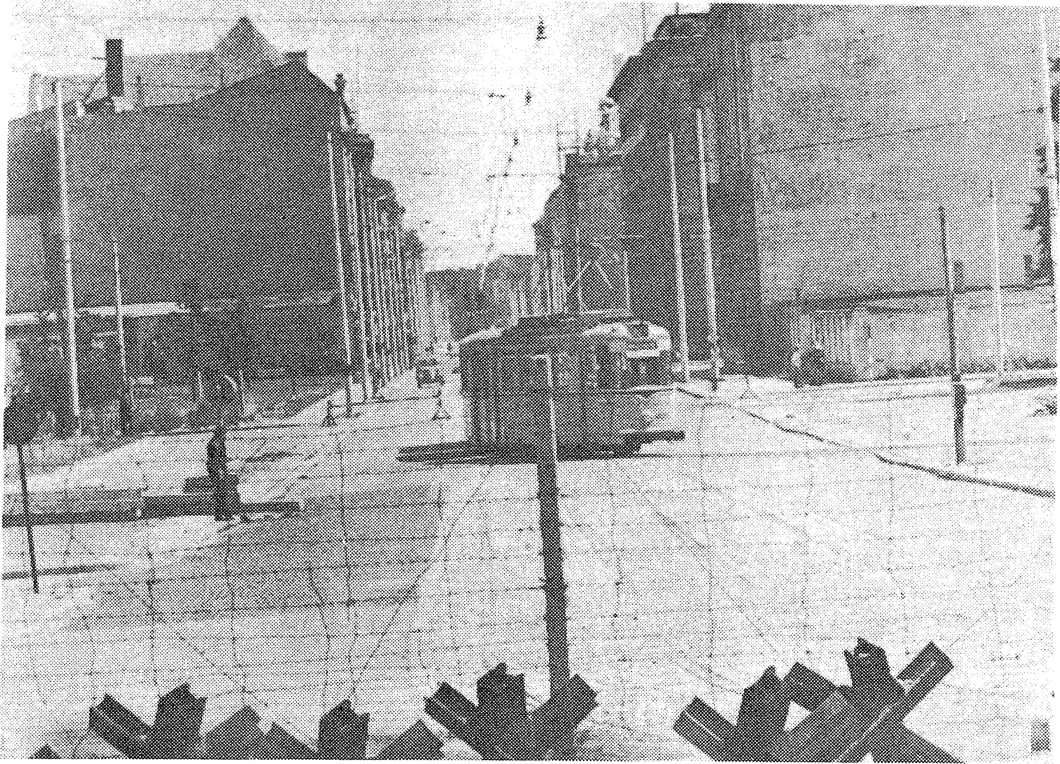
ـ وفي سبتمبر ١٩٥٤ تأسس حلف جنوب شرقي آسيا من امريكا وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا والفلبين وتايلاند والباكستان واتخذ الحلف بانكوك مقراً له، واعلن ان هدف التحالف التعاون الإقتصادي والدفاعي.

ـ وفي ١٩٥٥ تأسس حلف بغداد ومقره بغداد واشتركت فيه العراق وايران وباكستان وتركيا وبريطانيا كما اشتركت امريكا في بعض لجانه،

وعقدت محالفات ثنائية مع ايران وتركيا وباكستان، وبعد ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق وانسحابها من الحلف تغير اسمه الى الحلف المركزي.

— وفي ١٩٥٥ تأسس رسمياً حلف وارسو للدفاع المشترك واشتركت فيه روسيا وبلغاريا وتشكوسلوفاكيا والمجر والمانيا الشرقية وبولندا ورومانيا، ويتضمن الحلف اعتبار اي عدوان على اي دولة من الدول الأعضاء عدوانا على كل الدول الأعضاء وقد اعتبر الاتحاد السوفيتي (كما اعتبرت الصين والدول الشيوعية الأخرى) حلف الأطلنطي وحلف جنوب شرقي آسيا محاولات امريكية تهدف لحصارها وتمهد لضربها، فتكتلت لمواجهة هذا التحدي، بينما لم تخف الولايات المتحدة وحلفاؤها ان هدفها هو محاربة الشيوعية وتطويقها. وبينما شجعت روسيا دعوة عدم الإنحياز ومقاومة الأحلاف الغربية اعتبر جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا في تلك الفترة عدم الإنحياز عملاً غير اخلاقي.





برلين بعد الحرب رمز لانقسام أوربا لمعسكرين



تصاعد حركات التحرير في المستعمرات ــ نهرو وغاندي يبحثان استقلال الهند

الأحلاف العسكرية والدعوة للحياد الإيجابي

عرف المجتمع الدولي موقف الحياد من قديم الزمان، والحياد هو عدم الإنضمام لطرف معين من اطراف الصراع، وهو ما يسمى بـ **(الحياد القانوني)**، ويرتكز اساساً على اعتراف الدول في النزاع بحيدة البلد المعين. وقد عرف العالم حياد سويسرا في الحربين العالميتين الأولى والثانية وهذا النوع من الحياد لا يوجد فعلاً الا في حالات الحرب..

ـــ اما عدم الإنحياز فهو مفهوم جديد نسبياً، برز مؤخراً مع انقسام العالم الى معسكرين بعد الحرب العالمية الثانية. وكان نهرو قد اعلن عقب استقلال الهند في ١٩٤٧ ان بلاده لن ترتبط بأية كتلة دولية، وفي مارس ١٩٤٩، استعمل لأول مرة تعبير عدم انحياز الهند لأية كتلة ورد على الذين قالوا ان سياسة عدم الإنحياز هي سياسة سلبية فقال: « ان عدم الإنحياز قد يختلف الناس في تفسيره ولكنه يعني في الأساس عدم الإنضمام لتكتلات الدول الكبرى، وان له مفهوماً سلبياً لو طبقناه ايجابياً لكان معناه معارضة الأحلاف العسكرية والسياسات التي تهدف للتكتل » ومن هنا برزت تسمية دعوة عدم الإنحياز بدعوة الحياد الإيجابي. ففي سبتمبر ١٩٥٦ شرح عبد الناصر سياسة بلاده فقال: « ان مصر اعتنقت سياسة عدم الإنحياز وكل ذلك تأييد ايجابي مثمر لفكرة التعايش السلمي الايجابي ».

ـــ وفي ١٩٤٨ ـــ بعد خروج يوغوسلافيا من المعسكر الشيوعي عرف تيتو موقف بلاده بأنه عدم انحياز يقود لممارسة التعايش السلمي الفعال، والجدير بالذكر ان نهرو كان قد دعا في باندونق لمحاربة الإستعمار « بجميع مظاهره ».

ـــ حملت لواء الدعوة للحياد الايجابي وعدم الإنحياز للتكتلات التي تتزعمها الدول الكبرى مجموعة من الدول الحديثة الإستقلال من القارات الثلاث، واكتسبت الدعوة للحياد الايجابي محتوى معاديا للإستعمار واحلافه وتأييد حركات التحرر الوطني ونبذ التمييز العنصري والدعوة للتعايش السلمي

بين الدول، وصيانة السلام العالمي ومعارضة التهديد الذري، وبينما ايدت الدول الشيوعية تجمع دول عدم الإنحياز لأنها تناهض الأحلاف الرأسمالية الغربية فان الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة كانت تنظر في شك كبير لدعوة عدم الإنحياز اذ انها رأت ان اي اضعاف للمعسكر الغربي يضيف لقوة المعسكر الشيوعي.

ـــ وفي بداية ١٩٥٤ صاغ نهرو مبادئ السلام الخمسة او (البانشيلا) لتكون الخط السياسي الخارجي للهند واعتبرت نقاطاً اساسية في معاهدة ابرمت مع الصين وتضمنها بيان مشترك وقعه نهرو وشوان لاي، وهذه المبادئ هي احترام سيادة كل دولة واحترام وحدة اراضيها وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة وعدم الإعتداء والتعايش السلمي والمساواة والمنفعة المتبادلة في العلاقات بين الدول. وهذه السياسة سمحت للهند بالحصول على عون من امريكا ومن روسيا ايضاً.

ـــ وفي مؤتمر باندونق في ابريل ١٩٥٥ ارتبطت دعوة التعايش السلمي بدعوة التضامن الافريقي الآسيوي وتشكيل جبهة عالمية مناهضة للإستعمار والتمييز العنصري، وقدم نهرو مبادئه الخمسة لتكون دستوراً للعمل الدولي، وكانت الهند من بين الدول التسع والعشرين التي وقعت قرارات باندونق..

ـــ وقد تزعم نهرو وتيتو وعبد الناصر دعوة الحياد الايجابي التي اتخذت طابعاً يؤكد ضرورة دعم الاستقلال الوطني في وجه الضغوط الإستعمارية، ومن الطبيعي ان تكون هذه الدعوة تميل الى المعسكر الشيوعي اكثر من ميلها للمعسكر الرأسمالي الغربي.. وهناك عدة اسباب لذلك اهمها:

ـــ ان الدول الغربية بزعامة امريكا وضعت في تلك الفترة خطة لتطويق الدول الشيوعية بسلسلة من الأحلاف العسكرية، وانها كانت تضغط على الدول الصغيرة والبلاد الحديثة الاستقلال لضمها لتلك الأحلاف، بالرغم من ان معظم الدول الناشئة لم يكن لها مصلحة في النزاع ولم يكن من صالحها التورط في الأحلاف..

ـــ ان معظم الدول التي نالت استقلالها حديثاً كانت مستعمرات او بلداناً تابعة لاحدى دول الاستعمار القديم (بريطانيا وفرنسا وهولندا..) وبرزت الولايات المتحدة بعد الحرب لتحاول وراثة مناطق نفوذ لها في المستعمرات السابقة ولضمها الى سلسلة الأحلاف الغربية. ولذا فان معارضة النفوذ الغربي كانت جزءاً من سياسة دعم الاستقلال الوطني للبلدان الحديثة الاستقلال.

ـــ ان الدول الشيوعية كانت تعتبر الدعوة للحياد ورفض الإنضمام الى الأحلاف واقامة قواعد حربية على اراضيها سياسة تضعف المعسكر الغربي وبالتالي تساعد الدول الشيوعية على تحطيم (الستار الحديدي) الذي حاولت امريكا اقامته حولها. ولذا كانت تشجع حركات الاستقلال الوطني ومناهضة الأحلاف وتصفية القواعد العسكرية، واهتم الاتحاد السوفيتي بدعم حركة السلام العالمي ودعا الأحزاب الشيوعية في انحاء العالم لمساندتها لشل يد الدول الرأسمالية عن محاولة شن عدوان جديد على المعسكر الشيوعي قبل ان تكتمل استعداداته الذرية.

ـــ ويلاحظ ان التركيز يختلف لدى كل دولة من الدول التي تزعمت الدعوة للحياد الايجابي فبينما كان نهرو يشدد على التعايش السلمي قبل التصدع العظيم في علاقته مع الصين بسبب التبت، فان عبد الناصر كان يركز على رفض الأحلاف الإستعمارية وهو الذي تعرضت بلاده لضغوط واعتداءات متكررة لجرها الى الأحلاف.. مثل حلف بغداد وحلف الضمان الجماعي العربي مع تركيا.. اما يوغوسلافيا فكانت تركز اهتمامها على صيانة الاستقلال الوطني ونبذ القوة كطريق لحل المشاكل الدولية، وكانت يوغوسلافيا ـــ بعكس دول الحياد الأخرى ـــ قد جاءت الى كتلة الحياد من المعسكر الشيوعي، وكانت تخشى عدوانا من الدول الشيوعية يجبرها على العودة الى حظيرة الحلف الشيوعي (كما حدث فيما بعد في تشكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨).

ـــ ان دعوة الحياد الايجابي كانت مرتبطة بظروف انقسام العالم الى معسكرين واحتدام الحرب الباردة.. وقد قطعت شوطاً في التخفيف من

حدة التوتر الدولي وامتزجت بالدعوة للتحرر من الاستعمار والأحلاف ورفض القواعد العسكرية والتضامن بين الدول الحديثة الاستقلال للإسهام في دعم السلام العالمي وتقوية الاستقلال الوطني وتنشيط جهود التنمية ويمكن القول ان دعوة الحياد الايجابي ولدت في مؤتمر باندونق (في اندونيسيا ـــ ١٩٥٥) ثم تبلورت في اتجاه محدد هو عدم الانحياز الذي تحدد مفهومه في اجتماع بريوني بين ناصر ونهرو وتيتو في ١٩٥٦ ثم في اول مؤتمر لعدم الانحياز في بلغراد ١٩٦١ ثم في القاهرة ١٩٦٤ والثاني في الجزائر عام ١٩٦٦ والثالث في لوساكا عام ١٩٧٠ والرابع في ليما ١٩٧٥ اما محاولات عقد مؤتمر ثان للتضامن الآسيوي الأفريقي بعد المؤتمر الأول في باندونق فقد باءت بالفشل بسبب النزاع الذي نشب بين الهند والصين عام ١٩٦٠ والنزاعات الأخرى بين اندونيسيا وماليزيا وبين الباكستان والهند.. كما ان بعض الدول في آسيا وافريقيا كانت ترى ان اشتراك الاتحاد السوفيتي والصين في مؤتمرات التضامن الاسيوية الأفريقية على اساس موقعها الجغرافي ينزع عن هذه المؤتمرات طابع عدم الانحياز، وفي ١٩٦٥ حاول سوكارنو عقد مؤتمر تحضيري لدول التضامن الآسيوية والأفريقية. ولكن المحاولة فشلت كما فشلت محاولات عقد المؤتمر الثاني الآسيوي الافريقي في الجزائر بسبب تعمق التناقضات بين تلك الدول ووقوع حركة بومدين قبل المؤتمر بأيام.

ـــ وهكذا، وجدت دول العالم الثالث ان دعوة عدم الانحياز اكثر ملاءمة وحيوية في تلك الظروف لمواجهة الأوضاع العالمية. وشهدت بلغراد المؤتمر الأول لدول عدم الانحياز عام ١٩٦١، وفي ذلك المؤتمر برز الإهتمام بموقف الدول النامية من دول العالم الصناعية المتقدمة وتقرر دعم جهود الدول النامية (وكانت ٧٧ دولة في ذلك الحين) لكي يصدر مؤتمر التجارة الدولي قرارات في صالحها وكذلك تقرر الإهتمام بالتعاون الدولي من اجل التنمية. اي ان مشكلة الإنقسام الحاد بين العالم الرأسمالي الغربي والعالم الشيوعي الشرقي التي كانت تسيطر على اجتماعات دول عدم الإنحياز في السابق قد اخذت تخلي المكان الى الانقسام الأكثر وضوحاً بين دول العالم

الصناعية في النصف الشمالي للكرة الأرضية ودول العالم المتخلفة التي تسعى للتنمية في نصف الكرة الجنوبي.. وهذا الإنقسام المستغرض والإهتمام بالتنمية سيكون في الأعوام التالية هو الشغل الشاغل للقاءات بلدان العالم الثالث او الدول الحديثة الإستقلال. في باندونق اجتمعت الدول الناشئة حول قضية استكمال التحرر الوطني وفي بلغراد اكدت استقلالها برفض التبعية للمعسكرات والأحلاف.. وفي نيودلهي تركت مشاكل الحرب الباردة لتهتم بمشاكلها الخاصة بالتنمية.

مقاييس عدم الانحياز: [NON-ALIGNMENT]

وضع المؤتمر الأول لعدم الإنحياز (١٩٦١) شروطاً خمسة لدعوة الدول لعضوية المؤتمر وكانت الشروط هي:

١ ـــ ان تكون الدولة المعنية قد انتهجت سياسة مستقلة مبنية على التعايش السلمي بين الدول ذات النظم السياسية والإجتماعية المختلفة وعلى عدم الإنحياز للمعسكرات الدولية او ان تكون اظهرت اتجاهاً نحو هذه السياسة.

٢ ـــ ان تكون مؤيدة باستمرار لحركات الاستقلال والتحرر الوطني.

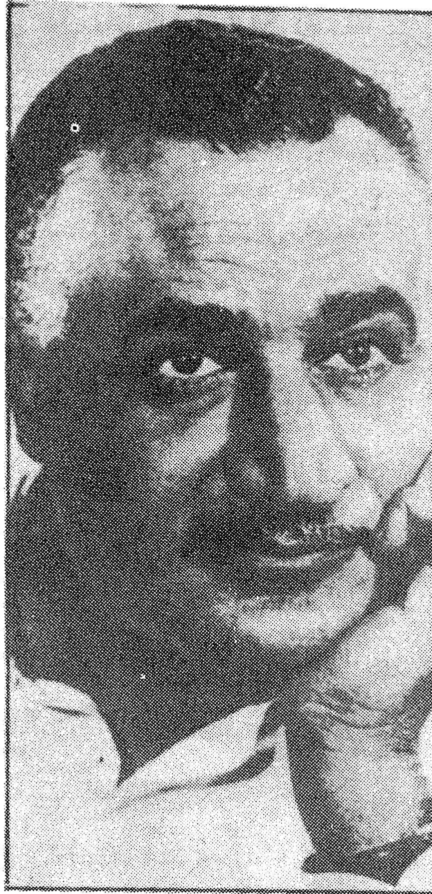
٣ ـــ الا تكون عضواً في حلف عسكري متعدد الأطراف في نطاق الصراع بين الدول الكبرى.

٤ ـــ اذا كانت قد سمحت بقواعد عسكرية لدولة اجنبية كبرى فان هذا الوضع يجب الا يكون قد تم في نطاق منازعات مع دولة كبرى.

٥ ـــ اذا كانت الدولة طرفاً في اتفاقية عسكرية مع دولة كبرى او كانت عضواً في حلف اقليمي فان الاتفاق او الحلف يجب الا يكون قد عقد في نطاق منازعات دولة كبرى.

وهذه المعايير كانت هي الحد الأدنى لقبول الدولة في مؤتمر عدم الانحياز. غير انه من الواضح ان عدم الانحياز يتناقض تماماً مع عضوية الأحلاف العسكرية التي تتزعمها الدول الكبرى وكذلك مع السماح بقواعد

عسكرية لدولة اجنبية. ولم تكن معايير عدم الانحياز واضحة او صارمة لأن الإعتقاد السائد كان يركز على اهمية التأثير في الأحداث الدولية من خلال القوة المعنوية كما ان دول عدم الانحياز تجنبت (التكتل) حتى لا تتهم بأنها اقامت كتلة جديدة تزيد من حدة الإنقسامات الدولية ولذا لم تنشأ سكرتارية دائمة لدول عدم الانحياز، وكمثال لجهودها في سبيل السلام ان مؤتمر بلغراد (١٩٦١) كلف وفداً من اثنين من رؤساء الدول الأعضاء بحمل صيغة خطاب لكل من خروتشوف وكيندي يناشدهما فيه عقد اجتماع قمة بينهما لإنهاء الحرب الباردة التي اصبحت تكلف العالم الكثير من الجهد والمال وترهق اعصاب الشعوب..

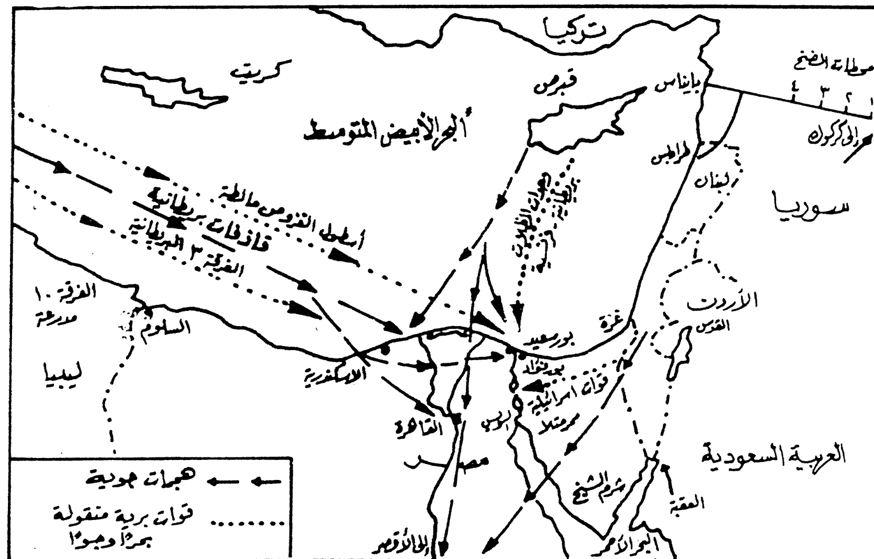


جمال عبد الناصر رائد عدم الانحياز في الشرق الأوسط

ان مؤتمرات عدم الانحياز كانت في الواقع مظاهرات تاريخية للدول الحديثة الاستقلال لتأكيد وجودها وذاتيتها واعلان رفضها لسياسة الإحتواء في الأحلاف العسكرية ومناطق النفوذ الخاضعة للدول الكبرى وكانت محاولة للبحث عن طريق (ثالث) للتنمية، هو طريق التطور المستقل الذي لا ينتمي للمعسكر الرأسمالي او الى المعسكر الشيوعي.

وقد جلبت سياسة عدم الانحياز بعض المنافع لبعض الدول ذات الوزن عندما كانت موسكو وواشنطن تتباريان في تقديم المعنويات لكسب الدول الحديثة الاستقلال الى جانبهما. فحصلت الهند ومصر ويوغوسلافيا على عون امريكي وعون سوفييتي في ذات الوقت. واستفاد الاتحاد السوفييتي من دعوة عدم الانحياز في تحطيم الأحلاف الاستعمارية التي حاولت امريكا تطويقه بها. والفضل في ذلك يرجع للسياسة المرنة التي انتهجها خروتشوف ازاء الدول الحديثة الاستقلال. فبينما اعتبر جون فوستر دالاس « الحياد عملاً غير اخلاقي » اتخذ خروتشوف سياسة دعم الدول الحديثة الاستقلال للتخلص من النفوذ الغربي بصرف النظر عن موقفها من الشيوعية. وكان خروتشوف قد تولى سكرتارية الحزب الشيوعي السوفيتي بعد وفاة ستالين في ١٩٥٣ وكشف في المؤتمر العشرين للحزب (١٩٥٦) عن اخطاء ستالين ودعا للتعايش السلمي مع الرأسمالية والتنافس الإقتصادي مع الغرب، واعترف بتعدد الطرق المؤدية للإشتراكية وامكان الوصول للإشتراكية بالطرق البرلمانية، كما زار خروتشوف عدداً كبيراً من الدول غير الشيوعية.. وهكذا بدأت موسكو تخرج من عزلتها لتمارس استراتيجية عالمية. وقد اثمرت سياسة خروتشوف في فتح ثغرة في نظام الأحلاف الغربية فقد احدثت الضغوط التي بذلتها الدول الغربية لإجبار عبد الناصر على الإنضمام لحلف عربي مع تركيا تدعمه امريكا والدول الغربية احدثت هذه الضغوط رد فعل عدائياً في العالم العربي وفي مصر بعد ان استخدمت الدول الغربية اسرائيل للعدوان على غزة لاجبار مصر الى طلب الإحتماء تحت مظلة الأحلاف الغربية، والنتيجة ان مصر تحولت لطلب السلاح من روسيا وتشكوسلوفاكيا وذلك بعد لقاء ناصر وشوان لاي في مؤتمر باندونق..

بينما انصرفت الدول الغربية لإقامة حلف بغداد كمحور مناهض للقاهرة، وتوالت الضغوط على مصر بسحب تمويل السد العالي ورد الفعل بتأميم ناصر لقناة السويس ثم بقبول العرض السوفيتي لتمويل بناء السد العالي وفشل العدوان الثلاثي (١٩٥٦) الذي اشتركت فيه اسرائيل، وفي تلك الفترة اشتعلت المنطقة العربية بالثورة ضد الاستعمار وارتفعت اسهم الاتحاد السوفيتي.



ـ وفي يوليو ١٩٥٨ اطاحت ثورة العراق بحكم نوري السعيد وانسحبت بغداد من حلف بغداد كما اشتعلت الثورة في لبنان وانزلت امريكا قوة من جنودها على سواحل لبنان بينما وعد ديقول الجزائر بحق تقرير المصير بعد ان فشلت فرنسا في قمع ثورة الجزائر.

في تلك الفترة كان النضال ضد الأحلاف الغربية جزءاً من النضال الوطني التحريري ضد الاستعمار القديم والجديد.. الذي بلغ ذروته في كسر حلقة اساسية من حلقات الأحلاف الغربية تمثلت في حلف بغداد.

التكتلات والأحلاف العسكرية:

تزعمت الولايات المتحدة في الستينات الدعوة للأحلاف العسكرية واقامت سلسلة من القواعد والأحلاف العسكرية في محاولة لتطويق الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية، وهذه الأحلاف هي:

- **حلف الأطلنطي.**
- **حلف بغداد.**
- **حلف جنوب شرقي آسيا.**

وعضوية امريكا وبريطانيا كانت هي القاسم المشترك بين هذه الأحلاف جميعاً، كما ان امريكا ارتبطت بمحالفات ثنائية بعدد من الدول، كما دعمت قبضتها على منظمة الدول الأمريكية التي تضم دول امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية.

ـ وتشترك الأحلاف العسكرية الثلاثة الغربية (حلف الأطلنطي) حلف بغداد (**الحلف المركزي فيما بعد**) حلف جنوب شرقي آسيا وكذلك الحلف الشيوعي (حلف وارسو) في انها كلها تعتبر ان الهجوم على اي دولة من الدول الأعضاء في الحلف هجوماً على جميع اعضاء الحلف يحتم تعاون كل الدول الأعضاء لصد ورد المهاجم. وهذا يستدعي اقامة قيادة عسكرية مشتركة والتعاون في مجالات اخرى غير عسكرية مثل تحسين المواصلات ودعم الإقتصاد وتبادل المعلومات وتنسيق عمل المخابرات والتعاون في مكافحة النشاطات المعادية.

حلف الأطلنطي: NATO

وتنص اتفاقية حلف شمال الأطلنطي على:

ــ تطوير مقاومة جهود كل الأعضاء الفردية والجماعية لصد اي عدوان مسلح.

ــ تسوية المنازعات بين الدول الأعضاء بالطرق السلمية.

ــ اعتبار اي هجوم يقع على اي دولة من الدول الأعضاء هجوماً على كل الأعضاء واتخاذ ما يلزم لصده ودحره.

ــ ويتكون مجلس الحلف من: رؤساء الحكومات او الوزراء او المندوبين الدائمين لدى المنظمة الذين يكونون في مرتبة السفراء.

ــ وتتكون لجنة الدفاع من رؤساء اركان جيوش الدول الأعضاء او المندوبين الدائمين.

وتتكون قوات الحلف المسلحة من:

ــ القوات الوطنية لكل دولة من الدول الأعضاء.

ــ القوات المخصصة لحلف الأطلنطي من كل دولة.

ــ يتولى قيادة القوات القائد الأعلى لقوات حلف الاطلنطي وهناك قائد لقوات الحلف في اوربا الغربية.

وقيادة لبحر المانش (تغطي القنال الانكليزي وجنوب بحر الشمال) ولجنة عسكرية اقليمية للتنسيق بين كندا والولايات المتحدة.

ــ في ١٩٦٦، بسبب موقف فرنسا نقل الحلف مقره من باريس الى بروكسل وكاستو في بلجيكا.

الدول الأعضاء في الحلف:

امريكا، فرنسا، بريطانيا، ايطاليا، بلجيكا، هولندا، الدنمارك، كندا، ايسلندا، لوكسمبرج، النرويج، البرتغال، المانيا الغربية وتركيا واليونان.

الحلف المركزي: (CENTRAL TREATY ORGANISATION)

في عام ١٩٥٥ قام حلف بغداد ومقره في بغداد عاصمة العراق، وكانت تشترك في عضويته بجانب العراق: **ايران وتركيا وباكستان وبريطانيا**.

بينما اشتركت امريكا في بعض لجان الحلف الهامة كما وقعت فيما بعد محالفات ثنائية مع ايران وتركيا وباكستان.

ــ في عام ١٩٥٩ اعيد تشكيل الحلف بعد ان انسحبت منه العراق لقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ونقل مقر الحلف الى ايران وسمي الحلف المركزي (CENTO) وينص على الدفاع المشترك بين بلدان الحلف والتعاون الإقتصادي وتحسين طرق المواصلات، كما يبذل جهوداً لمكافحة النشاط الشيوعي في المنطقة، وانتهى الحلف بعد ثورة ايران وسقوط الشاه ١٩٧٩.

حلف جنوب شرقي آسيا: (SEATO)

تأسس في ٨ سبتمبر ١٩٥٤ ومقره في بانكوك (تايلاند) ويضم:

بريطانيا، فرنسا، والولايات المتحدة، واستراليا، ونيو زيلندا، وباكستان والفلبين وتايلاند.

وهو مثل الحلف المركزي يهدف لمكافحة الشيوعية وتعزيز التعاون بين دوله وينظم مناورات مشتركة بين جيوش الدول الأعضاء.

وقد تم حلّه في عام ١٩٧٦ وتحول لمنظمة للتعاون الإقتصادي بين الدول الأعضاء تحت اسم (ASEAN).

منظمة الدول الأمريكية: (O.A.S.)

كانت هناك منظمة تسمى منظمة اتحاد الدول الأمريكية ومقرها واشنطن، وفي ١٩٤٨ حلت محلها منظمة الدول الأمريكية واتخذت مقراً لها في (بوجوتا) عاصمة كولومبيا.

وكانت الدول الأمريكية قد عقدت بمبادرة من الولايات المتحدة معاهدة عام ١٩٤٧ للتعاون المشترك في ريودي جانيرو (البرازيل) وعلى اساس تلك المعاهدة تكون مجلس منظمة الدول الأمريكية من وزراء خارجية الدول الأعضاء لاتخاذ قرارات في نطاق المعاهدة، ومنظمة الدول الأمريكية جهاز للتعاون السياسي والإقتصادي والجانب العسكري ينص على العون المتبادل ومناورات مشتركة، ومكافحة النشاط الشيوعي فهو ليس حلفاً عسكرياً بالمعنى المشار اليه آنفاً، والدول الأعضاء هي:

الولايات المتحدة، الأرجنتين، البرازيل، شيلي، كولومبيا، كوستاريكا، الدومنيكان، اكوادور، السلفادور، جواتيمالا، هايتي، هندوراس، المكسيك، نيكارجوا، بناما، بارجواي، اورجواي، بيرو، بوليفيا، فنزويلا.

وفي عام ١٩٦٢ طردت كوبا من المنظمة وذلك لتحولها نحو الشيوعية، وتتمتع الولايات المتحدة بالنفوذ الأكبر في تلك المنظمة..

ــ في اكتوبر ١٩٨٣ قامت القوات الأمريكية بغزو جزيرة جرينادا بدعوى أنها تلقت طلباً بالتدخل من ست دول صغيرة متحالفة فيما يسمى بمنظمة دول شرق البحر الكاريبي، وقد جرى التدخل خلال صراع نشب على السلطة في الحزب اليساري الحاكم ونصبت القوات الأمريكية حكومة موالية لواشنطن في الجزيرة. وقد صوتت معظم الدول الأعضاء في منظمة الدول الأمريكية (O.A.S.) ضد الغزو الأمريكي لجرينادا عند طرح القضية في الأمم المتحدة.

ــ وفي عام ١٩٨٤ قام وزراء خارجية المكسيك وبنما وفنزويلا وكولومبيا (مجموعة الكونتادورا) بتقديم مقترحات لوقف تصعيد الخلاف بين الولايات المتحدة ونيكاراجوا يتضمن سحب الخبراء والجيوش الأجنبية من امريكا الوسطى وتخفيض التسلح وبدء محادثات بين الجانبين، غير أن هذه المساعي لم يكتب لها النجاح.

حلف وارسو:

ــ عقد في منتصف مايو عام ١٩٥٥.
ــ مقره في وارسو (بولندا).
ــ مقر القيادة العامة في موسكو.
ــ يعتبر الهجوم على اي دولة عضو في الحلف هجوماً على كل دول الحلف. ويضم الحلف لجاناً للتشاور السياسي ولجنة للتعاون الإقتصادي وينص على اجراء مناورات مشتركة.

والدول الأعضاء هي:

الاتحاد السوفيتي، بلغاريا، المجر، بولندا، المانيا (الشرقية)، رومانيا، تشكوسلوفاكيا، (وكانت البانيا عضواً ثم طردت عام ١٩٦٢ لانحيازها لبكين).

وفي ١٩٦٨ نظم الحلف غزو تشكوسلوفاكيا وقلب حكومة دوبتشيك بسبب شكوك موسكو بأن نظام دوبتشيك يتجه لاتخاذ سياسة حيادية والانسحاب من حلف وارسو.

والملاحظ ان هذه الأحلاف تخضع لسيطرة الدولتين الكبريين (الاتحاد السوفيتي ــ والولايات المتحدة الأمريكية) وهي من نتائج المواجهة بينهما.. غير ان تناقضات كثيرة اخذت تظهر في صفوف الدول الأعضاء في الأحلاف، ففي داخل حلف الاطلنطي ظهرت خلافات بين فرنسا وامريكا من جهة وبين بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى وبين المانيا الغربية وفرنسا ثم بين المجموعة الأوربية الغربية كلها وامريكا « اتضحت تماماً في موقف الدول الأوربية الغربية من ازمة البترول » كما ظهر الخلاف الحاد الذي كاد يتحول لصدام مسلح بين تركيا واليونان بسبب قبرص.

ــ وفي داخل حلف وارسو ايضاً ظهرت خلافات حول الموقف من تشكوسلوفاكيا، وتحفظت رومانيا في الاشتراك في مناورات الحلف مؤخراً

لأنها خشيت التعرض لغزو مماثل لما حدث في تشكوسلوفاكيا. والواقع ان المصالح القومية للدول الأعضاء في الأحلاف كانت تصطدم بما تتطلبه الأحلاف من تنازل عن جزء من السيادة الوطنية والالتزام بخط محدد ربما يتعارض مع المصلحة الوطنية. وقد ظهرت متغيرات جديدة وتيارات جديدة كانت تعمل عملها تحت سطح الموقف العالمي.. لتغير الصورة فيما بعد تغييراً شاملاً.. لتشدد على عناصر اخرى في العوامل المحركة للأحداث في العالم..

ولعله من المناسب ان نتوقف قليلاً هنا لتقييم دعوة عدم الانحياز..

ــ فبالرغم من كل التأكيدات بأن عدم الانحياز موقف مبدئي، الا انه من الضروري ان ندرك انه موقف يناسب ظروفاً خاصة واوضاعاً دولية معينة، هي ظروف الحرب الباردة.. وانقسام العالم لمعسكرين متجابهين فالحياد لا بد ان يكون بين طرفين.. ومما لا شك فيه ان زوال الحرب الباردة او تخفيف حدتها وحلول (الوفاق) محل (المجابهة) لا بد ان يسلب دعوة عدم الانحياز من بعض شحناتها الدافعة.

ــ الأمر الآخر ان الخلاف بين روسيا والصين الذي اشتد مع بداية الستينات اثر بدوره على دعوة التضامن الافريقي الاسيوي، وكذلك على دول عدم الانحياز، لأنه فتح مجالاً لصراع داخلي وسط جبهة الدول غير المنحازة مما قلل من فاعليتها.

ــ ان الاستعمار كان يزعجه من دول عدم الانحياز مساعيها المناهضة للاستعمار ونفوذه واحلافه.. وبين ١٩٦٥ و١٩٦٦ وقعت عشرة انقلابات عسكرية في بلدان العالم الثالث تولت فيها الحكم مجموعة من القيادات الأقل تطرفاً في عدائها للاستعمار والأكثر ميلاً للمحافظة والمصالحة مع الدول الغربية.. ولعل ابرز التغييرات سقوط نظام سوكارنو في اندونيسيا وسقوط نكروما في غانا.. وقد استقبلت الجماهير هذه التغييرات استقبالاً سلبياً بسبب الإنعزال الخطير لتلك الأنظمة عن القاعدة الشعبية ولمظاهر

الفساد في السلطة، وهذا يعني ان الإنقلابات التي حدثت تضافرت عدة عوامل لإنجاحها بجانب دعم النفوذ الغربي لها.

ـــ ان دول عدم الانحياز اهتمت غالباً بالسياسة الدولية ومشاكلها على حساب قضاياها الداخلية وحصرت اهتمامها بنزع السلاح وتحريم القنبلة الذرية والحض على التعايش السلمي اما قضايا التحرير والتنمية ونهب موارد العالم الثالث وخاماته بابخس الأثمان فلم تركز عليها الا مؤخراً.. وكان مسلك دول عدم الانحياز يتسم بالحذر في تناول هذه القضايا الحيوية، والسبب ان عدداً كبيراً من تلك الدول لم يكن قد تحرر تماماً من النفوذ الأجنبي وكانت حديثة عهد بالاستقلال، وكانت لعبتها الوحيدة هي استغلال التناقضات بين المعسكرين الأمريكي والسوفيتي.

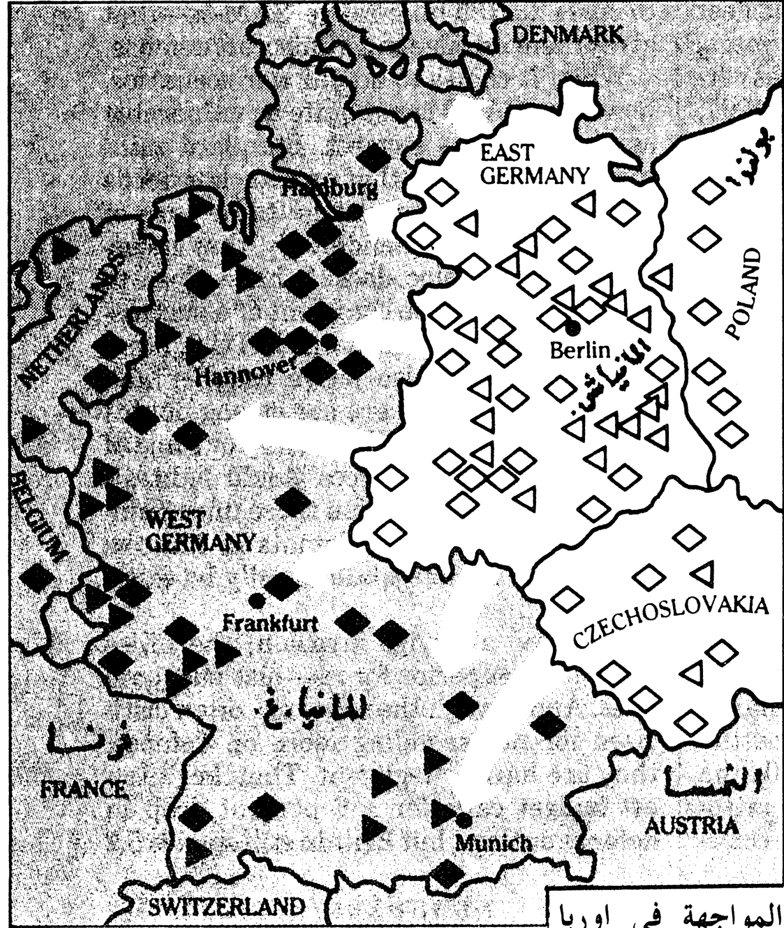


دخول القوات السوفييتية براغ عاصمة تشكوسلوفاكيا في ٢١ أغسطس ١٩٦٨

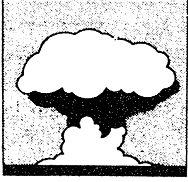


◆ فرق مدرعة ـــ الأطلنطي
◇ فرق مدرعة وارسو

▶ قواعد تاكتيكية
◁
طرق الهجوم المحتمل
• المدن....



المواجهة في اوربا



الفصل السابع

ثورة التكنولوجيا وسباق التسلح

تضافرت اكتشافات علمية هامة لاحداث ثورة التكنولوجيا، الأمر الذي ادى الى تغييرات عميقة في استراتيجية الدول، واهم هذه الإكتشافات ما يلي:

ــ اكتشاف الطاقة الذرية.
ــ اكتشاف امكانيات الصواريخ كأجهزة للحمل والنقل.
ــ اكتشاف العقول الالكترونية والكمبيوتر واستخدامها في التوجيه الآلي والحساب والتخطيط والبرمجة والترشيد الصناعي.

هذه الإكتشافات الثلاثة ادت الى حدوث ثورة علمية وصناعية وعندما دخلت الثورة التكنولوجية الى مجال صناعة الأسلحة كان من نتائجها التوصل للسلاح الذري الصاروخي الموجه، او ما يسمى بالسلاح المطلق واهم خصائصه ما يلي:

ــ انه سلاح هجومي للتدمير الشامل يصعب ايجاد وسيلة فعالة لتفاديه بعد انطلاقه.
ــ انه يضع امكان الحاق الدمار بالغالب والمغلوب معاً، بل يضع احتمال دمار الحضارة البشرية كلها.
ــ ان الرد الوحيد ضد السلاح الذري الصاروخي هو سلاح ذري

صاروخي آخر موجه نحو أهداف العدو. وهكذا صارت العلاقات بين الدول الذرية خاضعة لما يسمى بميزان الرعب النووي. فالخوف من الإنتقام والدمار الذري صار هو الرادع الوحيد ضد احتمالات الهجوم الذري واعتمدت الدول الذرية استراتيجية الردع، DETERRENCE, first strike capability. او تحمل الضربة الأولى والرد عليها بضربة ذرية مضادة، والنتيجة انه في الحرب الذرية يلحق الدمار باطراف النزاع جميعاً فلا يكون ثمة غالب او مغلوب. ومن جهة اخرى، فان السلاح الذري بقوته التدميرية الهائلة يغري بشن ضربات مفاجئة لسحق الخصم مما اعطى تبريراً لما يسمى بالحرب الوقائية، وهي حرب تشنها دولة ضد اخرى.. مستغلة تفوقها في لحظة معينة لانتزاع نصر سريع، وفي ظل ميزان الرعب النووي يصبح الوقوع في حسابات خاطئة امراً خطيراً.. لأنه قد يغري بتفوق عابر فيقود للمجازفة بشن حرب وقائية ضد الخصم (pre-emptive strike) وفي ظل الأسلحة الذرية فان هذا قد يعني ابادة اطراف النزاع جميعاً! باختصار ان السلاح الذري غير كثيراً من المفاهيم التي كانت سائدة في السياسة والاستراتيجية. لعل ابرزها ان القدرة على التدمير لا تعني بالضرورة زيادة في النفوذ السياسي للدولة المعنية.

ــ فقد ترتب على التطورات الجديدة في مجال التسلح ان فكرة الأحلاف العسكرية لم تعد لها اهميتها السابقة لأن التعاون وارد بين الحلفاء ولكن يصعب اتخاذ قرار بالفناء من اجل آخرين وقد ظهرت بسرعة اثار التغير في الاستراتيجية في زعزعة تماسك الأحلاف القائمة، فقد ظهرت تصدعات في حلف الأطلنطي وكذلك في حلف وارسو.

ــ فمن جهة اصر الرئيس الفرنسي ديقول على ان تكون لفرنسا ترسانتها الذرية الخاصة بها لأنها لا تضمن حماية امريكا لها في حالة نشوب حرب ذرية، واشار الفرنسيون انه لو ضربت الصواريخ الذرية الروسية باريس ودمرتها فلا يوجد رئيس امريكي او بريطاني يجازف بتدمير واشنطن او لندن من اجل باريس. واغلب الظن ان يتردد كثيراً في اتخاذ قرار كهذا... فالتحالف

لم يعد مجرد تعاون مشترك بل صار اختياراً بين التدمير الشامل او البقاء، وهكذا استمرت فرنسا تجرب اسلحتها الذرية والنووية وتطورها وابتعدت عسكرياً من حلف الاطلنطي منذ ١٩٦٧.

ــ موقف فرنسا من امريكا في حلف الاطلنطي له شبيه في موقف الصين من الاتحاد السوفييتي، فقد طلبت الصين من الاتحاد السوفييتي عوناً لكي تصنع اسلحتها الذرية ولكن السوفييت رفضوا اعطاء الصين اسلحة ذرية او امدادها باسرار صناعتها، وكان هذا من اسباب القطيعة بين موسكو وبكين، واتخذت الصين طريقاً مستقلاً حيث تمكنت من تطوير اسلحتها الذرية الخاصة بها.

ــ وكما ظهرت تصدعات في الأحلاف العسكرية الغربية والشيوعية نتيجة للثورة في مجال تكنولوجيا السلاح فان فكرة القواعد العسكرية الثابتة فقدت الكثير من اهميتها، لأن الصواريخ الذرية الموجهة صارت قادرة على اصابة اي نقطة في الكرة الأرضية بدقة تامة ولم تعد القواعد العسكرية تستحق العناء الذي بذل من اجل الحصول عليها والاحتفاظ بها، فقد تضاءلت اهميتها في عصر الصواريخ الذرية والرصد الإلكتروني.. وان ظلت القواعد مفيدة في ظروف الحرب غير الذرية.

ــ ادركت الدول الصغيرة والمتوسطة ان مواردها غير كافية لمسايرة التطورات التكنولوجية في مجال صناعة الأسلحة وارتفع ثمن الأسلحة اضعافاً مضاعفة. فقد كان ثمن الطائرة الأمريكية المقاتلة من طراز (موستانق) عام ١٩٤٧ يبلغ ٢١ الف دولار وفي ١٩٦٢ بلغ ثمن الطائرة الأمريكية من طراز فانتوم (١١٠) مليونين من الدولارات، اما فانتوم (١١١) فثمنها يزيد عن خمسة ملايين دولار، اما الطائرة الأمريكية الجديدة من طراز (ب ــ ١) فثمنها حوالي ٧٥ مليون دولار للطائرة! واذا كانت الأحلاف والقواعد العسكرية قد فقدت اهميتها الحاسمة نتيجة لتطور الأسلحة الحديثة فان الجانب الآخر من الصورة يؤكد ان على الدول الصغيرة والمتوسطة ان

تبحث عن مصادر لسلاحها لدى الدول الكبرى لكي تواصل امدادها بالسلاح الحديث.

ــ وبينما قللت الأسلحة الذرية من احتمالات نشوب حرب عالمية شاملة على غرار حرب ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩ وذلك بسبب ميزان الرعب النووي والخوف من الرادع الذري، فان احتمالات الحروب الصغيرة او الحروب المحدودة استمرت واردة وربما زادت.. كذلك استمرت حروب المقاومة ذات النفس الطويل والجبهات المتحركة..

ــ تجدد الخوف لدى الدول الصغيرة والدول المتوسطة التي لا تملك وسائل صنع الأسلحة الحديثة وحيازتها من اقدام الدول الذرية العملاقة على تقسيم العالم الى مناطق نفوذ فيما بينها وقيامها بدور رجل البوليس لمنع الشعوب من تقرير مصيرها واهدار حقوقها.

ــ الخوف من الفناء المتبادل والتورط في حرب ذرية شاملة دفع الدول الكبرى لاعتماد سياسة التفاوض وممارسة دبلوماسية القمة بين قادة هذه الدول لمعالجة المشاكل في اعلى المستويات قبل استفحالها والبحث عن تسويات لها بدلاً من المجابهة الخطرة. negotiation not confrontation

ــ وهذه من المعالم الهامة على طريق التغير الذي طرأ على العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ففي ازمة كوبا في اكتوبر ١٩٦٢ ظهرت بوضوح مخاطر المواجهة الذرية بين الاتحاد السوفييتي وامريكا عندما فرض الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي الحصار على كوبا وطلب سحب الصواريخ السوفييتية من القواعد الكوبية ووقف العالم على حافة الحرب الذرية الشاملة. وقد امر خروتشوف بعدها بسحب الصواريخ من كوبا وترك الطائرات الأمريكية تلتقط صوراً للصواريخ المفككة وهي تنقل من كوبا على متن السفن الروسية، وقد نشطت دبلوماسية القمة بعد تلك الأزمة، واقيم خط تلفوني مباشر بين موسكو وواشنطن سمي بـ (الخط الساخن)

HOT-LINE لاستعماله في منع تصعيد المواجهة بين الدولتين وتفادي تلك المواقف التي تهدد العالم بالدمار.

ـــ دخلت التكنولوجيا مجال الاستطلاع وجمع المعلومات بحيث صار من الصعوبة بمكان المحافظة على سرية كثير من الإستعدادات العسكرية ولم يعد التجسس قاصراً على استخدام عناصر بشرية (عملاء) بل صار التجسس يتم عن طريق الأقمار الصناعية والطائرات التي تسير آلياً (بدون طيار) واجهزة التصنت الالكتروني والتصوير بالأشعة الحرارية.. مثال ذلك ان طائرة (يوتو) الأمريكية تمكنت من تصوير قواعد الصواريخ الروسية العابرة للقارات في منتصف ١٩٦٢ واظهرت ان روسيا تملك ٧٥ صاروخاً بعيد المدى فقط (وكانت المخابرات الأمريكية قد قدرت ان روسيا لديها ٢٠٠٠ صاروخ بعيد المدى في ذلك الحين) ولكن المعدات الالكترونية ما زالت عاجزة عن قياس الحجم الكامل للقوات وروحها المعنوية.. وساعة الصفر!!

ـــ ما زال الجدل قائماً حول مغزى التطور التكنولوجي في صناعة الأسلحة وهل هو في صالح المهاجم ام في صالح المدافع؟

ـــ وحرب اكتوبر ١٩٧٣ بين اسرائيل والعرب اضافت بعداً لهذا الحوار.. واظهرت ان المهاجم موقفه افضل كما اكدت فعالية جندي المشاة.

ـــ ولا شك ان الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والدبابات قد قللت من فاعلية الدبابة والطائرة وردت الإعتبار لجندي المشاة. ولكن الدبابة والطائرة ما زال لهما دورهما.. ولا يمكن ان تصبحا مثل حاملات الطائرات التي انتهى دورها مع عصر الصواريخ.

وفي الحقيقة فان الأسلحة الذرية والصاروخية قد احدثت تغيرات عميقة في الاستراتيجية العسكرية والسياسية.. **فقد اكتسبت مبادئ الأمن والإستطلاع والمرونة والمفاجأة والمعنويات اهمية جديدة، كما اكد الجنرال الفرنسي اندريه بوفر ضرورة شحذ ارادة البقاء والصمود، ففي**

الحرب الحديثة لا توجد حدود فاصلة بين الخطوط الأمامية والخلفية، وكثيراً ما تظهر جبهات معاكسة اي خطوط خلفية تصبح امامية مع اتساع مسرح العمليات.

اما الإقتصاد في القوة، فغير وارد في الحرب الذرية بل يجب تركيز قوة ساحقة في الضربات الإبتدائية ضد العدو وفي عمليات الردع.

ــ اما الحشد فصار امراً خطراً لأن القوات المحتشدة تصبح اهدافاً سهلة لقصف العدو، وقد اثرت الأسلحة الذرية على مفهوم الحشد بالمعنى العسكري، لأن اعداد الأسلحة الذرية للضرب لا يحتاج لفترة تعبئة واستدعاء للإحتياطي. وهذا كان له اثر نفسي على الخصم يستدعي منه رد فعل مضاد. وقد لعبت مواعيد تعبئة الجيوش الأوربية دوراً في التعجيل بتورط القوى الأوربية في الحرب العالمية الأولى، اما الحرب الذرية فيمكن ان تبدأ وتنتهي دون تعبئة او اعلان، بل دون ان يدرك احد ما حدث بالضبط.

بل صار من الضروري بناء وحدات مقتدرة ومكتفية بذاتها وتتمتع بقدرة على الحركة السريعة والتصرف في نطاق خطة عامة، فاللامركزية مطلوبة في الحرب الحديثة للإحتفاظ بالمبادرة وهذا يتطلب درجة عالية من الكفاءة في المستويات الأدنى لإتخاذ القرارات السليمة في مواجهة المتغيرات المستمرة كما يكتسب جمع المعلومات وابلاغها بسرعة، وتقييمها تقييماً صحيحاً في كل مستوى اهمية كبرى.

الحرب الذرية وحافة الحرب BRINKMANSHIP

استراتيجية الرادع النووي ادت الى ظهور مصطلحات سياسية وعسكرية جديدة، منها ممارسة سياسة حافة الحرب ومعناها التهديد بشن حرب ذرية ثم التراجع عنها في آخر لحظة وذلك لابتزاز تنازلات من الخصم..

ــ في ازمة برلين عام ١٩٤٨ عندما حاصر السوفييت برلين الغربية وقف العالم على حافة الحرب وفي حرب كوريا وفي ازمة جزر كيموي وكذلك

في ازمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢، كادت تقع الحرب العالمية الثالثة.. ولعبة حافة الحرب لعبة خطرة حيث تحاول احدى الدول الكبرى الإخلال بالتوازن والحصول على تنازلات من القوى المنافسة بالقيام بتحدي تلك القوى وتهديدها بالحرب وبما ان الحرب تعني الفناء للطرفين فان احد الطرفين لا بد ان يتراجع.. قبل ان يبلغ تصعيد الموقف نقطة الإشتعال او اللاعودة.. ومراحل حافة الحرب، وهي تصعيد الموقف escalation في نقطة من نقاط الإحتكاك والتوتر في العالم حيث تتقابل قوات المعسكرين ثم المواجهة المسلحة بمستوى اعلى درجات التأهب.. confrontation لاختبار من الذي « ترمش عينه اولاً » فيقرر التراجع عن الهاوية.. قبل ان يتراجع الطرف الآخر.. eyeball to eyeball.

ـــ ونظراً لخطورة لعبة حافة الحرب.. وعدم وجود مرونة في ردود الفعل لما يبدر من الخصم من تحركات في اطار حافة الحرب.. فكر الخبراء في ابتكار استراتيجية الرد المرن.. elasticity of response فقد ظنت الدول الكبرى لفترة ان حيازة السلاح الذري والنووي تكفي لتأمين دفاعها، ولكن السلاح الذري يصعب استخدامه كرد على الخصم ازاء تحرك محدود.. فان هذا يكون مثل (استخدام المطرقة لكسر بندقة) او مثل تفريق المظاهرات بمدافع الميدان..

ـــ وقد كتب الدكتور كيسنجر في الستينات كتاباً لفت اليه الأنظار في ذلك الحين، وعنوانه (الأسلحة الذرية والسياسة الدولية) واكد فيه ان الأسلحة التقليدية لم تفقد دورها وان تعذر شن حرب ذرية لا يعني انتهاء الحروب المحدودة limited war بالأسلحة التقليدية.. ودعا امريكا لأن تكون لديها قوات قادرة على اخماد (الحرائق الصغيرة التي تنشب في انحاء العالم.. والتي لا يمكن مواجهتها بالأسلحة الذرية) ودعا لاستراتيجية تتميز بالمرونة.. وقد اثر هذا الكتاب في تفكير القادة الأمريكيين ودعاهم للإهتمام بتطوير قواتهم وتسليحها بالأسلحة التقليدية.. وكذلك في البحث في صنع اسلحة ذرية تكتيكية.. واستخدمت نظرية الرد المرن ايضاً فيما يسمى باعادة رصد

الأهداف المحتملة للضرب لدى العدو في حالة نشوب حرب ذرية retargetting بحيث تتخذ كل مدينة او قاعدة للخصم رهينة في مقابل المدن والأهداف الخاصة بالطرف الآخر.. فضرب مدينة يرد عليه بضرب مدينة تماثلها حجماً من مدن الخصم.. ولا يرد عليه بالتدمير الشامل لكل المدن وهذا يفتح المجال لاستدراك الموقف حتى في حالة بدء العمليات بعد نشوب حرب ذرية.. اذ تترك استراتيجية الرد المرن المجال مفتوحاً للمساعي السلمية ولتطويق الخراب الذري.

ـ نقط الاحتكاك:

ـ والجدير بالذكر انه كان من نتائج الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة التي تلتها، ظهور كثير من نقط المواجهة في العالم، وهي نقط احتكاك وتوتر بين النظامين الشيوعي والرأسمالي. وكانت الدول المنقسمة هي اكبر مصادر للتوتر والاحتكاك وتهديد السلام العالمي وهي المانيا (الغربية والشرقية) وكوريا (الشمالية والجنوبية) وفيتنام (الشمالية والجنوبية) والصين (الشعبية وفورموزا)..

ـ كما ان الحروب الأهلية بين قوات من اليمين ومن اليسار سرعان ما كانت تكتسب ابعاداً دولية بدعم المعسكر الرأسمالي لليمين المحلي ودعم المعسكر الشيوعي لليسار المحلي، مما يقود ايضاً لمواجهة عالمية، كما حدث في حروب الهند الصينية. اما في الحروب بين الدول الصغيرة فان كل معسكر كان يختار طرفاً ليدعمه في مواجهة خصومه كما دعمت روسيا العرب بينما دعمت امريكا اسرائيل.. وفي هذا المناخ المتوتر فان تكدس الأسلحة التقليدية والذرية يكون امراً خطيراً حيث يمكن ان يؤدي لنشوب حرب شاملة تدمر العالم.

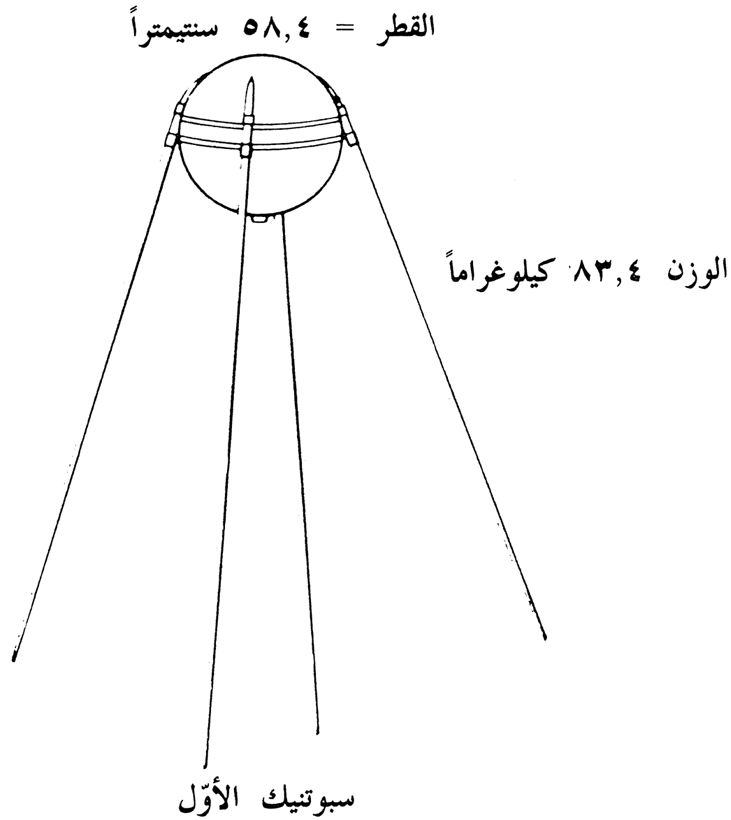


السباق لغزو الفضاء:

في الرابع من اكتوبر عام ١٩٥٧ اطلق الاتحاد السوفييتي اول قمر صناعي يدور حول الأرض واسمه التابع رقم واحد او سبوتنيك الأول — وكان كرة وزنها ١٨٠ رطلاً تدور حول الأرض مرة كل ساعة ونصف الساعة على ارتفاع يتراوح بين ١٤٠ و٥٦٠ ميلاً، وكانت ترسل اشارات لاسلكية من جهاز تحمله وقد احدث هذا الجهاز العلمي صدى قوياً في جميع الأوساط واهتمت الدوائر العسكرية في العالم بمعرفة المزيد من المعلومات عن الصاروخ الذي حمل سبوتنيك الى مداره حول الأرض، لأن الصاروخ الذي يحمل قمراً صناعياً يمكنه بسهولة ان يحمل قنبلة ذرية لأي مكان في العالم، وكان عام ١٩٥٧ قد شهد انشاء السوق الأوربية المشتركة وتجربة بريطانيا لقنبلتها الهيدروجينية الأولى ومشروع ايزنهاور للشرق الأوسط الذي حاول فيه احلال النفوذ الأمريكي في المنطقة محل النفوذ البريطاني والفرنسي **الذي انحسر بعد فشل العدوان الثلاثي ضد مصر عام ١٩٥٦.**

وكان الاتحاد السوفييتي يتمتع بسمعة طيبة بعد دعمه لمصر ضد العدوان الثلاثي وانذاره لبريطانيا بالإنسحاب من منطقة القناة.

ــ وفي ٣ نوفمبر ١٩٥٧ اطلق السوفييت قمراً صناعياً جديداً سمي (سبوتنيك ــ ٢) ووزنه ١١٢٠ رطلاً وكان يحمل الكلبة لايكا اول كائن حي دار حول الأرض.

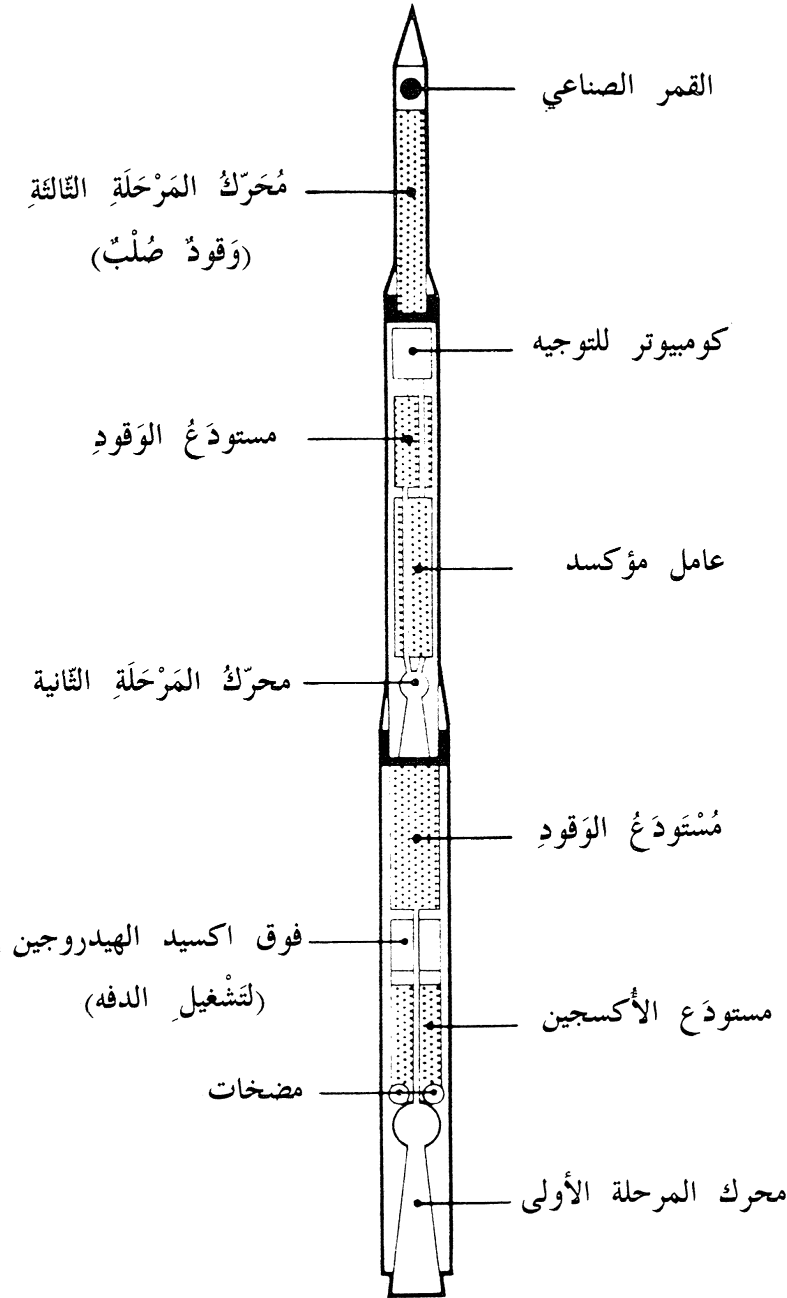


أول قمر صناعي أُطْلِقَ في ٤ تشرين الأول ١٩٥٧

ــ وبعد الضجة التي احدثها اطلاق القمرين الصناعيين السوفييتيين بذل الأمريكيون جهوداً خارقة للحاق بالسوفييت في هذا المجال الجديد وفي ٣١ يناير ١٩٥٨ اي بعد ثلاثة اشهر من اطلاق سبوتنيك الأول ــ اطلق الأمريكيون قمرهم الصناعي الأول (اكسبلورر الأول) من قاعدة رأس كانفرال التي سميت فيما بعد (كيب كنيدي) في فلوريدا.. واشارت الصحف الأمريكية

الى ضرورة اعادة النظرة في مناهج التعليم في امريكا واعطاء المزيد من المال والإهتمام للتعليم العلمي والصناعي لأن سباق الفضاء هو سباق لتطوير وسائل التكنولوجيا الحديثة وهي المصدر الحقيقي للقوة في العالم المعاصر.

ـــ وكان السوفييت قد سبقوا الأمريكان في تطوير صناعة الصواريخ وتمكنوا من صنع صواريخ ذات قوة دفع ضخمة تعمل بالوقود السائل.



صاروخٌ ذو ثلاث مَرَاحِلَ لِقَذْفِ القمر الصناعي

وفي ١٣ سبتمبر ١٩٥٩ اطلقوا صاروخاً يحمل (ليونيك ٢) التي اصطدمت بالقمر، بعد رحلة استمرت ٣٥ ساعة في الفضاء.

ــ وفي اكتوبر ١٩٥٩ اطلق العلماء السوفييت (ليونيك ٣) لتدور حول القمر وتصور جانبه البعيد عن الأرض وترسل الصور بالراديو للقاعدة الأرضية.

ــ وفي ١٢ ابريل ١٩٦١ اطلق الاتحاد السوفيتي المركبة الفضائية ــ فوستوك الأولى ــ تحمل الرائد يوري قاقارين ليكون اول انسان يدور حول الكرة الأرضية وفي اغسطس ١٩٦١ ارسلوا الرائد تيتوف ليدور عدة مرات حول الأرض على متن المركبة (فوستوك ــ ٢) وعاد للأرض بسلام، وعندما تولى جون كنيدي الحكم في يوليو ١٩٦٠ اهتم بوضع برنامج لدعم ابحاث الفضاء في امريكا ووجه العالم الألماني فون براون بأن يشرف على مشروع (ابولو) لإرسال رائد فضاء امريكي الى القمر في غضون عشرة اعوام « وفون براون هو مخترع صواريخ ف ١ وف ٢ التي سبقت الاشارة اليها في معركة بريطانيا عام ١٩٤٠ ».

ــ وقد شهد عام ١٩٦١ و١٩٦٢ سباقاً شديداً بين روسيا وامريكا في ارسال الصواريخ ومركبات الفضاء.. فقد ارسلت امريكا اول رائد لها الى الفضاء ليدور حول الأرض في مركبة من طراز (ميركوري) وهو الرائد جون جلن وذلك في فبراير ١٩٦٢ وبعده في شهر مايو قام سكوت كاربنتر بدورات حول الأرض، وفي اغسطس اطلق السوفييت عدة رواد في صواريخ متوالية منهم نيكولاييف وبوبوفتش.. وفي عام ١٩٦٣ ارسل الأمريكان رائداً حول الأرض هو جوردون كوبر بينما اطلق السوفييت في يونيو الرائد بايكوفسكي ثم ارسلوا في مركبة أخرى اول رائدة للفضاء. وهي فالنتينا ترشكوفا..

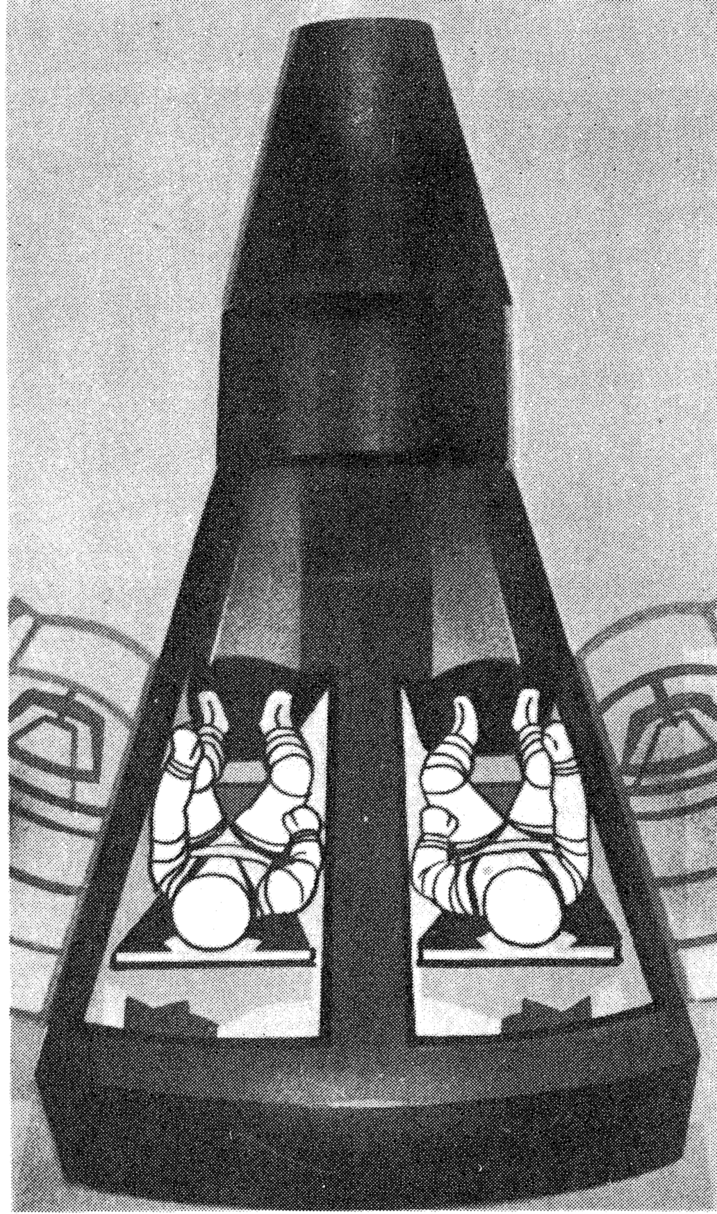
ــ وقد شهدت تلك الفترة سباقاً حاداً في التسلح ففي اكتوبر عام ١٩٦١ جرب السوفييت اضخم قنابل نووية من عيار ٢٥ و٥٠ ميقا طن، ولم تحدث حتى اليوم تفجيرات اقوى من تلك التفجيرات، وكان لقاء القمة

في باريس بين خروتشوف وايزنهاور (في ١٦ مايو ١٩٦٠) قد فشل بسبب اكتشاف الروس لطائرة تجسس امريكية تحلق على ارتفاع شاهق (من طراز يوتو) استطاعوا اسقاطها بصاروخ موجه واسروا قائدها فرانسيس باورز، وطلب خروتشوف من ايزنهاور الإعتذار رسمياً ولما لم يعتذر فشل المؤتمر.

ــ ولكن في عام ١٩٦٢ توصلت روسيا وامريكا وبريطانيا الى توقيع اتفاقية الحظر الجزئي لتجارب الأسلحة الذرية وهي تحظر اجراء التجارب فوق سطح الأرض ولكنها لا تمنع اجراءها تحت الأرض.

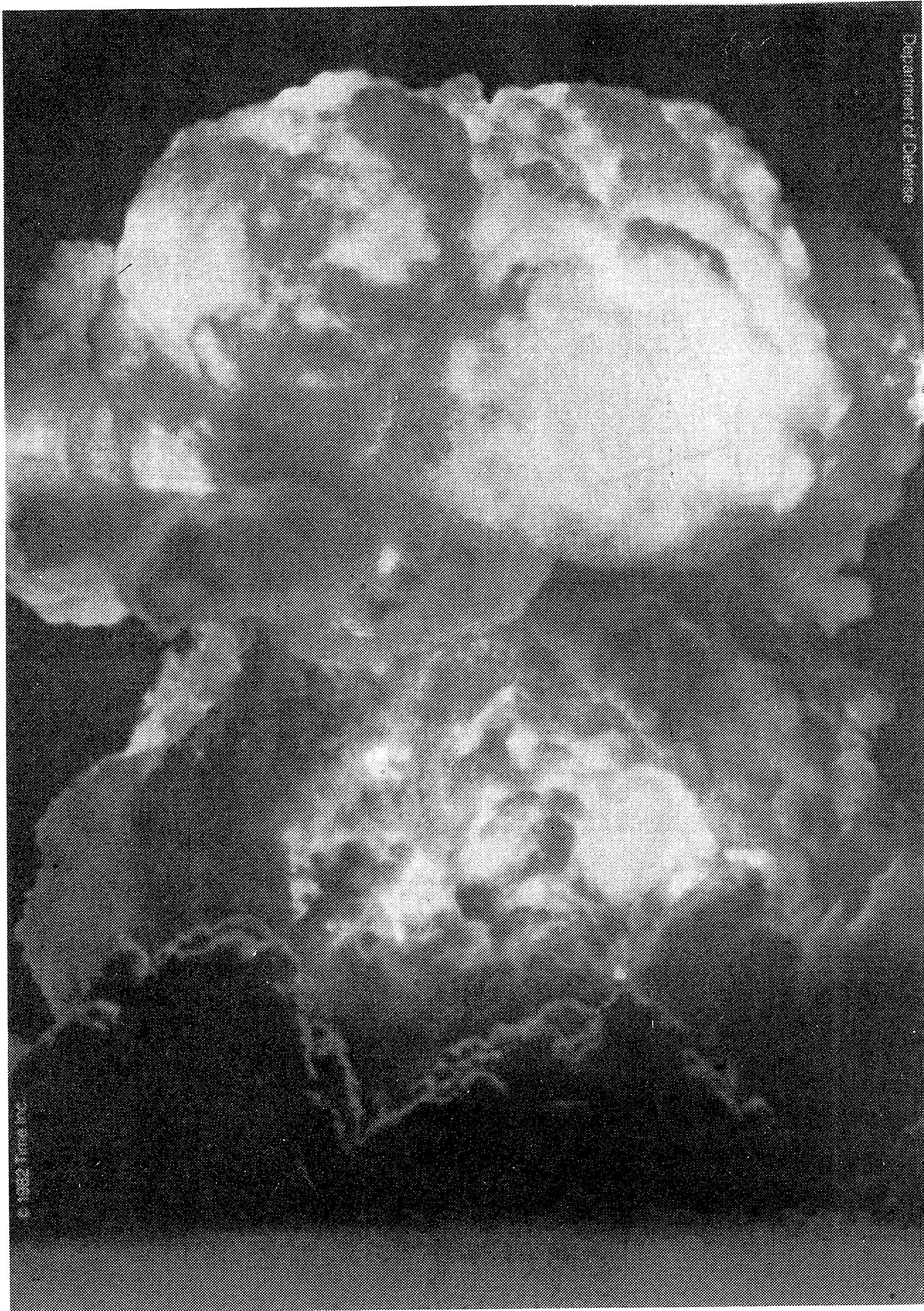
ــ لقد كان الأمريكيون متفوقين في مجال الأسلحة الذرية وكان لديهم اسلحة ذرية ذات قوة عالية وحجم اصغر من حجم اسلحة السوفييت ذلك لأنهم بدأوا قبل السوفييت في هذا المجال ولكن السوفييت كانوا متفوقين في مجال الصواريخ، فقد قصفت امريكا مدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين في عام ١٩٤٥ وظلت تحتكر السلاح الذري ولكن في عام ١٩٤٩ استطاع السوفييت تجربة قنبلة ذرية وبعد ذلك بعامين استطاع السوفييت تفجير قنبلة نووية وواصلوا صنع قنابل اكثر قوة، وبينما اتجه الأمريكان لتطوير صناعة الغواصات الذرية اهتم السوفييت بالصواريخ عابرة القارات.. (I.C.B.M).

ــ والحقيقة ان التسابق لغزو الفضاء كان يرافق التسابق في تطوير الأسلحة الحديثة.. والإكتشافات العلمية المهمة في صناعة الصواريخ وتوجيهها وتطوير الصناعات الإلكترونية اللازمة لعمليات الفضاء هي ايضاً اجهزة مفيدة في مجال تطوير الأسلحة واساليب الاستطلاع ووسائل الإتصال.. وقد تولد من سباق الفضاء تطوير اساليب التحكم الآلي من بعيد في الأجهزة (TELEMETRY)، واختراع (الترانزستور) والدوائر الالكترونية الدقيقة (لتوفير الحيز المكاني في سفن الفضاء) والسبائك التي تقاوم الحرارة الشديدة، والآلات للتصوير البعيد المدى وتحسين المسح الجوي واجهزة التمييز ليلاً واجهزة الرصد الالكترونية.. واختبار عمل الانسان في ظروف قاسية ومدى تحمله لشتى الضغوط. وهذه كلها امور لها مغزاها بالنسبة للعسكريين، ومعظم الرواد الذين ارسلوا الى الفضاء كانوا غالباً من ضباط الطيران او المهندسين.



مقطع في إحدى كبسولات « جيمني » الأمريكية

ــ وقد اتاح غزو الفضاء تجربة انواع جديدة من الصواريخ كما ان الأقمار الصناعية تعتبر اجهزة دقيقة للإستطلاع كما توجد امكانية لإطلاق اقمار صناعية مزودة باسلحة ذرية واقامة قواعد حربية على محطات فضائية تدور خارج الكرة الأرضية هو امر وارد وان كان علينا ان نتوقع اختراع اسلحة يمكنها تدمير مثل هذه القواعد.

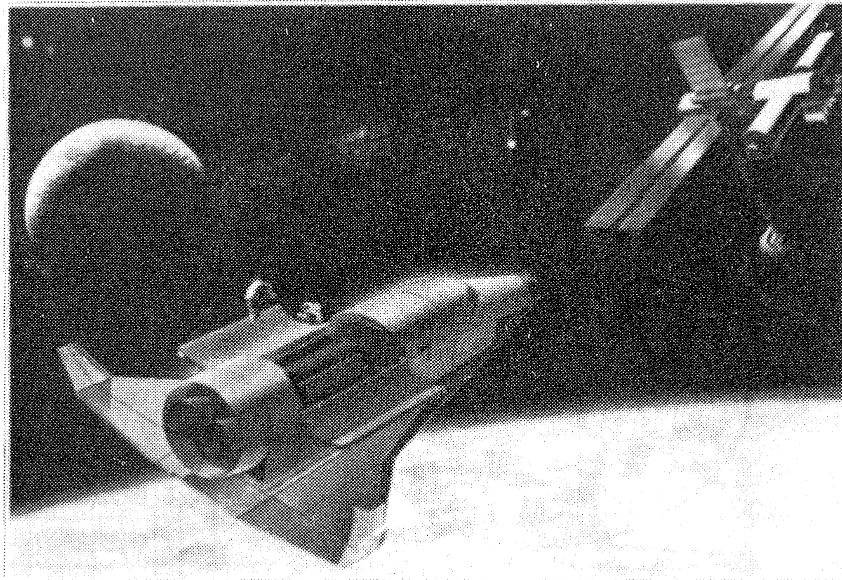


أضخم تجربة لسلاح نووية أجراها السوفييت في عام ١٩٦١.

وفكرة حرب النجوم التي يروج لها المستر ريجان ومستشاروه العسكريون تقوم على استغلال إشعاعات ليزر والجزيئات المشحونة السريعة لتدمير الأهداف المعادية في الفضاء وعلى الأرض.

ـــ باختصار، يمكن القول بأن السباق لغزو الفضاء كان يحمل ايضاً معنى السباق للتفوق في تطوير الأسلحة. كما رافق السباق لغزو الفضاء نوع من الحرب النفسية فالإنجازات في مجال غزو الفضاء تعتبر اضافة لمكانة الدولة الكبرى واستعراضاً لمقدرتها التكنولوجية..

ـــ وفي ٢٠ يوليو حقق رائد الفضاء الأمريكي نيل ارمسترونق « خطوة صغيرة لرجل وقفزة كبيرة للجنس البشري » على حد تعبيره.. وذلك عندما خطا من المركبة (ايقل) EAGLE الى سطح القمر كأول انسان يخرج من نطاق جاذبية الأرض ليسير على كوكب آخر وكانت السفينة (ابولو) قد تمكنت من اتخاذ مدار لها حول القمر وارسلت المركبة الصغيرة (ايقل) لتهبط برفق على سطح القمر وهي تحمل الرائدين ارمسترونق والدرين،



اقامة محطات في الفضاء

تطور وسائل التنصت والتجسس الالكتروني

تبنى عاكسات الاشعاع داخل الجدران بعمل فراغات مخروطية صغيرة بداخلها شعيرات من الصلب وعندما يجري بث موجات قصيرة جداً نحو الجدار تنعكس حاملة ذبذبات يترجمها كمبيوتر خاص الى معلومات..

زجاج الأبواب والنوافذ يتذبذب مع الأصوات واذا سلط عليه شعاع ليزر وانعكس حمل معه ذبذبات يحولها الكومبيوتر الى معلومات



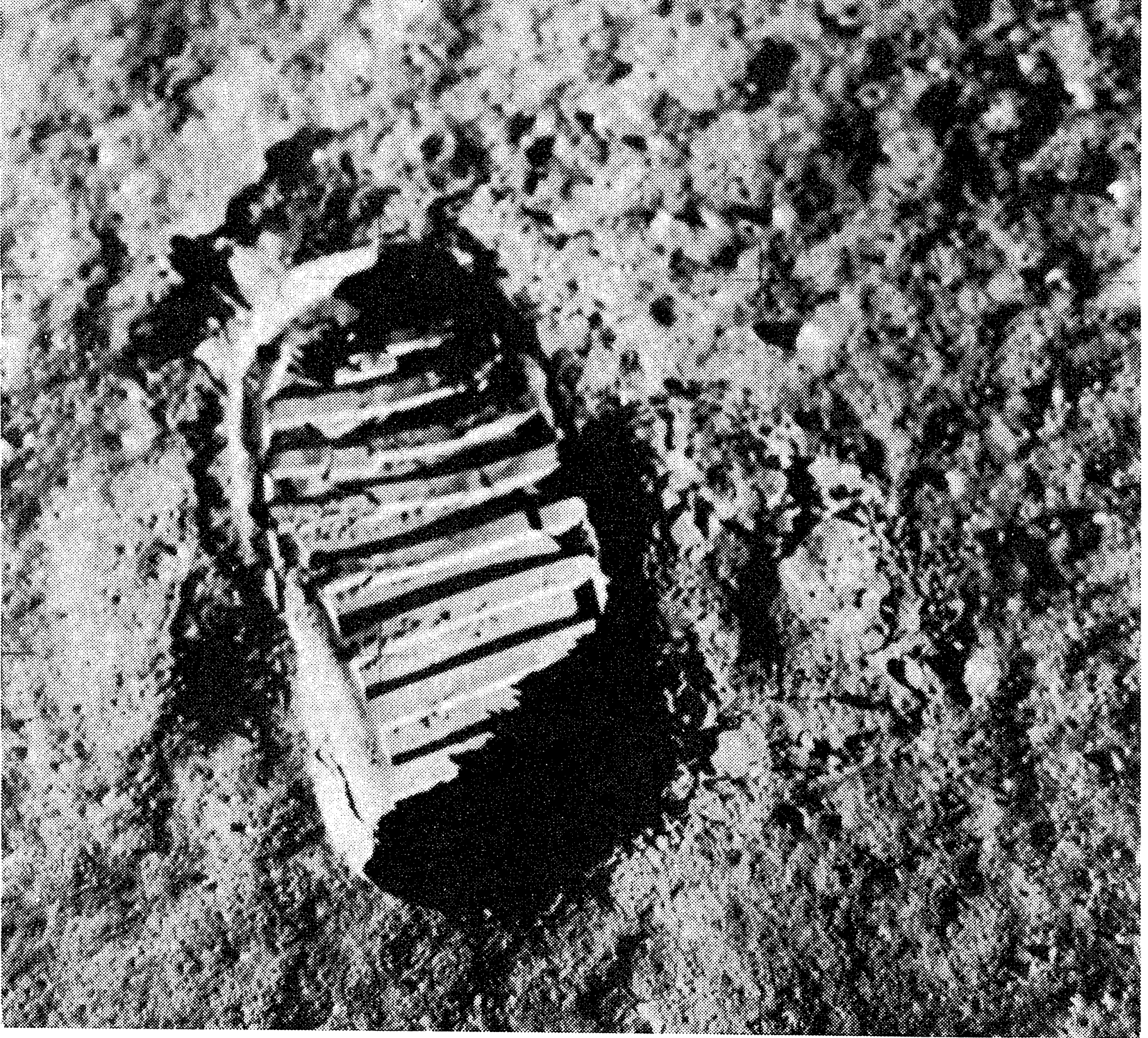
كومبيوتر خارجي مزود بهوائي خاص يلتقط المعلومات التي يعرضها كومبيوتر داخل المبنى.

أجهزة بث صغيرة في كعب الحذاء

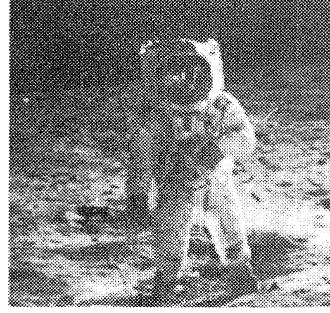
تتولد اشارات الكترونية من الطابعات الالكترونية يمكن ان تلتقطها عاكسات الاشعاع وتنقلها لأجهزة تنصت خارجيه.

وهكذا حازت امريكا قصب السبق في مجال الفضاء.. وقد استمر السوفييت في ارسال مركبات فضائية آلية الى سطح القمر وتمكنوا بواسطتها من الحصول على عينات من صخور القمر.

ــ وعندما بلغ الأمريكان والسوفييت مستوى متقاربا في المعرفة التكنولوجية بوسائل غزو الفضاء ظهرت مع سياسة الوفاق عام ١٩٧٢ الدعوة للقيام بعمليات (امريكية ــ سوفييتية) مشتركة لغزو الفضاء وتم وضع برنامج لتبادل الخبرات وللتعاون بين روسيا وامريكا في ابحاث الفضاء.



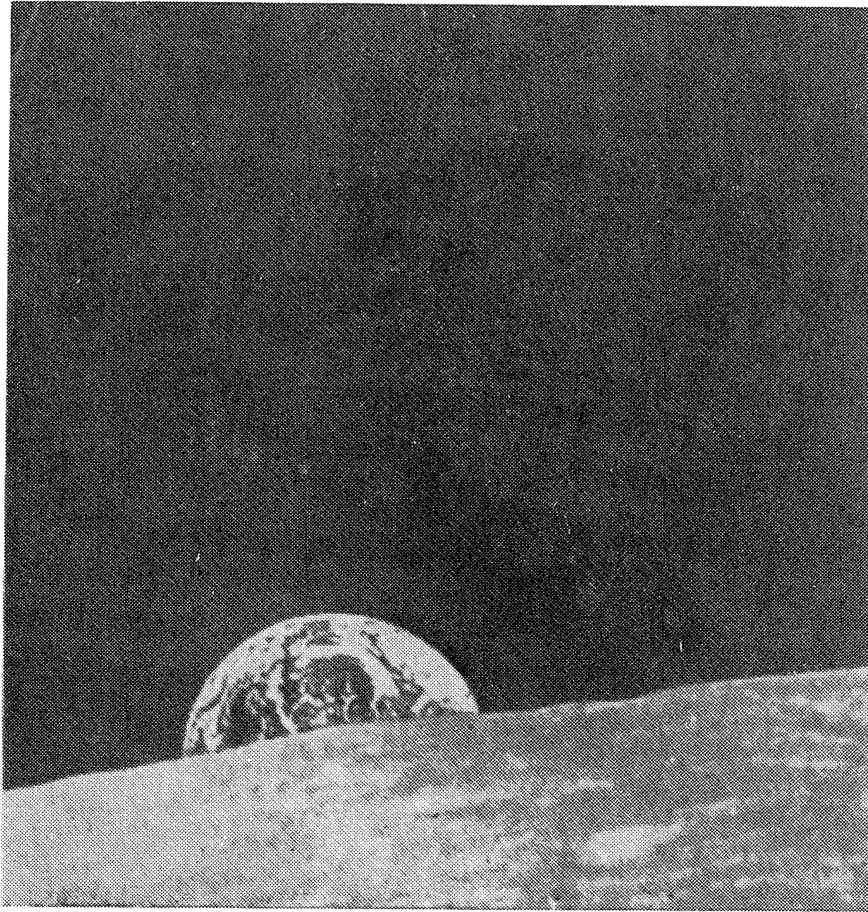
صورة تاريخية لأثر قدم رائد الفضاء الأمريكي نيل آرمسترونق فوق سطح القمر يوليو ١٩٦٩.



آرمسترونق على القمر

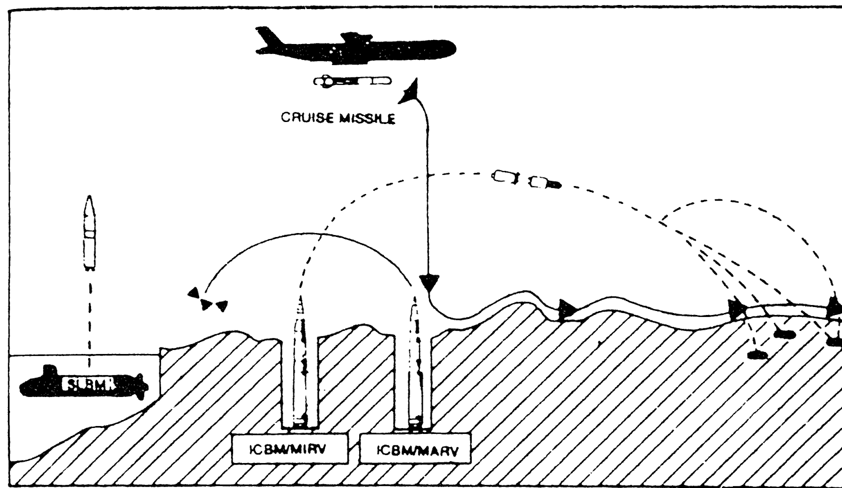


الطيران في الفضاء



مشهد لظهور الأرض عند الأفق من على سطح القمر

في يوليو ١٩٧٥ تم تدشين الوفاق بين الدولتين العظميين
بلقاء في الفضاء بين مركبتين من نوع أبولو الأمريكية وسويوز السوفييتية



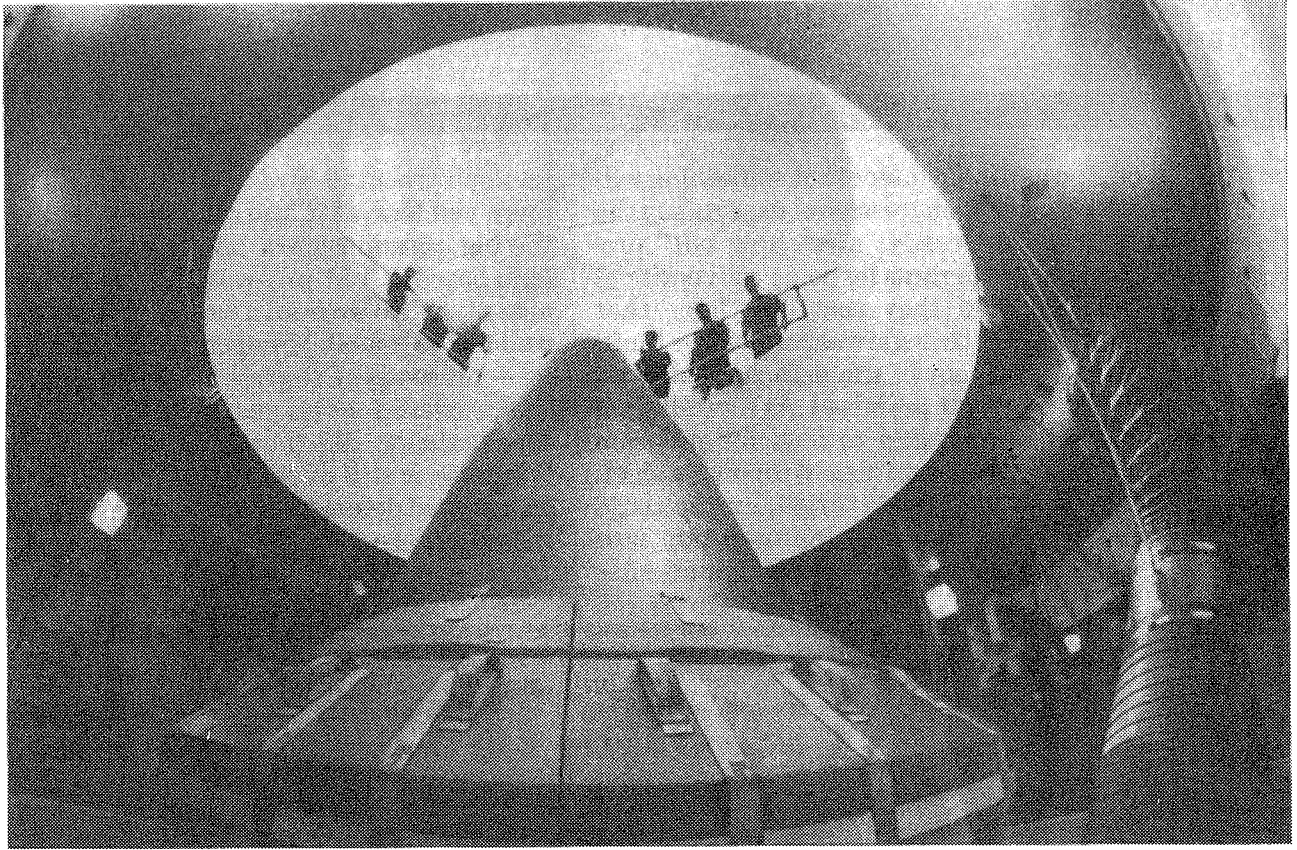
صاروخ كروز يطلق من طائرة أو غواصة ويحلق قريباً من تضاريس الأرض، وهو يكمل المنظومة الهجومية للصواريخ ذات الرؤوس الذرية.

THE SUNDAY TIMES

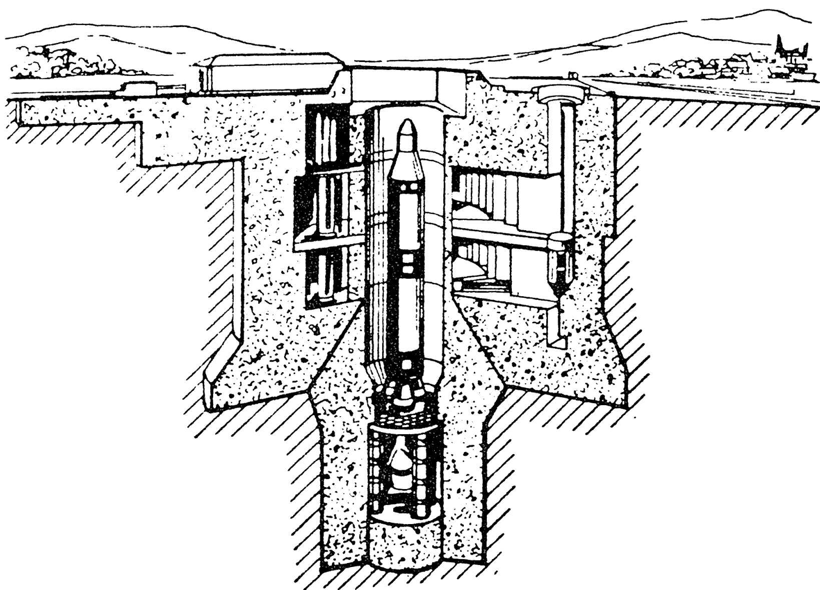
Revealed: the secrets of Israel's nuclear arsenal

اعترافات فانونو عن امتلاك اسرائيل لأسلحة ذرية (٦/١٠ــ١٩٨٦) في الصنداي تايمز

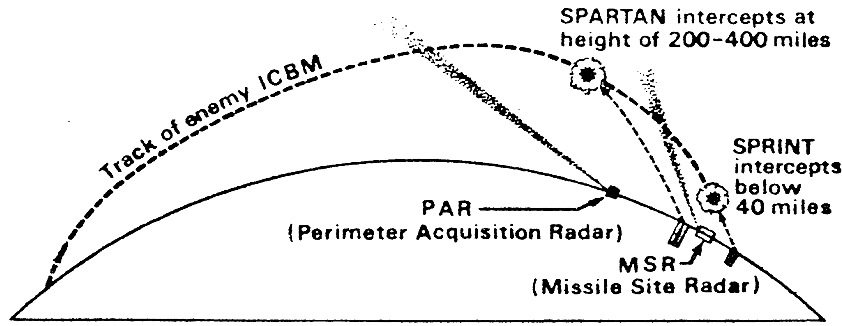
نظام التوجيه في صاروخ كروز الأمريكي يقوم على:
ــ مقارنة طبواغرافيا الأرض بذاكرة الكومبيوتر التي تحول المعلومات الجغرافية الى صور رقمية وتقارن بين معلومات الكومبيوتر والصور الرقمية للمناطق التي يعبرها الصاروخ كروز وهو نظام (تيركوم) ــ TERCOM



الصاروخ الأمريكي (إم. إكس) في قاعدة وارين في وايمنج



الصاروخ في صومعة
تحت الأرض



نظام أمريكي مضاد للصواريخ المهاجمة جرب في الستينات

الدعوة لنزع السلاح:

ارتبطت من قديم الدعوة للسلام بالدعوة لنزع السلاح، وكانت الدول قد اتفقت قبل الحرب العالمية الأولى على تحريم استخدام اسلحة معينة مثل الغازات السامة ورصاص دمدم، ورغم ذلك فان ميادين القتال في فرنسا شهدت استخدام الغاز السام في الحرب العالمية الأولى. ولكن الغاز السام لم يستخدم في الحرب العالمية الثانية لأنه لم يكن فعالاً وكانت اسلحة الإبادة بالجملة قد تطورت بالقصف الجوي المركز، وشهدت نهاية الحرب الثانية مولد القنبلة الذرية..

وبعد ظهور السلاح الذري انتشرت الدعوة لتحريمه. ونشط انصار السلام في العالم في الدعوة لمنع استخدام الأسلحة الذرية ووقف تجربتها ونظراً لما تسببه التجارب الذرية من تلويث الهواء والبيئة فقد اشتدت الدعوة لتحريمها ومنذ عام ١٩٦٢ بدأت في جنيف اجتماعات مؤتمر نزع السلاح تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة.

— وفي يوليو ١٩٦٣ تم التوقيع على معاهدة الحظر الجزئي للتجارب الذرية ووقعت عليها امريكا والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وهي تحرم اجراء التجارب الذرية فوق سطح الأرض.. وقد استمرت تلك الدول تجري

تفجيراتها الذرية تحت الأرض بينما رفضت دول اخرى التوقيع على المعاهدة واستمرت فرنسا والصين في اجراء تجاربهما الذرية فوق سطح الأرض.. وكانت فرنسا قد استطاعت تجربة قنبلتها الذرية في عام ١٩٦٠.

ـــ وفي اغسطس ١٩٦٢ تكونت لجنة منبثقة من الأمم المتحدة اشتركت في عضويتها ١٨ دولة وسميت لجنة نزع السلاح. واجتمعت في جنيف لبحث الحد من انتشار الأسلحة الذرية، وقاطعت فرنسا هذه اللجنة كما انتقدت بكين اعمال اللجنة واتهمتها بأنها تعمل لبقاء السلاح الذري محتكراً بين روسيا وامريكا لاملاء شروطهما على دول العالم غير الذرية (وقد تمكنت الصين من صنع قنبلتها الذرية الخاصة في عام ١٩٦٤).

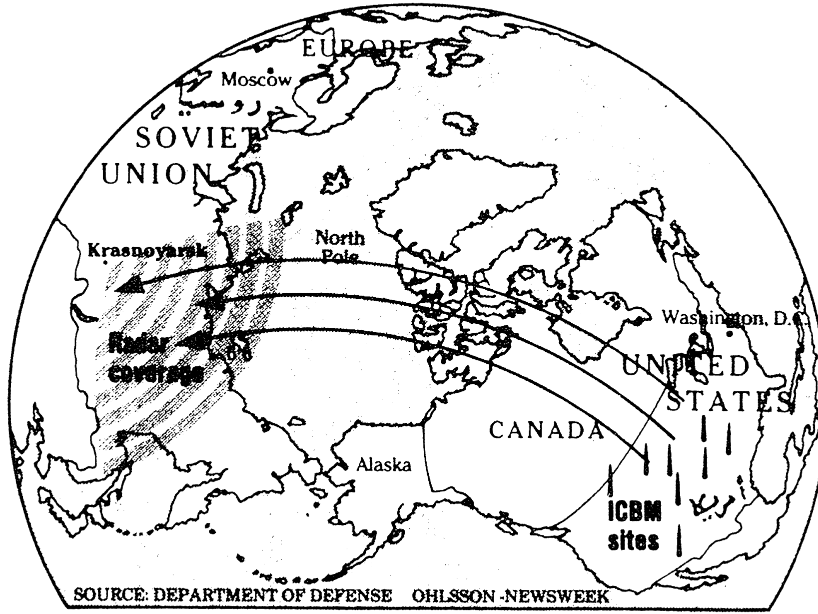
ـــ وقد واصلت لجنة نزع السلاح اجتماعاتها في جنيف وفي عام ١٩٦٨ تمكنت اللجنة من صياغة معاهدة منع انتشار الأسلحة الذرية وهذه المعاهدة لا تحرم السلاح الذري ولكنها تحرم على الدول التي تملك هذا السلاح مساعدة الدول غير الذرية في صنع الأسلحة الذرية. اما الدول غير الذرية التي وقعت المعاهدة فتتعهد بعدم انتاج الأسلحة الذرية وعدم قبول هذه الأسلحة او انتاجها، وقد وقعت على المعاهدة (حتى اول عام ١٩٧٥) اربع وثمانون دولة. وقد وقعت مصر مبدئياً بشرط ان يكون توقيعها نافذاً عندما توقع اسرائيل بالمثل على معاهدة منع انتشار الأسلحة الذرية وتسمى المعاهدة: non-proliferation treaty.

ولكن هذه المعاهدة لم تمنع استمرار تطوير الأسلحة الذرية والصاروخية وتجربتها وتكديسها اي استمرار سباق التسلح، وعدد الدول التي تملك اسلحة ذرية يتسع باستمرار ـــ وهي الآن: ـــ

١ ـــ امريكا امتلكت اول قنبلة ذرية عام ١٩٤٥
٢ ـــ روسيا عام ١٩٤٩
٣ ـــ بريطانيا عام ١٩٥٢
٤ ـــ فرنسا عام ١٩٦٠

٥ ــ الصين عام ١٩٦٤
٦ ــ الهند عام ١٩٧٤
٧ ــ اسرائيل عام ١٩٧٩
٨ ــ جنوب افريقيا عام ١٩٧٩
٩ ــ باكستان؟

والبقية تأتي..



رصد الصواريخ الأمريكية من قاعدة كراسنيارسك في سيبريا قرب القطب الشمالي.

الفناء المؤكد:

وقد تطورت وسائل حمل القنابل الذرية والنووية من استخدام الطائرات بعيدة المدى الى استخدام الصواريخ الموجهة الكترونياً، فالأسلحة الاستراتيجية هي الأسلحة الموجهة لضرب عمق العدو، وفي العصر الذري فان الأهداف في عمق العدو هي المراكز الصناعية والمدن التي تشكل العقد العصبية للبلاد وفي ١٩٧٤ ذكرت مصادر امريكية ان هناك ٣٦ صاروخاً امريكياً تحمل رؤوساً ذرية موجهة باستمرار نحو اي مدينة من مدن الاتحاد السوفييتي

يسكنها اكثر من ١٠٠ الف نسمة، وذكرت نفس المصادر ان السوفييت يوجهون بدورهم ١١ صاروخاً ضخماً نحو كل مدينة من المدن الأمريكية التي يسكنها اكثر من ١٠٠ الف نسمة.. وهناك حوالي مائتي مدينة في كلتا الدولتين بهذا الحجم. وهذا الموقف هو التطبيق العملي لاستراتيجية الردع النووي او ما يسميه البعض التهديد المتبادل بالفناء mutual assured destruction.

ــ وقد كان المظنون في الستينات انه لا يوجد دفاع ضد الصواريخ حاملة الرؤوس الذرية، وان الطريقة الوحيدة لشل الخصم هي تهديده بالردع وبأنه لن يفلت من العقاب المدمر وان الضربة الثانية ستأتيه حتماً اما من الغواصات الذرية حاملة الصواريخ التي تنطلق من تحت سطح البحر او من اسراب الطائرات البعيدة المدى المحلقة باستمرار في الجو.. او من قواعد ارضية سرية يصعب على العدو رصد مكانها وتدميرها في الضربة الأولى..

ــ وكان الرئيس الأمريكي الراحل جون كنيدي قليل الثقة بانظمة الدفاع ضد الصواريخ المهاجمة ومحاولة اسقاط الصاروخ المهاجم بصاروخ مضاد.. وقال « ان هذا يشبه اصطياد رصاصة منطلقة برصاصة اخرى منطلقة » غير ان الأنباء اكدت بعد ذلك ان السوفييت قد تمكنوا من بناء حزام دفاعي مضاد للصواريخ المهاجمة حول موسكو وحول لينتقراد.

ــ وفي سبتمبر عام ١٩٦٧ اعلن وزير الدفاع الأمريكي روبرت ماكنمارا ان بلاده سوف تبني جهازاً دفاعياً محدوداً ضد الصواريخ الهجومية، وانها ستنفق خمسة بلايين من الدولارات على مدى خمس سنوات، وحرص الوزير الأمريكي ان يؤكد ان الجهاز الدفاعي المضاد للصواريخ الغرض منه صد هجمات الصواريخ الصينية بعد ان افادت المخابرات الأمريكية ان الصين تملك صواريخ بعيدة المدى ذات رؤوس ذرية.. وقال ان امريكا لا تريد بدءِ مرحلة اخرى من سباق التسلح مع روسيا (وكان الرئيس جونسون قد التقى في يونيو ١٩٦٧ مع الزعيم السوفييتي كوسيجين في جلاسبورو)



خروتشوف وبولقانين (١٩٥٦)

واشار ماكنمارا الى ان بناء شبكة دفاعية ضد الصواريخ الروسية يكلف امريكا ٤٠ مليون دولار وفي نفس الوقت لا يعطيها الأمن الكافي..

ــ وقد اقامت الولايات المتحدة فعلاً شبكة دفاعية محدودة تسمى (NIKE-X-SYSTEM) وتقوم على شبكة رادار ترصد الصواريخ المهاجمة مرتبطة بعقول الكترونية توجه اطلاق الصواريخ المضادة للصواريخ، وفي الخط الدفاعي الأول تعترض الصواريخ المضادة من طراز (سبارتان) الصواريخ المهاجمة على ارتفاع كبير وعلى مسافة ٤٠٠ ميل من اهدافها، فاذا استطاعت الصواريخ المهاجمة الافلات من الخط الأول اعترضتها صواريخ من طراز (سبرنت) على مسافة ٥٠ ميلاً من الهدف وعلى ارتفاع ادنى.

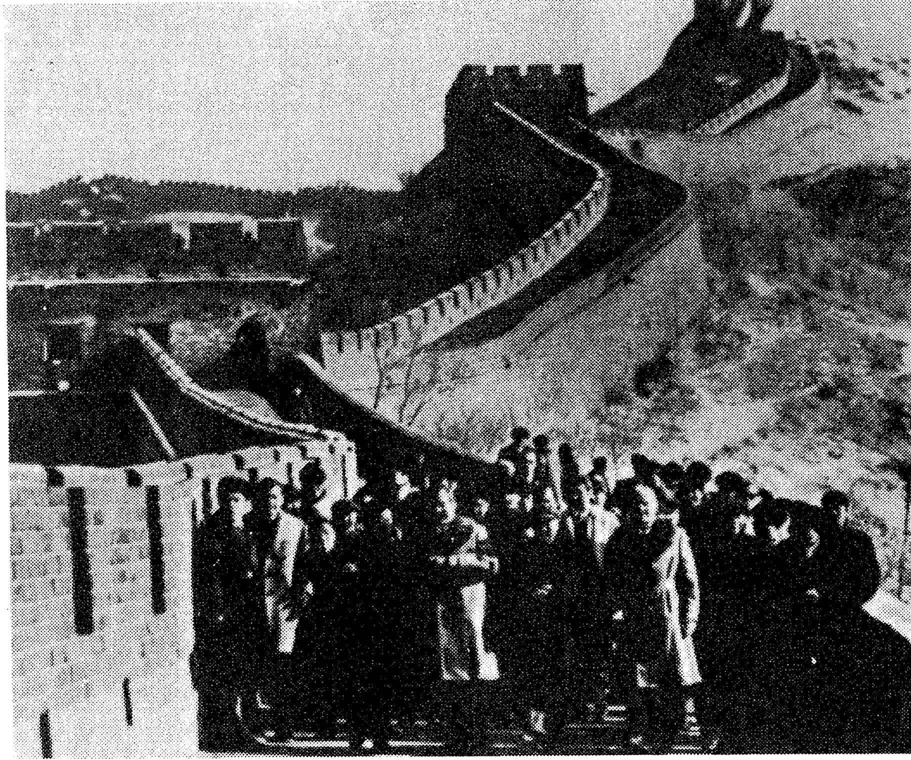
ـــ وقد وجد كل من الروس والأمريكان ان بناء شبكات دفاعية لا يقلل من خطر الدمار المفاجئ بل في الحقيقة يزيد من اخطار الحرب النووية لأن استراتيجية الردع النووي تقوم على الخوف المتبادل من التدمير بواسطة الخصم، فاذا راود احد الأطراف شعور نسبي بالأمن وراء حاجز دفاعي فهذا ربما يغريه بالمخاطرة بتوجيه الضربة الأولى ضد الخصم او ما يسمونه بالضربة الاجهاضية لإمكانيات الخصم التدميرية.

وهكذا نرى لأي مدى بدلت الأسلحة المتطورة من المفاهيم العسكرية والسياسية الخاصة بالأمن.. فالحزام الدفاعي الذي يبنى لتحقيق الأمن يصبح مصدراً للمزيد من القلق والتهديد.. واذا كان بناء حزام دفاعي ضد الصواريخ يستغرق خمس سنوات ونفقات هائلة، فان التطور في تكنولوجيا الأسلحة الحديثة يجعل شبكة الدفاع غير ذات موضوع قبل الانتهاء من بنائها.. ولما كانت الدول الكبرى تعاني ضغوطاً لرفع مستوى معيشة شعوبها حيث السباق في اساسه هو سباق حول كفاءة نظمها السياسية وتلبيتها لاحتياجات شعوبها.. فان السباق حول اقتناء الصواريخ الذرية، ثم الصواريخ المضادة للصواريخ.. ثم الصواريخ لضرب قواعد (الصواريخ المضادة للصواريخ) هذا السباق العقيم يلتهم ميزانية الدول ويرهقها دون حرب.. ويكفي ان نشير الى ان ميزانية الدفاع الأمريكية بلغت عام ١٩٧٥ حوالي ١٣٠ بليون دولار، وان كلا من امريكا وروسيا تنفق على البحوث الخاصة بتطوير الأسلحة حوالي ١٥ بليون دولار سنوياً وهي تزداد باستمرار..

ولا شك ان فداحة تكاليف سباق التسلح كانت عاملاً هاماً من عوامل بدء المحادثات بين امريكا وروسيا للحد من الأسلحة الاستراتيجية.

الحد من الأسلحة الاستراتيجية: strategic arms limitation talks.

كان من نتيجة الانفراج بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الذي بدأته زيارات الدكتور كيسنجر ثم المستر نكسون لموسكو عام ١٩٧٢



فبراير ١٩٧٢ ــ رتشارد نكسون يزور الصين.

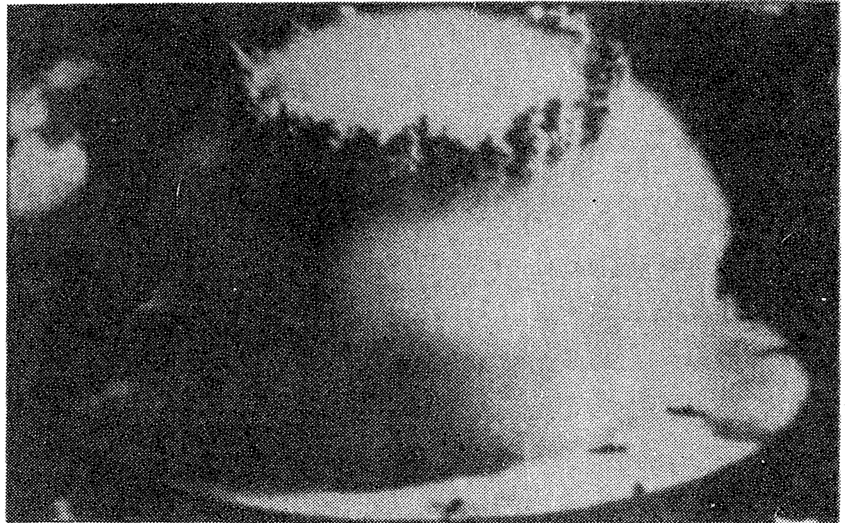
ان اثمرت المحادثات للحد من الأسلحة الاستراتيجية وهي التي عرفت فيما بعد بمحادثات (صولت) SALT-I اختصارا وقد بدأت عام ١٩٦٩ واسفرت المرحلة الأولى عن اتفاق بين موسكو وواشنطن تم فيه تجميد تطوير نظم الدفاع ضد الصواريخ ABM, antiballistic missiles لمدة خمس سنوات، وكذلك اتفق على تحديد كمية الصواريخ الهجومية التي يملكها كل طرف. وهذه المرحلة من المحادثات كانت اسهل من المراحل التالية لأنها تتصل بتحديد (كمي) وليس نوعياً، ويعتقد الخبراء ان الأقمار الصناعية ووسائل الرصد والاستطلاع الحديثة تستطيع ان تحدد بدقة عدد الصواريخ البعيدة المدى والقواعد التي تنطلق منها وكذلك الطائرات القاذفة التي تحمل اسلحة نووية وتستطيع الطيران لمسافات طويلة فكل طرف يمكنه ان يراقب ما يملكه الطرف الآخر من اسلحة استراتيجية.. كما انه من الصعب اخفاء شبكات الدفاع ضد الصواريخ.. وفي المرحلة الأولى اتفق على ان يحتفظ السوفييت بـ ٢٣٥٨ صاروخاً عابراً للقارات وان يحتفظ الأمريكان بـ ١٧١٠

صواريخ. وقيل ان السبب ان لدى الأمريكان صواريخ تحمل عدة رؤوس نووية وليس رأساً واحدة، ولذا فان الطاقة التدميرية لـ ٢٣٥٨ صاروخا روسيا تساوي ١٧١٠ صواريخ امريكية (وهذه هي المعلومات المستقاة من المصادر الغربية).

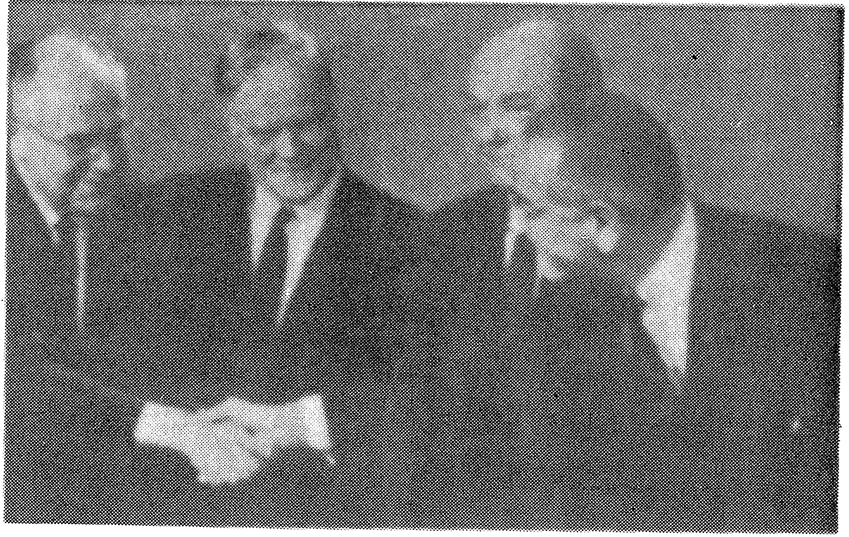
المرحلة الثانية: SALT II

ــ وقبل انتهاء السنوات الخمس من اتفاق المرحلة الأولى للحد من الأسلحة الاستراتيجية كان لا بد من بدء جولة ثانية من المحادثات.. وقد بدأت في مارس ١٩٧٤ في جنيف واتضح انها مرحلة اصعب من المرحلة السابقة لأن المرحلة الأولى لم تمنع سباق التسلح ولكنها غيرت اتجاهه من الكم الى النوع.. فاتجهت الدولتان لتحسين نوعية قنابلهما النووية ووسائل حملها وتوجيهها لأهدافها.. قد جرب السوفييت بنجاح صواريخ تحمل عدة قنابل نووية توجه لأهداف متعددة من النوع الذي يسميه الأمريكان MIRV اختصارا للاصطلاح العسكري.. multiple independently targetable re-entery vehicles.

خطوات على طريق نزع السلاح



معاهدة الحد من التجارب الذرية تمنع اجراء تجارب في الجو أو تحت سطح البحر، وفي ١٩٧٤ تم الاتفاق على معاهدة تحدد قوة الانفجارات الذرية تحت الأرض.



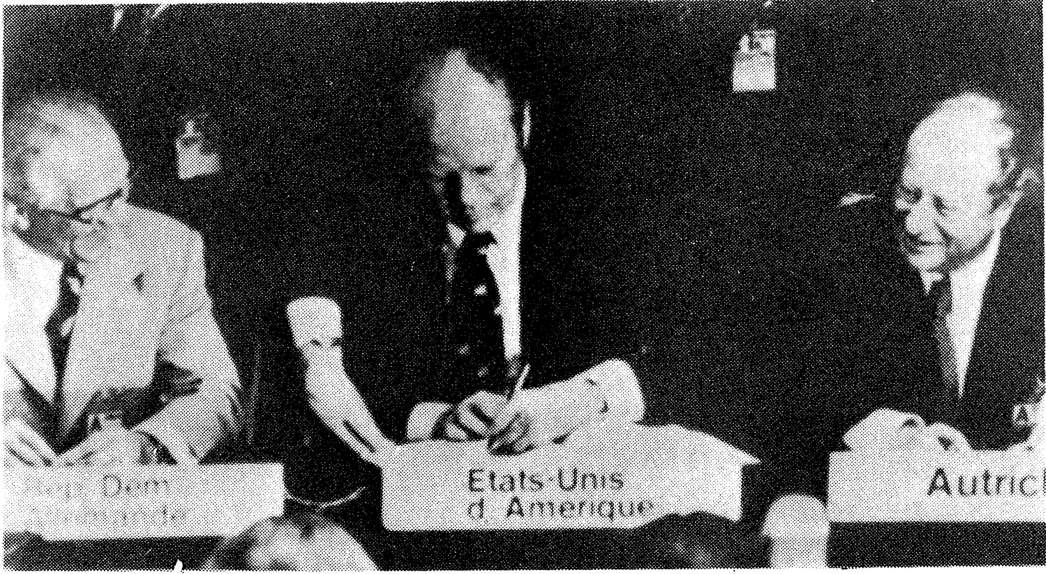
معاهدة ١٩٦٧
تمنع وضع أسلحة في الفضاء الخارجي وفي ١٩٦٨ وقعت معاهدة لمنع انتشار الأسلحة الذرية.



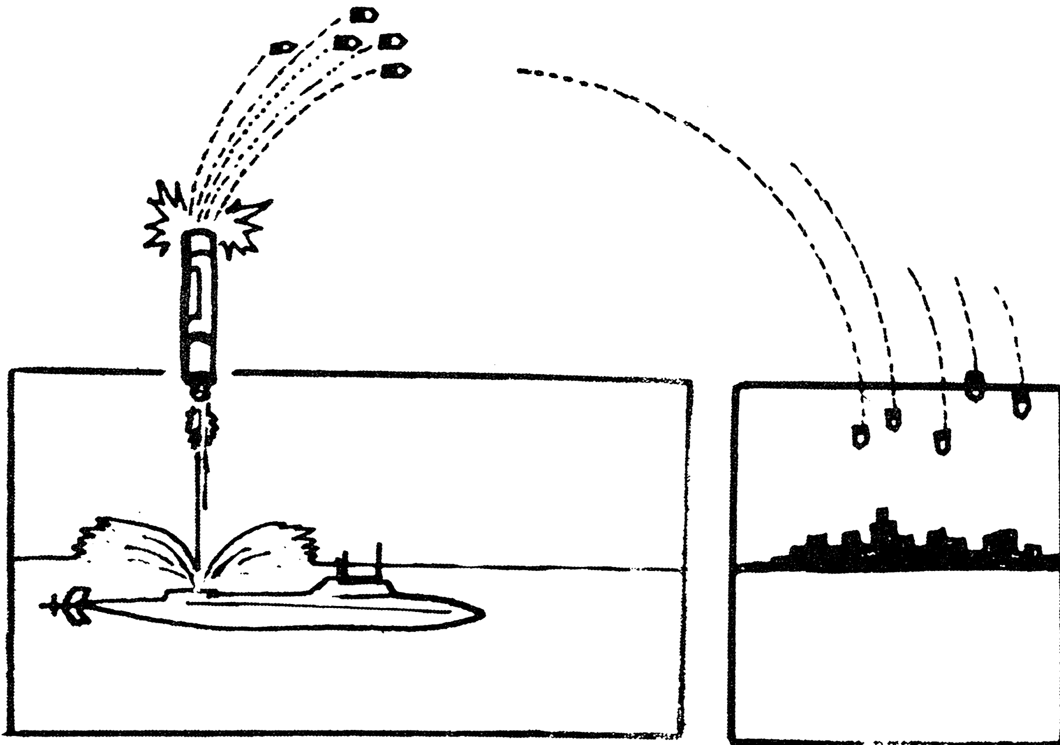
معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية للمرحلة الأولى حددت بناء نظم دفاعية ضد الصواريخ كما حددت كمية وسائل حمل الرؤوس النووية.



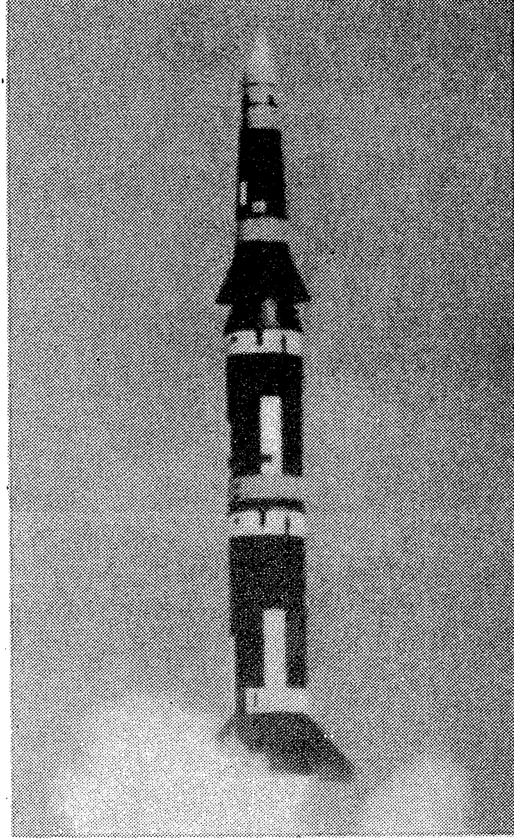
وقعت بالأحرف الأولى معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية للمرحلة الثانية (صولت ٢) حددت نوعياً نشر اسلحة جديدة استراتيجية وكذلك كمياتها ولكنها لم يصدق عليها بصورة نهائية.



اتفاقية هلسنكي أغسطس ١٩٧٥ التعهد بنبذ استعمال القوة او التهديد باستخدامها واحترام حقوق الانسان.



صواريخ تنطلق من الغواصات مداها ٦٠٠٠ ميل تحمل رؤوساً ذرية ضد أهداف محددة.



١٩٨٧ محادثات في جنيف لازالة الصواريخ المتوسطة المدى من أوربا.. (بيرشنج — ٢).

ومعناها: « وسائل حمل راجعة ذات تهديف مستقل موجهة لأهداف متعددة » ذلك لأن صواريخ (ميرف) تطلق لتتجاوز الغلاف الجوي وتسافر في الفضاء ثم ترجع للغلاف الجوي لتقترب من اهدافها حيث تنطلق منها عدة رؤوس نووية كل يصيب هدفاً مستقلاً.. كما ان هنالك نوعاً يسمى مارف MARV ويختلف عن (ميرف) بأن الرؤوس النووية يمكن تعديل خط سيرها بعد اطلاقها لتضرب هدفاً لم تكن موجهة نحوه من قبل.. maneuverable re-entery vehicles اي ان خط سيرها لم يكن محدداً سلفاً كما هو الحال في صواريخ (ميرف). ومدى صواريخ (ميرف) (ومارف) ٦٠٠٠ ميل ويمكن ان يحمل الصاروخ الواحد خمس رؤوس نووية.. والأمريكان كانوا اسبق من الروس في تطوير الصواريخ المتعددة الرؤوس النووية وفي مطلع ١٩٧٥ ذكرت مصادرهم ان لديهم ١٠٤٦ صاروخاً من نوع (ميرف)، والروس لديهم صاروخ جديد من نفس النوع يمكنه ان يطلق ٨ رؤوس نووية على اهداف متعددة في وقت واحد ويسمونه إس. إس. ٢٠.

* * *

ومحادثات المرحلة الثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية كان هدفها تحديد وسائل حمل القنابل النووية سواء كانت صواريخ او طائرات او غواصات.. فقد استحدث الأمريكان بعد اتفاق المرحلة الأولى، غواصات ذرية جديدة من طراز (ترايدنت) وتحمل الواحدة منها ٢٤ صاروخاً بعيد المدى (غواصات بولاريس كانت تحمل ١٦ صاروخاً ذات مدى اقصر) كما انتجوا طائرات قاذفة استراتيجية لحمل الأسلحة النووية من طراز (ب ــ ١) ويقترح الأمريكيون تحديد وسائل حمل الأسلحة النووية (VEHICLES) لكل طرف بـ ٢٤٠٠ جهاز ــ مثال ذلك انهم يقولون ان روسيا كانت تملك (في مطلع ١٩٧٥) ١٦١٨ صاروخاً بعيد المدى في قواعد أرضية و٧٤٠ صاروخاً تطلق من الغواصات و١٥٠ قاذفة استراتيجية.. والمجموع ٢٥٠٨ وهذا اكثر من الحد المقترح ولذا يجب تخفيض عدد وسائل حمل الأسلحة الذرية التي يملكها الروس.. اما الولايات المتحدة فكانت تملك (في مطلع ١٩٧٥) ١٠٥٤ صاروخاً بعيد المدى تطلق من قواعد ارضية و٦٥٦ صاروخاً تطلق من الغواصات و٥٠٠ قاذفة استراتيجية والمجموع ٢٢١٠ وهذا اقل من الحد الأقصى المقترح.. ولذا يسمح لأمريكا بان تضيف ١٩٠ من الصواريخ او الطائرات لتصل الحد المقترح..

وقد اسفر اتفاق المرحلة الأولى عن نشاط الطرفين لتحسين وتطوير نوعية الأسلحة الصاروخية النووية فكل طرف كان يريد دخول المرحلة الثانية من المحادثات وهو يحرز اسلحة اقوى من الطرف المقابل. وقد صنع الأمريكيون خلال ذلك قنبلة النيوترون التي تدمر البشر وتترك المباني سليمة.. كما اتقن السوفييت اطلاق الصواريخ من قواعد متحركة. وهكذا قاد السعي لتحديد الأسلحة الاستراتيجية الى تطويرها..

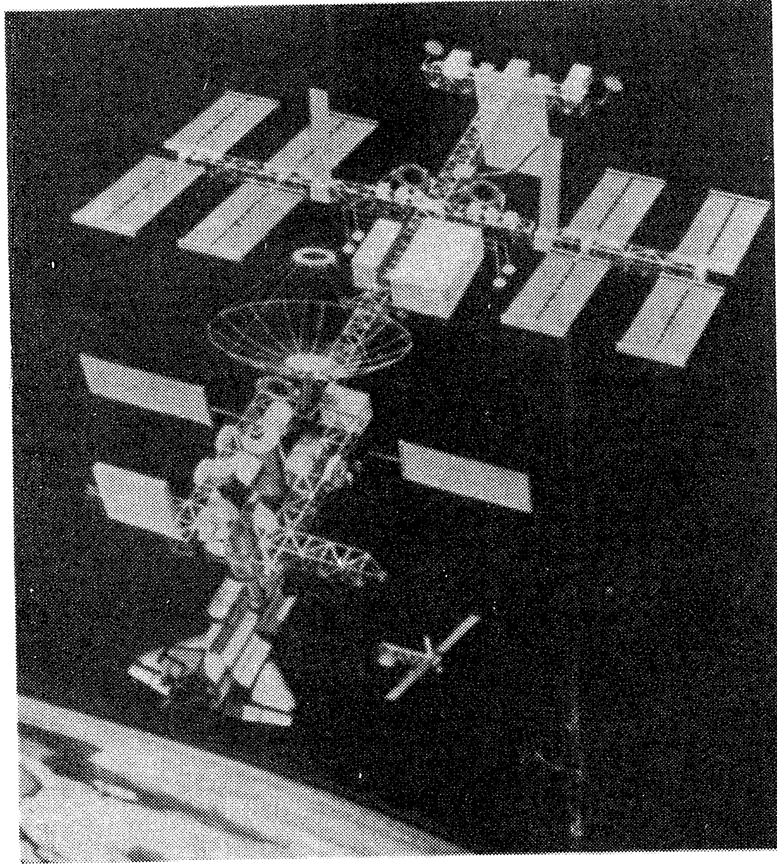
ولا ريب ان كلا من روسيا وامريكا تدرك ان الحرب النووية هي جنون مطبق لأن المخزون من الأسلحة النووية اليوم يكفي لتدمير العالم عشر مرات.. وليس مرة واحدة.. وفي حالة نشوب حرب نووية شاملة فان كلا من الطرفين سوف يفقد مدنه ومراكزه الصناعية وسوف يقتل اكثر من

نصف سكانه.. ويتلوث الهواء والماء بالإشعاعات ومن الصعب ان تستمر الحياة المتحضرة بعد ذلك.. وحتى الآن فان كل ما كتب عن الحرب النووية هو كلام نظري لأن احداً لم يشهد حرباً نووية ولا يعلم احد ما يمكن ان يحدث عندما تنفجر عشرات الرؤوس النووية في وقت واحد.. ويكفي ان الطاقة التدميرية للصاروخ الواحد من الطراز المتعدد الرؤوس النووية تبلغ عشرة آلاف ميقا طن اي تبلغ ٥٠٠ الف مرة قدرة قوة القنبلة الذرية الأولى التي اسقطتها امريكا فوق هيروشيما عام ١٩٤٥ وقتلت في الحال اكثر من مائة الف نسمة..!

ــ سباق التسلح ظل مستمراً، فقد رصدت الولايات المتحدة في عام (٧٤ ــ ١٩٧٥) ١٥٣ مليون دولار لصنع قذيفة جديدة من طراز (كروز) CRUISE.

وهي قذيفة موجهة تطير على ارتفاع قريب من الأرض وتحتضن تضاريس سطح الأرض لتفادي الرادار.

ــ كما دعا الاتحاد السوفييتي لإبرام اتفاق دولي يمنع استخدام الأسلحة الجديدة التي تؤثر في الطقس وفي البيئة بعد ان تطورت امكانيات العلم الحديث وصار ممكناً اطلاق الأعاصير والأمطار الغزيرة والضباب او صهر الجليد او نشر جراثيم لأمراض مجهولة او احداث الجفاف او احداث موجات في المحيطات تكفي لإغراق الموانئ او اجراء تغييرات في الغلاف الجوي فوق منطقة معينة تجعلها فريسة للإشعاعات الضارة، وهذه الأسلحة الجهنمية لم تعرف البشرية لها مثيلاً من قبل، وهي صارت في حيز الإمكان بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي الأمر الذي يؤكد لنا ان العلم سلاح ذو حدّين، وان الحضارة الإنسانية قد وصلت الى مفترق الطرق حيث القضية هي: ان نكون.. او لا نكون!!



نموذج لمحطة فضاء أمريكية مأهولة تبنى في التسعينات..

عقب محادثات مطولة جرت بين الوفود السوفييتية والأمريكية كللت بمفاوضات في واشنطن بين وزيري خارجية البلدين، أعلن الرئيس الأمريكي ريجان أنه قد تم الإتفاق بصورة مبدئية بين موسكو وواشنطن حول خفض الصواريخ المتوسطة المدى المنصوبة في قواعد أرضية ثابتة وكذلك الصواريخ القصيرة المدى، وشمل الاتفاق تفكيك حوالي ألف صاروخ مزودة برؤوس نووية لدى الجانبين يتراوح مداها بين ٣١٠ اميال و٣٢٠٠ ميل وتشمل صواريخ امريكية من نوع كروز وبيرشنج، وصواريخ سوفييتية من نوع (إس. إس ــ ٢٠) وغيرها.. وتضمن الاتفاق أيضاً اجراءات للرقابة والتفتيش يخضع لها الطرفان لضمان تنفيذ الاتفاق.

والمتوقع أن يمهد اتفاق سبتمبر ١٩٨٧ الطريق للتوصل لاتفاقات أخرى حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية خاصة الصواريخ بعيدة المدى عابرة القارات والأسلحة الأخرى..

خيار صفر الصفر ــ الصواريخ التي سوف يزيلها كل جانب...

	United States			[illegible]			
Missile	Pershing 1A	Pershing 2	Cruise	SS-23	SS-12	SS-20	SS -4
				Data not Released			
Number Deployed (العدد)	72	108	240	20	110	441	112
Warheads (الرؤوس الذرية)	1	1	1	1	1	3	1
Range (Miles) (المدى)	450	1,120	1,550	310	560	3,100	1,240

SOURCES: INTERNATIONAL INSTITUTE FOR STRATEGIC STUDIES; CENTER FOR DEFENSE INFORMATION

طبقاً لاتفاق واشنطن ــ سبتمبر ١٩٨٧

الفصل الثامن

المتغيّرات الدولية

المتغيرات الدولية:

عناصر كثيرة تتدخل لتغيير موازين القوى في العالم ولتعديل طبيعة العلاقات بين الدول واشكال الخارطة السياسية وملامح النظم السياسية.. هذه العناصر من التشابك والتعقيد بحيث يصعب فصل ما هو سبب عن ما هو نتيجة، لان النتائج سرعان ما تتحول بدورها لاسباب.. وقد يمكن في مرحلة ما ابراز عنصر هام او سبب حاسم في احداث تحول معين.. وان كان الامر المؤكد ان محصلة الوضع السياسي في لحظة معينة هي نتيجة تفاعل مجموعة كبيرة من العوامل المختلفة التي تعمل عملها على فترات طويلة، وربما تظهر اثارها فجأة في شكل تحول كيفي او تغير مفاجئ.

من الممكن ان نقول مثلا ان تفتت الاحلاف وظهور سياسة الوفاق بين الدول الكبرى هي احدى النتائج المباشرة للتطور التكنولوجي في مجال صناعة الاسلحة وظهور السلاح النووي الصاروخي الموجه.. ولكن من جهة اخرى فان ظهور هذا السلاح المتطور كان نتيجة لتقدم البحوث العلمية او الصناعية في مجالات متعددة.. كما انه من الصعب ان نشير الى سبب واحد باعتباره السبب الاساسي في التضخم المالي الذي يعاني منه العالم

الرأسمالي الغربي وهل هو نتيجة لازمة الطاقة (او ان ازمة الطاقة هي من نتائج التضخم) ام هو نتيجة للهزات التي اصابت العملات الورقية وخاصة الدولار بسبب الانفاق على الحروب والمعونات والاستثمار الخارجي؟؟ ام هو ظاهرة ترافق دورات الازدهار والكساد في الانتاج الرأسمالي ام هو نتيجة لاستقلال المستعمرات واقبالها على التصنيع والتنمية بسرعة متزايدة؟

تعددت الاسباب وتداخلت لتحدث موجة الغلاء والتضخم العالمي التي نجم عنها الكساد والعطالة في البلاد الرأسمالية.

الحروب الصغيرة:

لقد انتهت الحرب العالمية الثانية باضمحلال قوى دول الاستعمار القديم واستمرار حركة تحرير المستعمرات... وسرعان ما استعادت المانيا واليابان قدرتيهما الصناعية والتجارية، وبرزت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كدولتين عملاقتين تتزعم كل منهما معسكرا يواجه المعسكر الآخر.. ثم رأينا كيف اخذت فكرة الاحلاف والمعسكرات تفسح المجال لتعدد مراكز القوة، ثم سياسة الوفاق بدلا من المواجهة..

● واذا القينا نظرة عابرة على اهم احداث ربع القرن الماضي فسوف نجد انه برغم عدم اشتعال الحرب العالمية الذرية فان (الحروب المحدودة) استمرت تشتعل ثم تخمد في انحاء متفرقة من العالم... وهذه الحروب المحدودة اما تطورت من حروب محلية اهلية، يعتمد كل جانب فيها على تأييد احد المعسكرين العالميين (كوريا ــ فيتنام ــ كوبا..) او هي حروب للتحرر من الاستعمار (كينيا الماوماو ١٩٥٥) مصر والعدوان الثلاثي (١٩٥٦)، الجزائر ١٩٥٨، الدومنيكان (١٩٦٥)، او هي حروب نتجت عن تذمر اقليات قومية تجد تشجيعا من بعض الدول (بيافرا، الاكراد، جنوب السودان، بانغلاديش، ارتريا، سري لانكا، التاميل).

● غير ان نقاط الاحتكاك الخطرة التي هددت العالم بمواجهة ذرية بين روسيا وأمريكا كانت في المناطق التي انقسم فيها الشعب الواحد الى

دولتين: دولة شيوعية ودولة رأسمالية، وكانت اشد مناطق التوتر التي هددت السلام العالمي في برلين وكوريا وجزر الصين وفيتنام. وقال فوستر دالاس وزير خارجية امريكا في الخمسينات ان بلاده وقفت على حافة الحرب العالمية الثالثة في ثلاث مناسبات، مرة بسبب ازمة كوريا ١٩٥٣، ومرة بسبب الهند الصينية ١٩٥٤، ومرة ثالثة بسبب جزر كيموي وماتسو المواجهة لساحل الصين عام ١٩٥٥.

● كما انه من الممكن ان نضيف مناسبات عديدة ثالثة ابرزها ازمة الصواريخ الروسية في كوبا عام ١٩٦٢ وازمة اكتوبر ١٩٧٣ عندما وضعت امريكا قواتها في حالة تأهب لمواجهة احتمالات تدخل سوفيتي في الشرق الاوسط.. اي ان خطر الحرب الشاملة كان يزداد ظهورا في حالة التهديد بأحداث اخلال جوهري بتوازن القوى بين الدولتين العملاقتين في المناطق التي تتباريان لكسب النفوذ فيها.

ويمكننا ان نلاحظ بسهولة كيف انتقلت بؤرة التوتر العالمي من اوربا الى الشرق الاقصى.. ثم الى الشرق الأوسط والخليج خلال نصف القرن الماضي..

لقد طرأت تغيرات هامة على خريطة العالم السياسية وعلى علاقات الدول فيما بينها، ومن ابرز العوامل في احداث تلك التغيرات، **ازدياد وعي الشعوب** سواء كانت شعوب المستعمرات والبلاد الحديثة الاستقلال، او شعوب الاقطار المتقدمة وكذلك الثورة التكنولوجية التي حققت تطورا سريعا في الانتاج.. فقد ادى استخدام العقول الالكترونية الى آفاق جديدة في الصناعة والعلوم. والثورة التكنولوجية لم تطور فقط اسلحة الدمار واجهزة التجسس بل اثمرت بالاضافة لذلك (الاتوميشن) في الصناعات حيث امكن توفير الجهد البشري، وتشغيل المصانع باقل عدد من العمال والفنيين، كما ان ثمار بحوث الفضاء انتجت (التزانزستور) والارسال عبر الاقمار الصناعية مما خلق ثورة اخرى في مجال الاعلام، حيث صارت المعلومات تنتشر بسرعة في انحاء العالم متخطية الحواجز والعقبات كما تولدت تطلعات لحياة افضل لدى الشعوب

المحرومة، فالتقدم التكنولوجي ساعد ايضا في توعية الشعوب في حفزها للنضال من اجل مستقبل افضل.. ورافق ذلك انهيار الاستعمار القديم وتصاعد المد التحريري في انحاء العالم... وشكلت الدول الحديثة الاستقلال قوة ضاغطة من اجل التحرير الشامل في المحافل الدولية ودعمت الحركات الوطنية.

● وفي المناخ السالف الذكر ظهرت تيارات دولية اخذت تعمل عملها، فالثورة في مجال اسلحة الابادة الذرية دفعت الدول الكبرى في اتجاه الوفاق، لان البديل الوحيد للوفاق هو الحرب الذرية اي الدمار الشامل، ومن جهة اخرى فان الدول الصغيرة والدول المتخلفة خشيت من احتمالات تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بين الدول العملاقة، وفي نفس الوقت عاد التنافس بين الدول المتقدمة لضمان امدادات الوقود والمواد الخام الضرورية لصناعتها.. مما جعل مناطق الاحتكاك في العالم هي مناطق انتاج الوقود والخامات.. كما تأكدت ملامح الانقسام الجديد بين الدول، وهو الانقسام بين دول متطورة صناعيا وبين دول متخلفة، وإن برز مؤخرا نوع من الدول وهي (الدول النفطية) الغنية بمواردها وارصدتها وان كانت لا تزال تعاني التخلف.. ولكنها تشترك مع الدول غير المتطورة في أنها مثلها تعتمد على انتاج المواد الخام وان قضيتها الاولى الرئيسية ما زالت هي قضية التنمية.

● التحولات داخل الدول الكبرى:

ان التحولات في السياسة الدولية لم تنشأ من تبدل موازين القوى بين الدول وعلاقاتها بعضها ببعض فحسب، بل الواقع ان المتغيرات الدولية كانت نتيجة لتحولات هامة في داخل الدول الكبرى ذاتها.. ايضا.

● في الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية بدأت التحولات بعد وفاة (ستالين) مباشرة باعدام بيريا رئيس البوليس السري، وتولي خروتشوف زعامة الحزب الحاكم عام ١٩٥٣، وفي المؤتمر العشرين عام ١٩٥٦ ندد خروتشوف بالعهد الستاليني وبعبادة الفرد وحكم الارهاب.. ودعا للتعايش

السلمي ولضرورة حصر السباق بين الشيوعية والرأسمالية في نطاق التنافس السلمي لرفع مستوى المعيشة ولمحاولة تلبية حاجات الجماهير وتطلعاتها واكد تعدد طرق الوصول للاشتراكية وامكان بلوغها بالطريق البرلماني..

ورد خروتشوف الاعتبار لعدد كبير من ضحايا عهد ستالين كما اعترف النظام السوفيتي بحافز الربح كعامل في تطوير الانتاج، وهو ما دعا اليه الاقتصادي ليبرمان.

● وقد أبعد خروتشوف من زعامة الحزب السوفيتي عام ١٩٦٤ واتهمه خصومه بالمغامرة وعدم المسؤولية، وكانت سياسته قد أحدثت ردود فعل مختلفة في العالم الشيوعي، فقد رفضت الصين والبانيا سياسة خروتشوف وتمسكتا بالخط الستاليني كما انبعثت الدعاوى القومية واللبرالية في المانيا الشرقية وتشكوسلوفاكيا وبولندا وتحولت تلك التيارات لثورة مضادة للشيوعية في المجر ١٩٥٦ وتدخلت القوات السوفياتية لقمعها بالقوة.

● وقد اظهرت تلك الازمات ان النظم الشيوعية، بالرغم من التزامها بالتخطيط الاقتصادي والتعليمي، الا انها تعاني من مشاكل سياسية ومذهبية..

● فهي ما زالت تبحث عن (صيغة) مناسبة للاستقرار، وعن (اطار سلمي) يمكن في نطاقه استبدال السياسة التي استنفدت اغراضها بسياسة تواكب احتياجات الجماهير ومتطلبات العصر، فمحك الاستقرار هو وجود اطار سياسي مرن يسمح بالتغيير الهادئ، دون حاجة لتصفيات وحملات تطهير، كما ان البيروقراطية الحاكمة تشكل عقبة كأداء في سبيل تطوير القوى المنتجة، وكان ميلوفان جيلاس قد كتب في يوغسلافيا كتابه (الطبقة الجديدة) « ١٩٥٧ » وقال فيه:

● ان فئة المديرين والتكنوقراط في المجتمع الشيوعي تعادل فئة المديرين ورجال الاعمال في النظام الرأسمالي وبين الفئتين علاقات اعجاب وتنافس مستمرة.

ويرى جيلاس ان توسع المبادلات التجارية بين روسيا وأمريكا يساعد

التقارب بين البيروقراطيين في الدول الشيوعية وبين رجال الاعمال في الدول الرأسمالية ويضع الاساس لسياسة ثابتة للوفاق بين الدولتين.

● المشكلة الاخرى التي يواجهها النظام الشيوعي هي مشكلة مذهبية (ايديولوجية) فالنظام الذي يلتزم بنظرية رسمية يحاول تقديم تفسير لكل ظواهر الكون والمجتمع.. ويفترض انه التفسير الصحيح وغيره خطأ وانحراف. ولذا فالنظام يقمع المبادرات الفكرية والابداعية التي قد تختلف مع (النظرية الرسمية) بينما هذه المبادرات هي خمائر ضرورية لاستمرار حيوية النظام وتجدده وتفترض النظرية الرسمية التقدم من خلال عملية النقد الذاتي، ولكن يندر ان يعبر النقد الذاتي بالفعل عن الاخطاء والانحرافات.. بينما الصراع يستمر متخفيا تحت اشكال عديدة وتميل النظرية الرسمية لتكون محافظة اكثر فأكثر..

● وقد تكون الصيغة (اللبرالية) للحكم التي تبنتها الرأسمالية في شبابها، صيغة شكلية للديمقراطية، وهي تسمح بتغيير (مظاهر) طفيفة في النظام الرأسمالي دون تغيير جوهره الا ان هذه الصيغة كانت من المرونة بحيث سمحت للرأسمالية بتجديد شبابها في المنحنيات التاريخية، والشيوعية، لم تصل حتى الآن لصيغة تناسبها او لاطار يواكب تطورها، ويمنحها المجال للتطور السلمي بدلا من التغيرات الانقلابية المفاجئة التي تهز دعائم النظام من أساسه.. وتجعل مهمة تحديثه مهمة شاقة.

● وفي غرب اوربا اتخذت الاحزاب الشيوعية في ايطاليا وفرنسا واسبانيا خط الالتزام بصيغة التطور السلمي والعمل من خلال الاطار الديمقراطي والنظام البرلماني ودخلت في تحالفات مع الاحزاب الاشتراكية المعتدلة ودخلت في جدل حاد مع الاحزاب الحاكمة في الاتحاد السوفيتي ودول شرق أوربا. وهذا الاتجاه عرف باسم الشيوعية الأوربية EURO-COMMUNISM.

الازمات الرأسمالية:

ــ وبينما الرأسمالية ترفض التخطيط وملكية الدولة لوسائل الانتاج بحجة انها تقمع المبادرات الفردية فأن الازمات المالية والانتاجية قد اجبرت دعاة (الاقتصاد الحر) الى الاخذ بكثير من اساليب تدخل الدولة في تنظيم الانتاج والاستثمار.. بل لقد اقترح بعض اعضاء الكونقرس في بداية سنة ١٩٧٥ انشاء لجنة قومية للتخطيط الاقتصادي.. فقد شهدت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فترة ازدهار ونمو اقتصادي منقطعة النظير، وفي ١٩٦٠ وضع تعريف حكومي للاسرة الفقيرة في امريكا بانها الاسرة المكونة من اربعة افراد ويكون دخلها ٤٠٠٠ دولار سنويا فأقل...

لقد خرجت امريكا من الحرب العالمية الثانية اقوى دول العالم وكانت تحتكر انتاج السلاح النووي ودشن فوستر دالاس استراتيجية الردع النووي بتصريح كثير الزهو قال فيه:

(ان امريكا يمكنها ان ترد فورا على الاعداء وبالوسائل التي تختارها وفي المكان والزمان الذي تحدده امريكا).

ورغم تدفق المعونات الامريكية على اوربا الغربية فقد احدثت تصريحات دالاس قلقا لدى حلفاء امريكا خشية توريطهم في حرب جديدة.

ــ وفي ١٩٥٩ بدأ العجز في ميزان المدفوعات الامريكي ووصل الى ٤ بلايين من الدولارات كما هبط رصيد أمريكا من الذهب.. وهذه كانت بودار ازمة الدولار التي ادت لخفض قيمته ثم للتضخم المالي فالكساد..

ــ والستينات في امريكا شهدت انفجار ثورة الزنوج وحركات المطالبة بالحقوق المدنية ومعارضة حرب فيتنام. في انتخابات ١٩٦٠ فاز جون كنيدي على نكسون بأغلبية ضئيلة، وكان قد جذب لصفه اصوات الاقليات والزنوج. وضم لادارته عددا من الاكاديميين، وخفض الضرائب واجبر شركة الحديد والصلب على عدم رفع اسعار منتجاتها، وصرف ببذخ على الفضاء وعلى التسلح واجاز اصلاحات قليلة في حقل الضمان الصحي، وجاءت ازمة

الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢ فأكدت الاهمية الحاسمة لتجنب اخطار المواجهة الذرية بين روسيا وامريكا..

● وكانت موسكو في عهد خروتشوف قد اعلنت حل الكومنفورم في ١٩٥٦، ووقعت معاهدة مع الحلفاء لتحييد النمسا.. وزار خروتشوف امريكا في ١٩٥٩ وتم الاتفاق على ابقاء القارة الجنوبية (انتراكيتا) منطقة مجردة من السلاح واشتركت روسيا ضمن الدول الثمانية عشر في مؤتمر جنيف لنزع السلاح (١٩٦٢) وبعد ازمة كوبا ١٩٦٢ تم توصيل الخط التلفوني الساخن بين موسكو وواشنطن للاتصال المباشر لتفادي المواجهات الخطيرة.



جون كنيدي

● وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٦٣ اغتيل جون كنيدي، وفي منتصف اكتوبر ١٩٦٤ أبعد خروتشوف وحل برزنيف محله كما حل جونسون محل كنيدي ليواصل بضراوة حرب فيتنام ويوسع نطاقها.. وبرز تحالف الجنرالات ورجال

الاعمال الذين اثروا من عطاءات وزارة الدفاع الامريكية وعاد الجنود السود من فيتنام ليطالبوا بالمساواة، وانتشرت اعمال العنف في المدن الامريكية وتكررت الاغتيالات اغتيل زعيم حركة المساواة للملونين مارتن لوثر كنق واغتيل روبرت كنيدي..

● وتحت ضغط الحركة المعادية لحرب فيتنام انسحب جونسون من اعادة ترشيح نفسه للرئاسة عام ١٩٦٨.. وبرغم الاضطرابات الداخلية اتجهت انظار الرأي العام الامريكي للخارج، لفيتنام ولاوربا الغربية حيث سحب ديقول فرنسا من حلف الاطلنطي، واعترف (١٩٦٤) بالصين الشعبية، ووقف في طريق ادخال بريطانيا السوق الاوربية المشتركة..

● ولكن ديقول اضطر لترك الحكم تحت ضغط مظاهرات الطلاب والعمال في مايو ١٩٦٨، وانبرى دعاة (اليسار الجديد) وعلى رأسهم الاستاذ الامريكي هربرت ماركوس يقولون ان الطلاب (هم الطليعة الجديدة) لانهم خارج الاطار الاجتماعي لعملية الانتاج بينما العمال الذين احاطتهم الماركسية بهالات المجد، لم يعودوا مؤهلين للقيام بدور طليعي في الثورة.. وامتدت حركات التمرد والرفض من اوربا لامريكا وانتشرت الدعاوى الفوضوية لتحطيم المؤسسات البرجوازية من الدولة الى الاسرة.. ومن البورصة للملكية الخاصة وكثرت حوادث العنف، واساليب حرب العصابات في المدن والسطو على البنوك وحوادث خطف الرهائن والطائرات، ونشطت الاقليات القومية وتذرعت بالعنف لانتزاع حقوقها (الفهود السود في امريكا ــ الكاثوليك في ايرلندا ــ الباسك في اسبانيا..).

● عام ١٩٦٦ كان عام الثورة الثقافية في الصين والحرس الاحمر وكتاب مختارات من أقوال الزعيم ماو. الذي انتشر ايضا بين الشباب اليساري المتطرف في الدول الغربية.. مع مؤلفات تشي جيفارا وريجيس دوبريه.. واجهت الدول الرأسمالية أعمال العنف والشغب بزيادة مقدرتها على القمع ومطاردة دعاة التمرد.. وسرعان ما انكشف الارهاب الفوضوي كعمل يائس معزول عن الجماهير.



مارتن لوتركنج

● عام ١٩٦٧ شهد الحرب بين العرب واسرائيل، وهي الحرب التي انتهت بكارثة يونيو ١٩٦٧، التي اعتبرت نصرا أيضا للغرب على الشرق، وكان من نتائجها ان الدول الغربية رفضت ان تصدق اقدام العرب على اي عمل ايجابي وعجزهم عن توحيد ارادتهم لفرض الحظر البترولي وقد شهدت سنة ١٩٦٧ تخفيض قيمة الاسترليني وانسحاب بريطانيا من عدن وشرقي السويس.. في الوقت الذي اعتبرت فيه الدوائر الامريكية الوجود السوفيتي في الشرق الاوسط عنصر توازن واستقرار، لأن السوفيت يريدون تسوية سلمية مقبولة للعرب.. ويؤيدون بقاء اسرائيل داخل حدود مأمونة بضمانات دولية.

ـــ وبالرغم من ان عام ١٩٦٨ قد شهد غزو الروس لتشكوسلوفاكيا فأنه قد شهد بالمثل التوقيع على اتفاقية الحد من انتشار الاسلحة الذرية وهو الاتفاق الذي عارضته الصين وفرنسا ودول أخرى.. وشهد عام ١٩٧٠

توقيع معاهدة السلام بين بون وموسكو وايجاد تسوية سلمية لمشكلة برلين، باتفاق الاربعة الكبار في سبتمبر ١٩٧١.

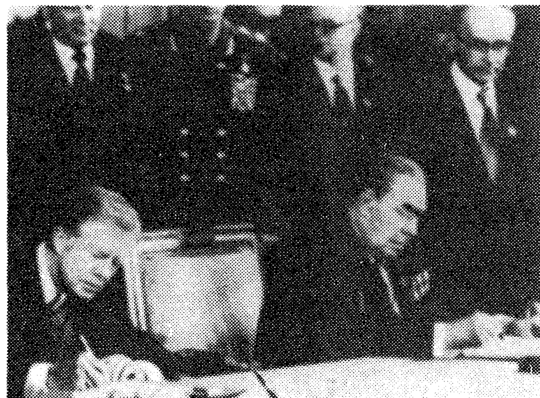
● والطريق للوفاق لم يكن طريقا ممهدا، كان يدور ويلف حول العقبات ليصعد من جديد متجها الى القمة.

ولا يخفى علينا ان تاريخ البشرية كان سلسلة من التقدم والتراجع، من الانتصارات والهزائم من الازدهار والذبول، من النمو الى الانتكاس.. وبالعكس.. ولم يكن التقدم خطا صاعدا ابدا.. وفي ظروف تخلف المؤسسات الدولية وعجزها عن معالجة احداث العصر وتلبية حاجاته.. فأن اسلوب اللقاء الشخصي بين قادة الدول، اسلوب دبلوماسية القمة، يصبح الاسلوب الاكثر فعالية، وان كانت مخاطره انه يربط السياسة المعينة ببقاء اشخاص معينين في مراكزهم بينما الافراد زائلون..

● في أغسطس ١٩٧٥ تم انعقاد مؤتمر التعاون والامن الاوربي في هلسنكي حيث وقع الزعماء السوفييت والغربيون على اتفاقات حول نبذ التهديد بالقوة وضمان حقوق الانسان.

● في اكتوبر ١٩٧٧ عقد مؤتمر في بلغراد لمتابعة تنفيذ اتفاقات مؤتمر هلسنكي في اطار الوفاق بين الشرق والغرب.

● في ١٨ يونيو ١٩٧٩ وقع برزنيف وكارتر بالاحرف الأولى على اتفاق المرحلة الثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية (صولت ٢).



● على طريق الوفاق:

في اوائل السبعينات كان قد صار واضحا ان حقائق جديدة قد ظهرت في علاقات الدول ببعضها وهذه العلاقات تستدعي من الدول رسم استراتيجية متغيرة لمواجهة التحديات الجديدة.

الفترة بين ١٩٦٩ ــ ١٩٧١ كانت فترة طرح اسئلة واعادة نظر في السياسات القديمة التي مارستها الدول الكبرى، وكذلك فترة استطلاع لامكانيات المرحلة التالية واستكشاف لاستراتيجيات جديدة، واهتمت الدول الكبرى اكثر بتغيير نوعية العلاقات القائمة بينها بدلا من **تغيير النظم والسلطة** في داخل الدول، وبعد ان كانت امريكا تلح على ان امنها القومي ينبغي ان يرتكز على توازن معين بين « خصومها المحتملين » فان تقرير ١٩٧٢ عن السياسة الخارجية الامريكية اكد « ان توازن القوى التقليدي ليس بالفكرة الطاغية في سياستنا الخارجية » وان « حقائق العصر النووي تمنع المناورات المستمرة من اجل كسب هامشي على حساب الآخرين » ــ كما ان تقرير ١٩٧٢ عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة يقول:

● « اننا لا نتوقع ان يتخلى الاتحاد السوفيتي عن سعيه وراء مصالحه الذاتية كذلك لا نتوقع ان نتخلى نحن ايضا عن السعي وراء مصالحنا.. ولكننا نتوقع، وقد اعددنا انفسنا للبرهنة على ذلك ضبط النفس في السعي وراء هذه المصالح.. ونحن نتوقع الادراك لحقيقة ان التحسن العام في علاقاتنا يفوق في اهميته المزايا الضئيلة التي يمكن فقط نشدانها بتعريض التعاون بين بلدينا للخطر ».

● وفي يونيو ١٩٧٢ تحدث الدكتور كيسنجر امام الكونجرس عن محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية فقال:

« .. لقد بدأنا نجد الان، نحن والاتحاد السوفيتي ان كل **زيادة في القوة لا تمثل بالضرورة** زيادة في القوة السياسية صالحة للاستعمال وان زيادة « القوة العسكرية » نسبيا لا يمكنها ان تنتج مزية هامشية في الازمات المحلية او في التنافس العسكري.. » وقد مهد الدكتور كيسنجر لسياسة

الوفاق بسلسلة من الزيارات والمحادثات السرية التي شملت موسكو وبكين وهانوي.

وقد زار نكسون موسكو في مايو ١٩٧٢ حيث تم الاتفاق على الحد من الاسلحة الاستراتيجية بين امريكا والاتحاد السوفيتي. ويلاحظ ان الاتفاق سبقته اتفاقات اخرى للسيطرة على سباق التسلح.

● ففي فبراير ١٩٧١ تم الاتفاق على حظر وضع اسلحة نووية في قاع البحار والمحيطات.

● وفي سبتمبر ١٩٧١ اتفقت واشنطن وموسكو على سلسلة من التدابير الوقائية لتقليل اخطار اندلاع الحرب بين البلدين نتيجة الخطأ او المصادفة وفي ابريل ١٩٧٢ وقع على اتفاقية لمنع انتاج وتخزين الاسلحة الميكروبية والسامة.

ويمكننا ان نضيف لقائمة الاتفاقات السابقة بوادر التقارب التي تمت في الستينات.. ففي ١٩٦٢ امتد الخط التلفوني الساخن بين واشنطن وموسكو، وفي عام ١٩٦٣ وقعت اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب الذرية وفي ١٩٦٨ وقعت اتفاقية منع انتشار الاسلحة الذرية التي بدأت المحادثات بشأنها منذ عام ١٩٦٢.. ووقعتها امريكا وروسيا.. فالتقارب الذي بدأ في الستينات تبلور في السبعينات وبرز في الشعار الذي رفعه نكسون ومكنه من الفوز بالرئاسة في سنة ١٩٦٩ هو شعار (التفاوض بدلا من المجابهة) وذلك بعد فترة من تصعيد الحرب في فيتنام سببت توترات حادة في علاقات امريكا في الخارج وكذلك في داخل المجتمع الامريكي.. وبعد محادثات مضنية تم التوصل لاتفاقية لوقف اطلاق النار واقرار السلام في فيتنام وقعت في ٢٨ يناير ١٩٧٣ في باريس، جرى بمقتضاها سحب القوات الامريكية، وبالرغم من استمرار القتال في فيتنام بعد الاتفاقية، الا ان مشكلة فيتنام لم تعد تمثل نقطة احتكاك يمكن ان تقود لمواجهة بين الدول الكبرى بل تحول الاهتمام للشرق الأوسط حيث يوجد ٦٥ في المئة من احتياطي العالم من البترول.

● امريكا والصين

اتخذت الولايات المتحدة من جمهورية الصين الشعبية موقفا عدائيا منذ مولدها في عام ١٩٤٩ فرفضت الاعتراف بها وقدمت الحماية لحكومة شيانق كاي شيك في فورموزا.. ولما نشبت الحرب الكورية لم تدخر الصين الشعبية جهدا في مساعدة الكوريين الشماليين كما ساعدت ثوار فيتنام ضد التدخل الامريكي، وقامت الولايات المتحدة ببناء سلسلة من القواعد العسكرية والاحلاف لفرض حصار حول الصين.. وعندما عقد مؤتمر جنيف عام ١٩٥٥ لتسوية الحرب الكورية اقترح شوان لاي على المندوبين الامريكيين اجراء مقابلات دورية بين سفراء البلدين.. وقد جرت المقابلات بين سفيري الصين والولايات المتحدة في وارسو لمدة ١٤ عاما ولم تسفر عن نتيجة تذكر... واستمرت امريكا تمنع انضمام الصين الشعبية للامم المتحدة وتحفظ مقعدها لحكومة فورموزا..

● وخلال ذلك كانت الصين قد طورت اقتصادها وحققت انجازات كبرى في مجالات التنمية، وفي اكتوبر ١٩٦٤ فجرت الصين قنبلتها الذرية الاولى وفي يونيو ١٩٦٧ فجرت قنبلة هيدورجينية وفي ابريل ١٩٧٠ اطلقت الصين قمرا صناعيا يدور حول الارض.



جون كنيدي ــ رأس من البرونز تخليداً لذكراه



تشي جيفارا ــ صاحب نظرية البؤرة الثورية El-FOCO



جيلاس صاحب نظرية الطبقة الجديدة

فالصين ظلت تخشى احتمال حدوث اتفاق امريكي سوفيتي على حسابها بل وتوقعت في فترة ما (ضربة اجهاضية نووية) من روسيا او من امريكا واتهمت بكين روسيا وامريكا بالتواطؤ لضربها وتقسيم العالم فيما بينهما... اما الولايات المتحدة فقد رأت ان التفاهم مع الصين يمكن ان يسفر عنه توازن جديد بين الدول الكبرى الثلاث، وهو توازن يمكن ان يحد من قوة الاتحاد السوفيتي.. كما ان التفاهم مع بكين كان شرطا اساسيا لتسوية مشاكل فيتنام وجنوب شرقي آسيا.

● كانت مقدمات التحول في العلاقات بين بكين وواشنطن مجموعة من القرارات القليلة الاهمية في ظاهرها الكبيرة المغزى في الواقع، فقد الغت واشنطن عام ١٩٦٩ تشريعا يحظر على السواح الامريكان شراء سلع صينية ثم خففت القيود على تبادل السلع مع الصين، ثم وجهت بكين الدعوة لفريق من الرياضيين الامريكيين للاشتراك في مباريات تنس الطاولة ١٩٧١ ثم دعت واشنطن فريقا صينيا لتنس الطاولة لزيارة امريكا، وهو ما اطلق عليه المعلقون (دبلوماسية البنق بونق).. وهذا كله مهد لزيارة (ممثل شخصي موفد من رئيس الولايات المتحدة) وهو الدكتور كيسنجر الذي التقى مع شوان لاي سرا عدة مرات ثم زار المستر نكسون بكين في فبراير ١٩٧٢ وتم الاتفاق على انشاء (مستوى من التمثيل الدبلوماسي الدائم). بين الصين وامريكا، كما تم قبول الصين في الامم المتحدة واحتلت مقعدها الدائم في مجلس الامن.

الوفاق: DETENTE

وصف نكسون سياسته ازاء روسيا والصين بأنها « سياسة انفراج متحفظ مع العالم الشيوعي، حيث التنافس ممكن ولكنا لسنا في حاجة لنكون اعداء »، اما ترتيبات الأمن الجماعي التي يعتبرها البعض بقايا متحجرة من عصر الحرب الباردة، فان التضامن العسكري الغربي كما يتمثل في حلف شمال الاطلنطي بقيادة امريكا، يحاول في السبعينات صياغة استراتيجية واقعية في ضوء التوازن

النووي تقوم على تأمين الدفاع المشترك مع المشاركة في الاعباء وتوفير استعدادات حربية تقليدية ونووية منضبطة وتقترن هذه الاستعدادات ببحث خفض القوات بشكل متبادل ومتوازن مع قوات حلف وارسو.

ـــ وقد توالت مؤتمرات القمة في عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥ وبالرغم من استقالة نكسون بسبب فضيحة (ووترقيت) فقد واصل خلفه جيرالد فورد سياسة الوفاق، واستمرت لقاءات القمة وكذلك محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية كما استمر التعاون بين الدولتين لتطويق النزاعات المحلية التي قد تؤدي لمواجهة بينهما.

الازمة الاقتصادية:

ظلت الدول النامية تشكو من استمرار ارتفاع اسعار السلع الصناعية والالات في الوقت الذي ثبتت فيه او هبطت فيه اسعار المواد الخام والمنتجات الزراعية، وقد عقدت مؤتمرات عديدة للتنمية والتجارة هدفها ان تحصل دول العالم النامية على اسعار مجزية لمنتجاتها ولكي تقيم علاقات متكافئة مع الدول الصناعية المتقدمة.

وقد شهدت بداية السبعينات سلسلة من الازمات المالية في الدول الغربية ظهرت في اهتزاز قيمة الدولار وتبعه الاسترليني والفرنك وعملات اخرى انخفضت قيمتها بينما ارتفع سعر الذهب، مع ازدياد العجز في ميزان المدفوعات الامريكي عاما بعد عام. ومن اسباب هذا العجز الانفاق على المعونات والقواعد والاحلاف والحروب (فيتنام) والصرف على مشروعات غير انتاجية (غزو الفضاء)، وهرب رأس المال الامريكي للاستثمار خارج امريكا.

كما ان شيوع استخدام الدولار كعملة دولية ادى الى اعتماد دول كثيرة على الدولار في معاملاتها مما يؤدي لحيازته خارج امريكا كأرصدة، ولم تبذل محاولات جادة لاصلاح نظام النقد العالمي وايجاد عملة دولية.

وقد عالج كثير من الدول الرأسمالية البطالة عن طريق التوسع في الانفاق الحكومي وتحقيق درجة اكبر من العمالة، ولكن تكلفة الانتاج استمرت في الزيادة نتيجة تلبية مطالب العمال في البلاد المتقدمة وفرض ضرائب على الانتاج كان هدفها امتصاص التضخم.

الاصدقاء!

وقد كان انسحاب القوات الامريكية من الهند الصينية من العوامل التي ادت لانخفاض سعر الدولار بسبب توقع ركود الصناعات المتصلة بالحرب.

ــ وعندما ارتفعت تكاليف الانتاج زادت المنافسة التقليدية على الاسواق وحاولت امريكا الاستفادة من خفض سعر الدولار مع ارتفاع سعر الين الياباني والمارك الالماني لكي توزع البضائع الامريكية مما جعل البعض يلاحظون ان حلفاء امريكا السياسيين صاروا خصومها الاقتصاديين. وقد لجأت بعض الدول لسياسة الحماية الجمركية لمنتجاتها كما فعلت امريكا ازاء السيارات والمنسوجات اليابانية، وكما فعلت دول السوق الاوربية المشتركة ازاء منتجات الدول غير المنتمية للسوق.

وفي عام ١٩٧٢ لوحظ ان الدول بدأت تصدر الغلاء لبعضها في شكل تعديل اسعار عملاتها باستمرار، والنتيجة كانت فقدان الثقة في العملات الورقية جميعها، واشتد الاتجاه للمضاربة واستخدام سلع معينة كأرصدة بسبب عدم ثبات اسعار العملات، وصار الاقتراض اكثر صعوبة لان المصارف زادت سعر الفائدة، وهذا كله ادى للمزيد من ارتفاع الاسعار والتضخم ومهد الطريق امام الكساد والعطالة. Inflation + Stagnation = Stagflation.

ان استمرار هبوط القيمة الحقيقية للعملة يجعل المدين في وضع افضل من الدائن ويمنع الناس من الادخار ويغري بالمضاربة والاستدانة وغالبا ما تستدين الحكومات لتحتفظ باعداد كبيرة من المستخدمين يتعذر تسريحهم لما ينجم عن ذلك من نتائج سياسية وخيمة.

زيادة الاستهلاك.

ــ ويرى بعض الاقتصاديين ان من اسباب الغلاء ازدياد معدلات الاستهلاك والصرف على الخدمات دون ان يقابل ذلك زيادة حقيقية في الانتاج او الاستثمار لتطوير وسائل الانتاج، وهذه الممارسة موجودة في البلاد المتقدمة والمتخلفة ولكن البلاد المتقدمة هي البلاد المؤثرة في الاقتصاد العالمي.

ــ كما يرى بعض الخبراء في البلاد الرأسمالية ان سبب الغلاء الزيادة الكبيرة في عدد السكان والبطالة المقنعة في كثير من البلاد، وازدياد الاستهلاك وثورة التطلعات التي رافقت استقلال عدد كبير من الدول وتطلع شعوبها لمستويات من المعيشة ارفع، مما خلق طلبا على السلع اكثر مما هو معروض منها.. وهم يشيرون ايضا الى ان العالم لم يشهد من قبل وضعا مثل ما يحدث الان في عصرنا من اتجاه مجموعة كبيرة من الدول الى التنمية في وقت واحد. والاتجاه نحو التصنيع السريع والنمو كان يرافقه دائما درجات من التضخم المالي.

● سلاح البترول:

ويؤكد تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية « ان العرب استخدموا سلاح البترول بذلك القدر من الفعالية الذي يكفي لاشعار دول الغرب (وخاصة اوربا واليابان) باعتمادها الكبير على البترول العربي، لقد استخدم العرب سلاح البترول كرادع وليس كعقاب وبمرونة الزمت اطرافا مستهلكة عديدة بانتهاج موقف من ازمة الشرق الاوسط اكثر تفهما لوجهة النظر العربية، ولاول مرة اقدم العرب على الحد من ضخ البترول وهم يستندون الى ارصدة مالية تسمح لهم بالاقدام على خطوة لها خطورتها دون ان يهدد ذلك اقتصادهم، كما ربطوا حظر البترول بهدف سياسي محدود له سند دولي وهو تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مما اكسب الاجراء قوة تصديق وفاعلية سياسية، وحرك نشاطا دبلوماسيا دوليا واسعا لمحاولة السيطرة

على الازمة قبل استفحالها، واهتم الامريكيون بالبحث عن تسوية مرضية لجميع اطراف النزاع.

كما اظهر استخدام العرب لسلاح البترول الخلافات بين امريكا وحلفائها الغربيين التي وصلت درجة التناقض. فقد برزت وجهة نظر اوربية غربية تؤكد حق الدول الاوربية في اقامة تضامن استراتيجي (طويل الامد) مع العرب ضمانا لمصالحها الاقتصادية، كما ان اليابان رغم انضوائها تحت المظلة النووية الامريكية، اكتشفت اعتمادها على بترول الخليج وضرورة اتخاذها سياسة ايجابية ازاء القضايا العربية ».

المسألة الاخرى التي ظهرت في عام ١٩٧٥ كانت مسألة انتقال الثروات من الدول الغربية الى الدول المنتجة للنفط حيث ذكرت المصادر الامريكية ان الدول المستهلكة للنفط دفعت للدول المنتجة للنفط خلال (١٩٧٤ ــ ١٩٧٥) مائة بليون دولار، وان نسبة كبيرة من هذه الارصدة عادت في شكل استثمارات في المؤسسات والشركات الرأسمالية الاوربية الغربية والامريكية.

استراتيجية مضادة:

وبدأت الصحف الغربية تتحدث عن الغزو المالي العربي لصروح الرأسمالية وتحديها في عقر دارها..

وقد اتبعت امريكا والدول الغربية الموالية لها سياسة متشعبة للضغط على الدول المنتجة للبترول منها محاولة تحطيم التضامن بين اعضاء منظمة الدول المنتجة للنفط (OPEC) (اوبيك) وهي: **السعودية وقطر والكويت وليبيا والعراق والجزائر واتحاد الامارات العربية ــ ثم نيجيريا واندونيسيا وفنزويلا وجابون واكوادور وايران**.. وذلك بمحاولة التفرقة بين الدول العربية والدول غير العربية، من اعضاء المنظمة.

ومن جهة اخرى حاولت شركات البترول الغربية تخفيض الانتاج، كما حاولت الدول المستهلكة ترك اسعار الذهب ترتفع لكي تنخفض قيمة الدولار

والعملات الورقية الأخرى التي تدفع بها ثمن البترول ومن جهة اخرى وضعت الدول المستهلكة خطة لتبادل المساعدة من مخزون الوقود لدى الدول المستهلكة، كما وضعت سياسة للتوسع في البحوث الخاصة بايجاد بدائل تغني عن البترول كمصادر للطاقة.. هذا بالاضافة الى الاقتصاد في استهلاك البترول.

كما اكد وزير خارجية الولايات المتحدة ودعمه الرئيس الامريكي بأن التدخل عسكريا احتمال وارد ضد الدول المنتجة للبترول في حالة تعرض الاقتصاد الامريكي او الغربي «للاختناق» نتيجة لحظر البترول او المبالغة في زيادة اسعاره..

وقد ترتب على ارتفاع اسعار الوقود ركود في بيع السيارات وهي من الصناعات الاساسية في امريكا التي ارتفع فيها معدل العطالة بنسبة عالية في ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥.

ولا شك ان ارتفاع اسعار البترول كان عاملا هاما في موجة الغلاء التي اجتاحت العالم، ولكن هذا الارتفاع لم يكن بالتأكيد العامل الوحيد للتضخم المالي بل هو واحد من مجموعة الاسباب المشار اليها آنفا.. والحقيقة ان اتجاه دول مجموعة (الاوبيك) لرفع اسعار البترول منذ مطلع ١٩٧٠ كان نتيجة لتناقص القيمة الحقيقية للدولار والاسترليني وكذلك بسبب الارتفاع المطرد في اسعار السلع التي تستوردها الدول المنتجة من البلاد الصناعية المستهلكة للبترول. وكانت منظمة الاوبيك قد تأسست منذ عام ١٩٦٠ كتكتل للدول المنتجة للنفط لمواجهة الاحتكارات البترولية العالمية.

ــ واذا كانت الاسعار قد زادت في الدول الصناعية الرأسمالية بنسبة تتراوح بين سبعة في المائة وسبع عشرة في المائة فان هذه النسبة زادت اكثر من ذلك بكثير في البلدان النامية التي لا تملك بترولا. حيث تضاعفت اسعار بعض السلع عدة مرات.. مما خلق مناخا من عدم الاستقرار والازمات السياسية.. وقد لوحظ ان الدول التي تسيطر فيها الدولة على وسائل الانتاج وتمارس التخطيط الاقتصادي وتراقب التوزيع والاستهلاك قد عانت اقل من

غيرها من داء التضخم المالي، ولم ترتفع الاسعار في البلاد الاشتراكية بالمعدلات الجنونية التي ارتفعت فيها في البلدان الرأسمالية..

الخوف من الفاشية:

اما المعلقون السوفييت فاعتبروا ان الازمة دليل على تفوق النظام الاشتراكي على الانظمة الرأسمالية. من جهة ولكنهم من جهة اخرى ابدوا مخاوفهم من ان تسفر الازمة عن وقوع انقلابات فاشية في بعض البلدان الرأسمالية، وان تعود سيطرة الفاشية على الحكم في بعض الدول المتقدمة فتملك الفاشية الاسلحة الذرية الصاروخية المتطورة وقد تتمخض عن هتلر جديد يهدد العالم بالفناء في حرب ذرية! وقد تساءل كثير من المعلقين في الدول الغربية ذاتها عن مصير النظم اللبرالية وهل تستطيع الصمود في وجه الازمة الاقتصادية؟

فالازمة تؤدى لاستقطاب حاد بين اليمين واليسار وتحتم تقوية السلطة التنفيذية لفرض الحلول المقترحة للازمة.. من دراسة التاريخ نرى ان الازمات الاقتصادية تؤدي غالباً لازمات في الحكم.. حيث يتأكد الارتباط بين العوامل الاقتصادية والظواهر السياسية.





ضابط من الخمير الحمر في كمبوتشيا يطرد سكان العاصمة بنوم بنه من المدينة (ابريل ١٩٧٥)



人民日报

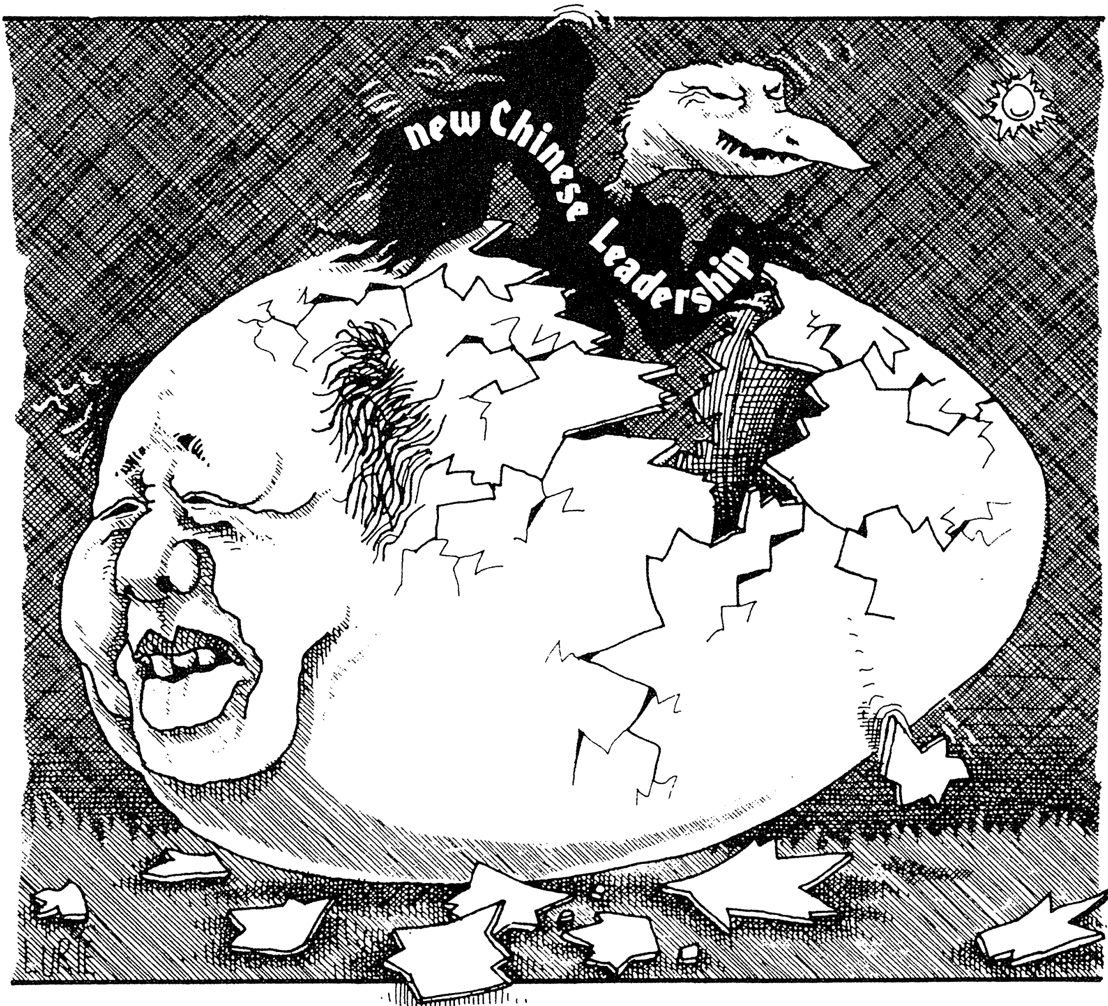
毛泽东主席会见基辛格博士

布托总统夫人到京受到热烈欢迎

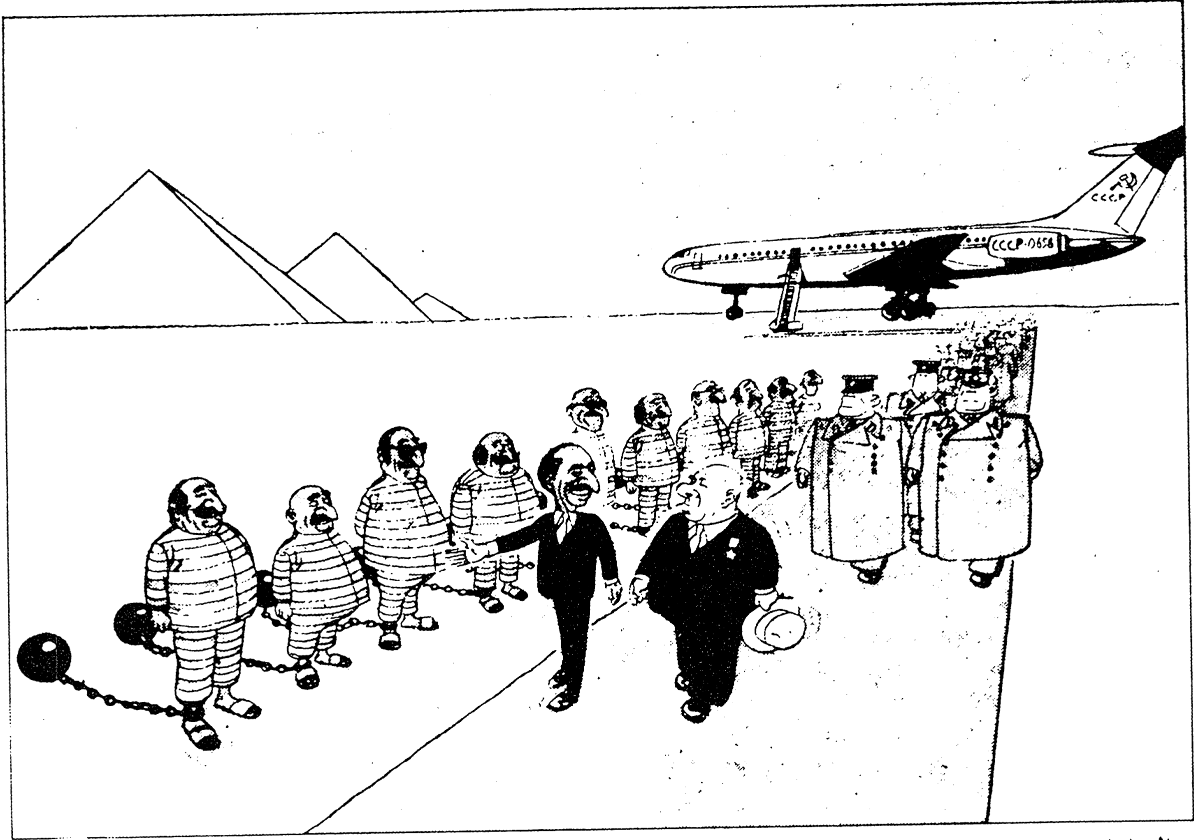
الصفحة الاولى من جريدة الشعب
الصينية وفيها خبر زيارة
كيسنجر (١٩٧٢)



لوحة في شارع شنغهاي تؤيد سجن (عصابة الاربعة) التي تزعمتها أرملة ماو (يناير ١٩٨١)



ظهور قيادة جديدة في الصين (نيوزويك الامريكية (١٩٧٦))



السادات يرحب بزيارة الرئيس السوفيتي بودغورني للقاهرة في يونيو ١٩٧١ بعد أن قام السادات بابعاد اليساريين من حكومته واعتقل علي صبري ومؤيديه وسجنهم.



دول العالم الثالث تعاني من ارتفاع أسعار البترول



العالم الصناعي يستنكر الزيادة في اسعار النفط بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ــ عن الايكونومست اللندنية ــ

منحنى نهاية السبعينات

شهدت نهاية السبعينات تطورات هامة في الوضع الدولي مؤكدة بداية مرحلة جديدة في الثمانينات من ابرز ملامحها تأكيد انقسام العالم بين الدول المتقدمة في الشمال والدول المتخلفة في الجنوب، وهو الانقسام الذي كانت تطغي عليه مظاهر المواجهة بين الشيوعية والرأسمالية او بين الشرق والغرب بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد كان عام ١٩٧٩ عاماً حافلاً بالاحداث الهامة..

● ففي مارس ١٩٧٩ ابرمت معاهدة كامب ديفيد بين مصر واسرائيل وباشراف الولايات المتحدة الامريكية وضمانها، ونقل مقر جامعة الدول العربية من مصر لتونس وجمدت عضوية مصر فيها.

● وفي يناير ١٩٧٩ هرب الشاه من ايران وسقط نظامه وتكونت جمهورية اسلامية، وفي نوفمبر ١٩٧٩ اتخذ حراس الثورة الدبلوماسيين والموظفين الامريكيين رهائن في سفارتهم في طهران.

● وفي ابريل ١٩٧٩ نفذ حكم الاعدام في ذو الفقار علي بوتو رئيس

وزراء باكستان السابق واستتب الأمر للجنرال ضياء الحق.. الذي اتجه لاقامة جمهورية اسلامية..

● وبدأت التحرشات بين ايران والعراق في اواخر ١٩٧٩ التي تصاعدت لحرب واسعة النطاق في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ بهجوم عراقي شامل توغل في عمق اراضي ايران.

● وفي ديسمبر ١٩٧٩ بدأ التدخل العسكري السوفيتي في افغانستان لدعم حكومة كابول اليسارية.

● في يوليو ١٩٧٩ سقط نظام سوموزا في نيكاراجوا واقام الساندنيستا حكومتهم في مانجوا وفي السنوات التالية ارتفعت اتهامات واشنطن بأن حكومة مانجوا تساند ثوار السلفادور وتعمل لاسقاط الحكومات الموالية للولايات المتحدة في امريكا الوسطى.

● وفي عام ١٩٧٩ ايضا ولدت نقابة التضامن في بولندا التي وجدت تشجيعاً ودعما من الكنيسة ومن الدوائر الغربية..

● وفي نهاية ١٩٧٩ جاء فوز المرشح الجمهوري المستر رونالد ريجان بالرئاسة، وكان حاكما سابقا لكاليفورنيا وقد بدأ حياته ممثلا محترفا وقد اعلن ريجان ان سياسته تقوم على مجابهة التحدي الشيوعي واسترداد نفوذ وهيبة امريكا في كل مكان ومساعدة اليمين على انتزاع المبادرة في انحاء العالم ورفض سياسة الوفاق التي بدأها نكسون عام ١٩٧٢ ودعم اسرائيل بلا حدود والانحياز الكامل للرأسمالية وتقليص دور الحكومة الفدرالية للحد الادنى داخل الولايات المتحدة.

● في مايو ١٩٧٩ فازت المسز مارجريت تاتشر في الانتخابات العامة في بريطانيا وشكلت حكومة المحافظين بعد سقوط العمال وانقسامهم، واعلنت سياسة مشابهة لسياسة المستر ريجان في الولايات المتحدة وحكمت لثلاث مرات متوالية، وهو امر لم يحدث في تاريخ بريطانيا الحديث خلال القرن الماضي.

● لقد كان عام ١٩٧٩ المنحنى التاريخي الذي تأكد عنده تصاعد المد اليميني وانحسار موجة اليسار وانتكاس الثورة في العالم الثالث... وهو اتجاه بدأ منذ الستينات مع اغتيال لوممبا في ١٩٦١ والاطاحة بسوكارنو في ١٩٦٥ وبنكروما في ١٩٦٦.

● وكانت هزيمة العرب في حرب يونيو ١٩٦٧ ثم وفاة جمال عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠ وطرد الخبراء السوفييت من مصر عام ١٩٧٢ من التطورات التي اضيفت لرصيد المعسكر الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة.. وفي ١٩٧٣ اطاح انقلاب يميني بحكومة آليندي في شيلي وفي ١٩٧٦ اطاحت انقلابات يمينية بحكومات الارجنتين وبيرو وبوليفيا.

● وفي افريقيا تأكد انحسار نفوذ اليسار في مصر والسودان والصومال بينما اتجهت ثورة اثيوبيا نحو المعسكر الشيوعي، وحصلت زمبابوي على استقلالها في عام ١٩٨٠ بزعامة روبرت موجابي الذي تبنى شعارات يسارية بينما اشتد الصراع بين اليمين واليسار في أنجولا وموزمبيق وتشاد.

● وفي أوغندا دخلت قوات تنزانيا وقوات التحالف المعارض لعيدي امين كمبالا في ١٩٧٩ ولكن الاوضاع لم تستقر في اوغندا.. كما ان قارة افريقيا عانت من المجاعة والجفاف وتعددت فيها مناطق الصراع المسلح في الشمال (بين المغرب والبوليزاريو) وفي تشاد واثيوبيا والسودان واوغندا وفي انجولا وناميبيا وموزامبيق وفي جنوب افريقيا ذاتها.

● وشهد النصف الثاني من السبعينات صحوة دينية وإحياء الاعتقاد الديني، بوجه عام فازدهرت التيارات الاسلامية في البلدان الاسلامية العربية وغير العربية. وعاد الاهتمام بالدين قويا في الاقطار المسيحية خاصة في اقطار امريكا اللاتينية وفي آسيا واوربا الوسطى، وظهرت عقيدة التحرير في الاقطار الكاثوليكية الفقيرة وهي تدعو لمساندة ثورات الشعوب وحركات الجماهير لمقاومة الظلم والعمل لتحقيق المساواة وانتشرت بين شعوب امريكا اللاتينية والفلبين.

● وفي اليابان نشأت حركة إحياء بوذية (سوكا جاكاي) أسست حزب كومينو الذي حصل على اصوات كثيرة في انتخابات ١٩٧٦ في اليابان.
وفي اسرائيل قوي نفوذ الجماعات السلفية المطالبة بتطبيق الشريعة الموسوية بحذافيرها.

● واذا كانت عقيدة التحرير قد تحالفت في امريكا اللاتينية مع الحركات الماركسية فإن حركات الاحياء الديني كانت في معظمها شديدة العداء للشيوعية ولليسار بوجه عام.

● اما في اوربا الغربية فالنصف الثاني من السبعينات شهد عودة احزاب اليمين للحكم في بريطانيا وفرنسا وعودة الديمقراطية لاسبانيا والبرتغال واليونان، ونشاط المنظمات الارهابية في المانيا الغربية وايطاليا وكذلك عودة الحياة للحركات الفاشية الجديدة في أوربا الغربية التي حرضت على ضرب الشيوعية الاوربية الغربية التي كانت قد اكدت التزامها بحماية النظام الديمقراطي واحترام قواعد (اللعبة) البرلمانية وهو إتجاه اطلق عليه (يوروكوميونزم).

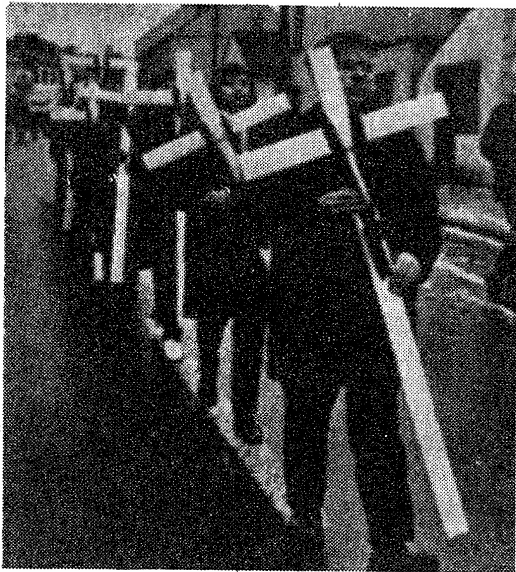
● هذه التحولات ادت بوجه عام لتشجيع اليمين لاسترداد المواقع التي فقدها.. والهجوم على ما حققته الجماهير من مكاسب وضمانات اجتماعية فشنت حكومة المحافظين حملة على النقابات في بريطانيا وقيّدت حق الاضراب وضغطت المصروفات على الصحة والتعليم والاسكان والعون المقدم للعاطلين وذوي المعاشات ومع بداية الثمانينات طبقت حكومة ريجان سياسة تتسم بالسخاء الشديد في الانفاق على التسليح بينما ضغطت ميزانية الخدمات.. وخفضت الضرائب على الرأسماليين.

● وفي ذلك المناخ تشجعت اسرائيل فتوسعت في بناء المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية وضرب مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وتوسيع منطقة احتلالها في جنوب لبنان.. واخيراً حصار بيروت في ١٩٨٢.

● وفي مناخ المد اليميني العالمي إزداد صلف نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا واصبح اكثر جرأة في قمع الشعب الافريقي بقسوة وشن الغارات على الدول الافريقية المجاورة وارسال المرتزقة لتخريب منشآتها واغتيال كوادرها.



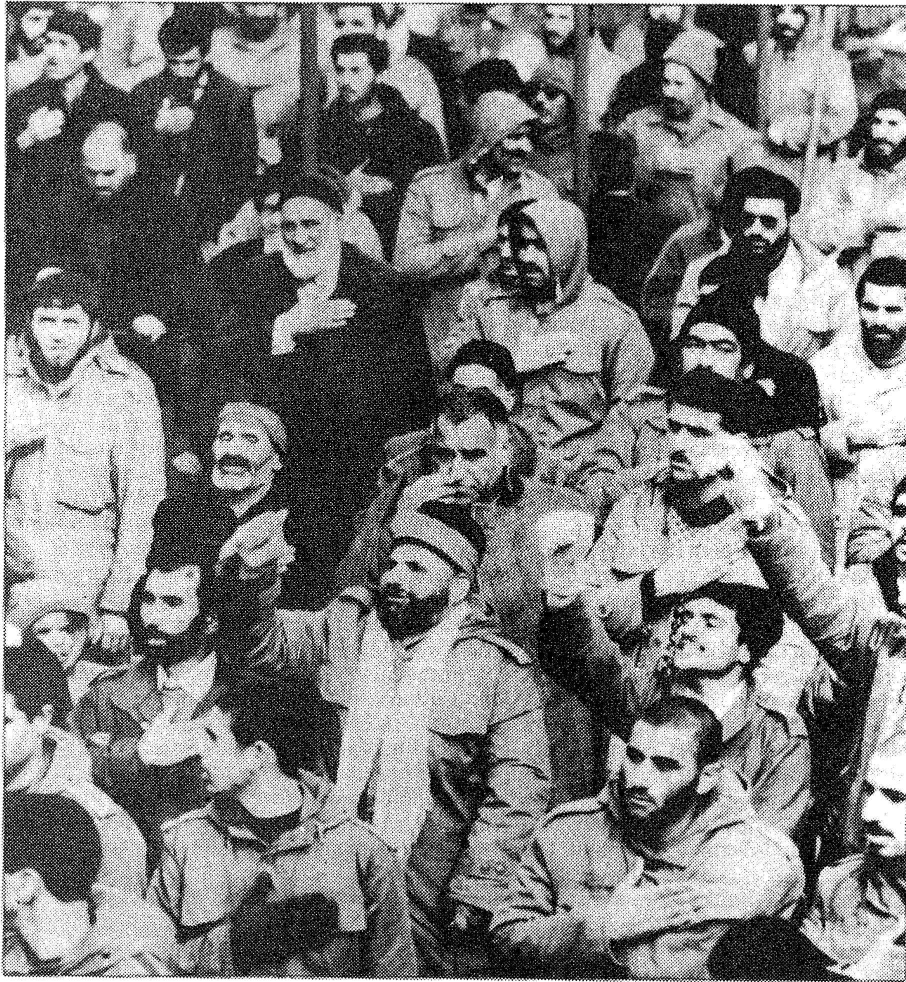
الصحوة الدينية ـــ في امريكا متظاهر يحمل لوحة تقول « الله ليس اسطورة »



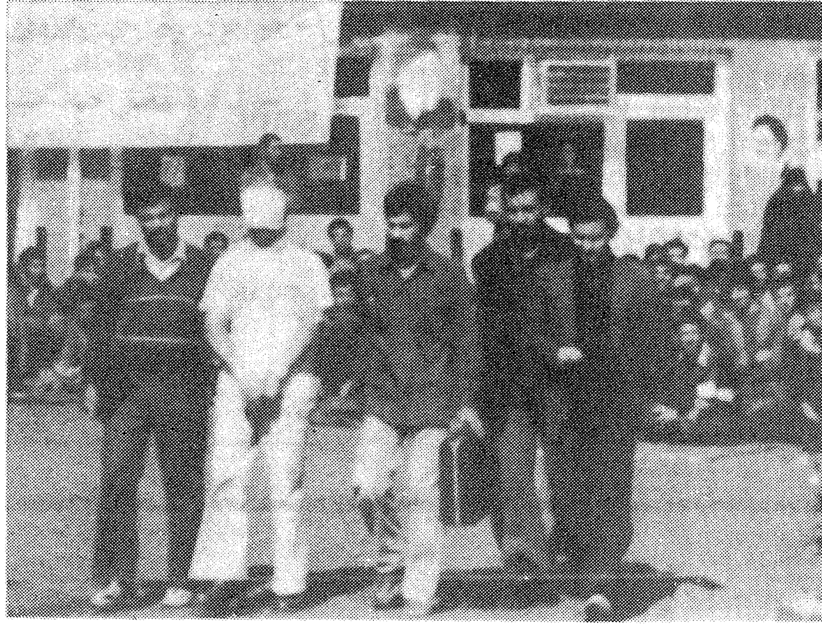
جنازة صامتة للكاثوليك في ايرلندا



موكب ديني في بولندا



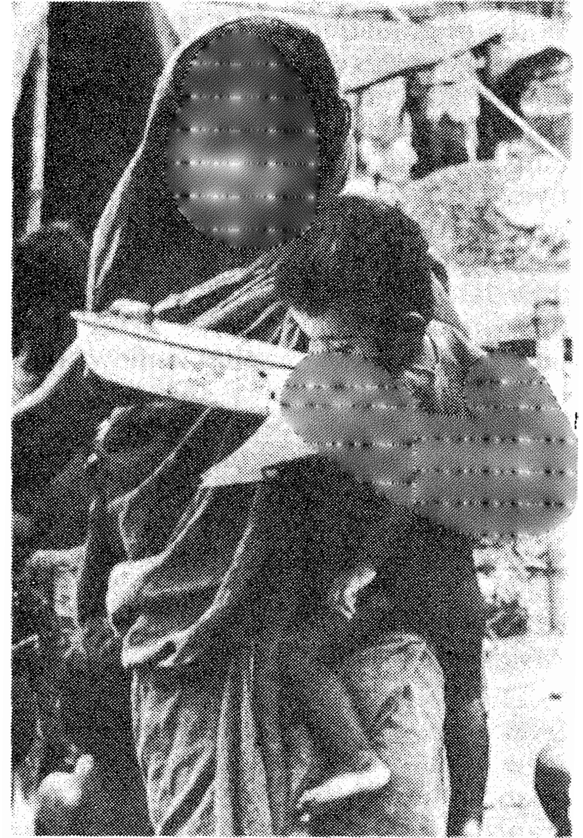
اجتماع لتأييد الثورة الاسلامية في جامعة طهران



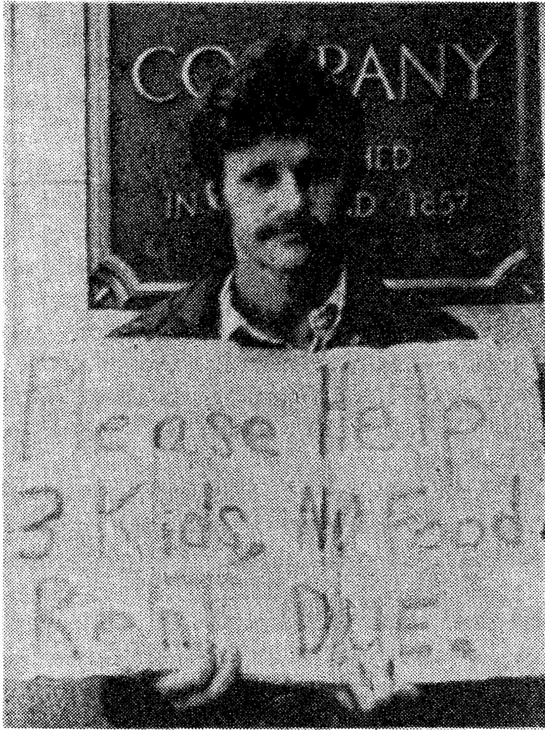
أحد الرهائن الامريكيين خارج السفارة الامريكية في طهران ١٩٧٩



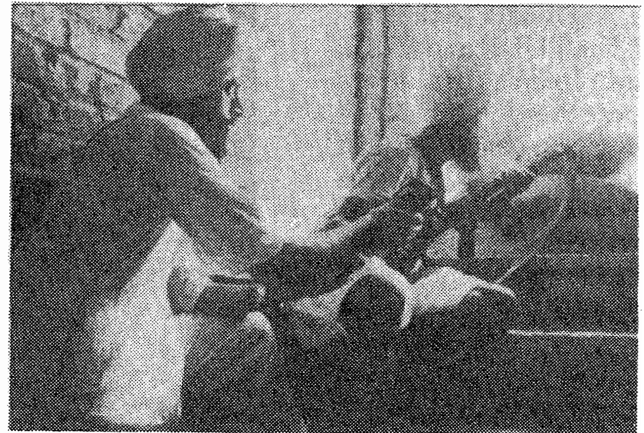
تدريب الايرانيات على اطلاق النار



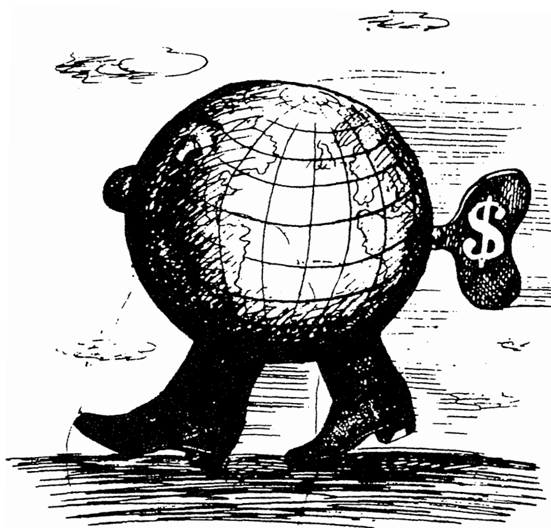
.. والمجاعة في العالم الثالث



العطالة في الدول الصناعية



السيخ يقاومون قوات الحكومة في المعبد الذهبي في أمرتسار ــ ١٩٨٤



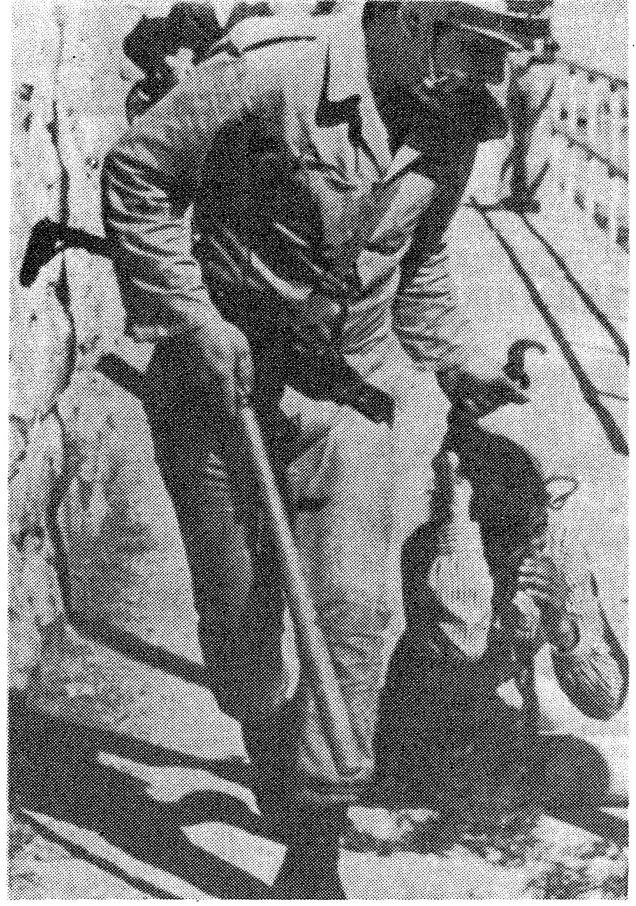
الدولار عملة دولية



صحوة الأقليات القومية..
دعوة لتنظيم الهنود الحمر
في أمريكا الشمالية للاشتراك
في مسيرة اول مايو



بداية الحرب الأهلية
في لبنان (١٩٧٥).

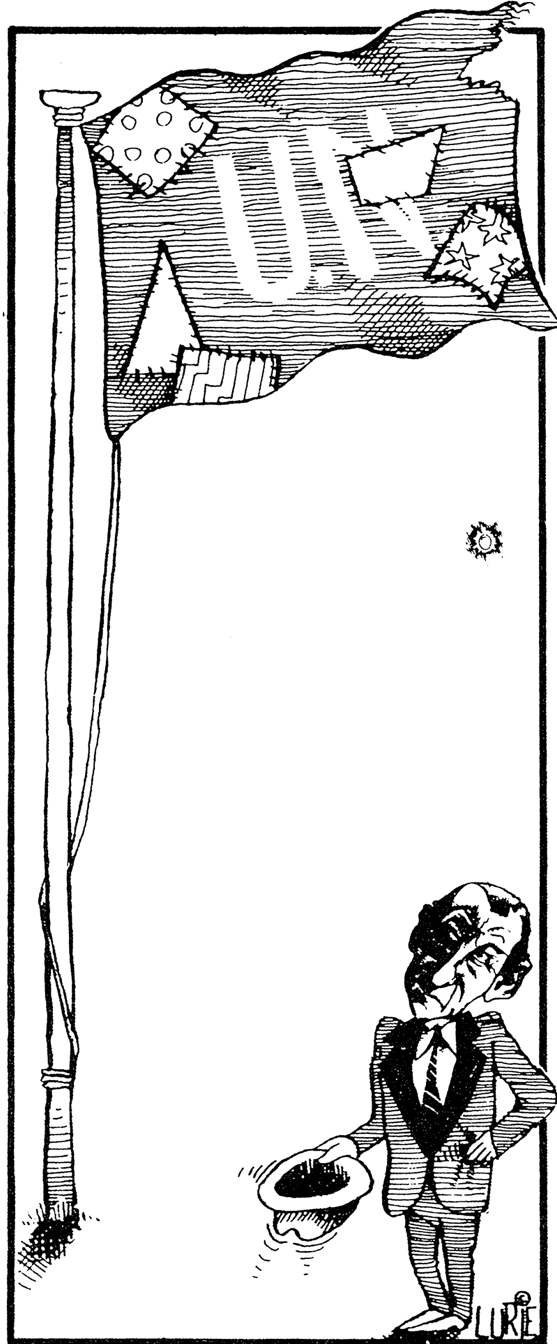


القمع في الضفة الغربية المحتلة



ـ صحيح يا مولانا اللي ينضم لتنظيم اليسار، يتشتم في جريدة الأخبار، ويوم القيامة يدخل النار؟!

عن « روزاليوسف » ابريل ١٩٧٦



الأمم المتحدة تعاني من العجز المالي بعد تخفيض مساهمة الولايات المتحدة.

الفصل التاسع

نقطة تحول...

بعد انتهاء حرب فيتنام عام ١٩٧٢ انتقل مركز التوتر في العالم الى الشرق الأوسط ثم لمنطقة الخليج.

وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ نقطة تاريخية في تطور الأحداث في المنطقة، فعلى العكس من حرب يونيو ١٩٦٧ التي كانت فيها المبادرة في جانب تل أبيب، أخذت كل من مصر وسوريا زمام المبادرة سياسيا وعسكريا في أكتوبر ١٩٧٣.

● فعلى المستوى العسكري انتقلت الجيوش العربية في حرب السادس من اكتوبر ١٩٧٣ من الدفاع للهجوم بعد أن كانت اسرائيل هي المهاجم دائما مستغلة تفوقها الجوي ووظف العرب الصواريخ السوفيتية المضادة للطيران لاقامة مظلة لحماية قواتهم البرية ومدرعاتهم ولعبور قناة السويس والدخول في معارك صدامية مع قوات العدو، كما تمكنوا من تحقيق درجة عالية من التنسيق بين عملياتهم في القطاعات والجبهات المختلفة.

● وعلى الصعيد السياسي لم يعد الرأي العام الدولي يقبل صورة الدولة الصهيونية الصغيرة التي تحاصرها الجحافل العربية وتهدد بالقائها في البحر، فلم تقف في حرب ١٩٧٣ بجانب اسرائيل بشكل سافر سوى الولايات المتحدة وهولندا..

● كما تجسدت (قومية المعركة) في حرب ١٩٧٣ بمشاركة معظم الدول العربية في المعارك بوحدات من جيوشها وبتقديمها الدعم المادي والمعنوي للمجهود الحربي بكل امكانياتها، وكان حظر تصدير النفط للدول الغربية موقفا ضاغطا على الدول المستهلكة للبترول العربي مما جعلها تقف موضوعيا بجانب الجهد العربي لعزل اسرائيل وأصبح البترول سلاحا هاما في المعركة. وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣ تضاءلت الخلافات والتناقضات العربية وغطت عليها روح التضامن في معركة المصير...

لقد شعرت اسرائيل، كما شعرت الولايات المتحدة حليفة اسرائيل، أن الدول العربية بلغت درجة من الوعي والتضامن يمكنها من تغيير موازين القوى في الشرق الأوسط لصالحها، وان لديها الامكانيات البشرية والمادية الكفيلة بذلك.

ولهذا شرعت واشنطون وتل أبيب على الفور في دراسة الأوضاع التي نجمت من حرب أكتوبر ١٩٧٣ لرسم استراتيجية مضادة تعيد الشعوب العربية وشعوب الشرق الأوسط كلها لحظيرة التبعية وتضعف تضامنها وتؤجج نيران الفتن والخلافات بما يضمن تشتيت جهودها واستنزاف قواها وامكانياتها المادية والمعنوية وتفجيرها من داخلها، بحيث تبقى اسرائيل وحدها القوة الوحيدة المتماسكة في المنطقة بفضل الدعم الأمريكي، وتصبح اليد الطويلة لردع قوى التحرر واحباط آمال الجماهير في الحرية والرقي.

من العبور.. الى مفاوضات الكيلو ١٠١

استفادت اسرائيل من بطء انطلاق القوات المصرية شرق القناة بعد عبورها للعائق المائي وتدميرها خط بارليف، وتلقت القيادة الاسرائيلية دعما أمريكيا ضخما عبر جسر جوي مستمر.

وفي يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ بدأ عبور اسرائيل المضاد من شمال البحيرات المرة عبر ثغرة بين الجيشين المصريين الثاني والثالث عند الدفرسوار، واستخدم

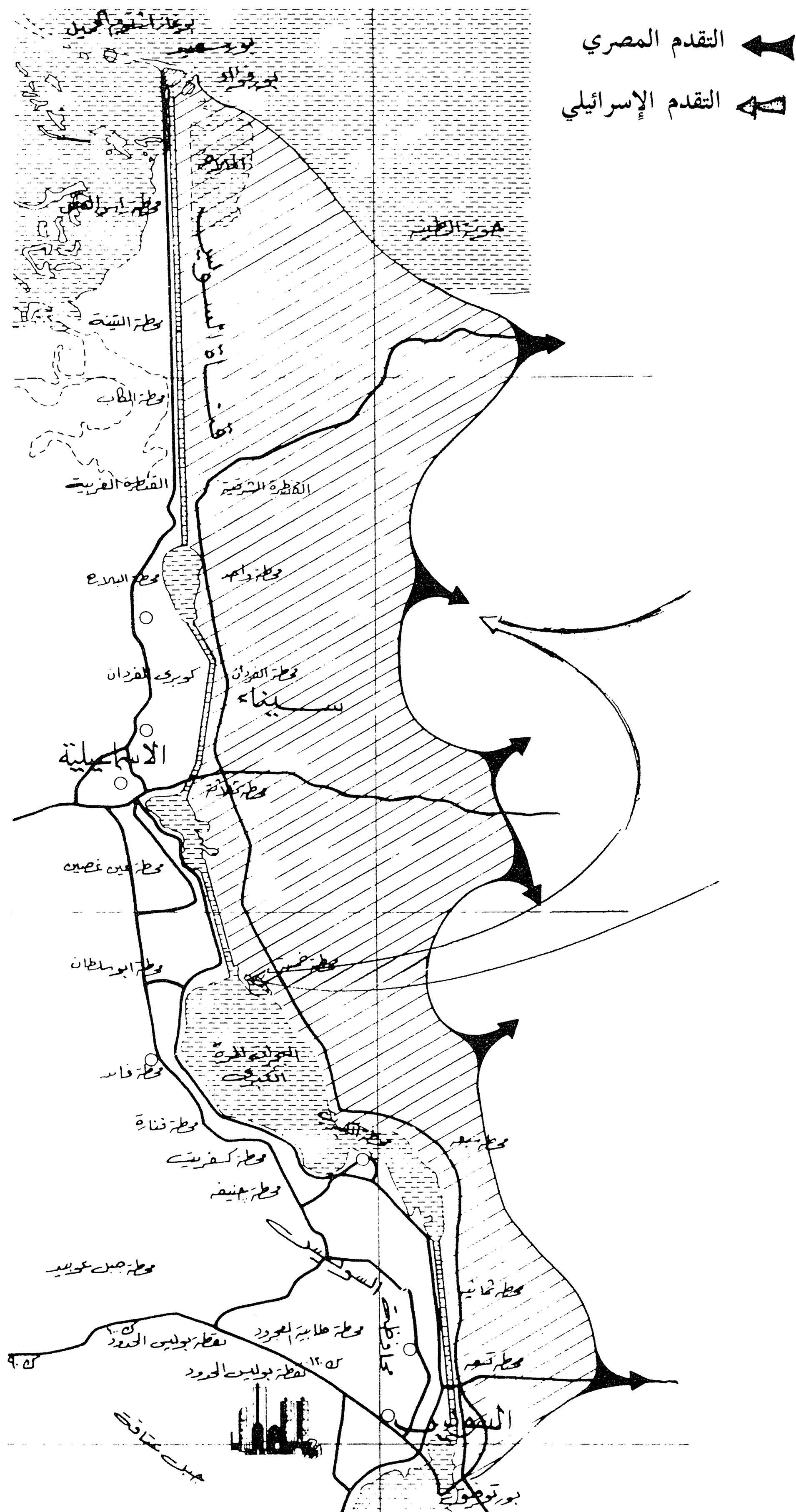
العدو دبابات برمائية أمريكية الصنع شرعت على الفور في تدمير قواعد صواريخ (سام) على الضفة الغربية للقناة وأقامت رأس جسر هناك تم تعزيزه بسرعة في الأيام التالية، وابتداء من يوم ١٨ أكتوبر صار الطيران الاسرائيلي يتحرك بحرية نسبية بعد تدمير مواقع الصواريخ المصرية المضادة للطائرات، واتسعت ثغرة الدفرسوار بحيث وصل حجم القوات المعادية التي مرت عبرها للضفة الغربية حوالي ١٢ الف جندي ومعهم ٣٠٠ دبابة حتى يوم ٢٠ اكتوبر، وأخذت هذه القوات تنتشر نحو الاسماعيلية شمالا والسويس جنوبا، وبالرغم من صدور قرارات مجلس الأمن الدولي بوقف اطلاق النار يومي ٢٢ و٢٣ أكتوبر الا أن الهجمات المعادية استمرت ضد الجيش المصري الثالث الذي أعلنت تل أبيب أنه بات محاصرا، وتوقف زحف القوات الاسرائيلية عند الكيلو ١٠١ على الطريق نحو القاهرة.

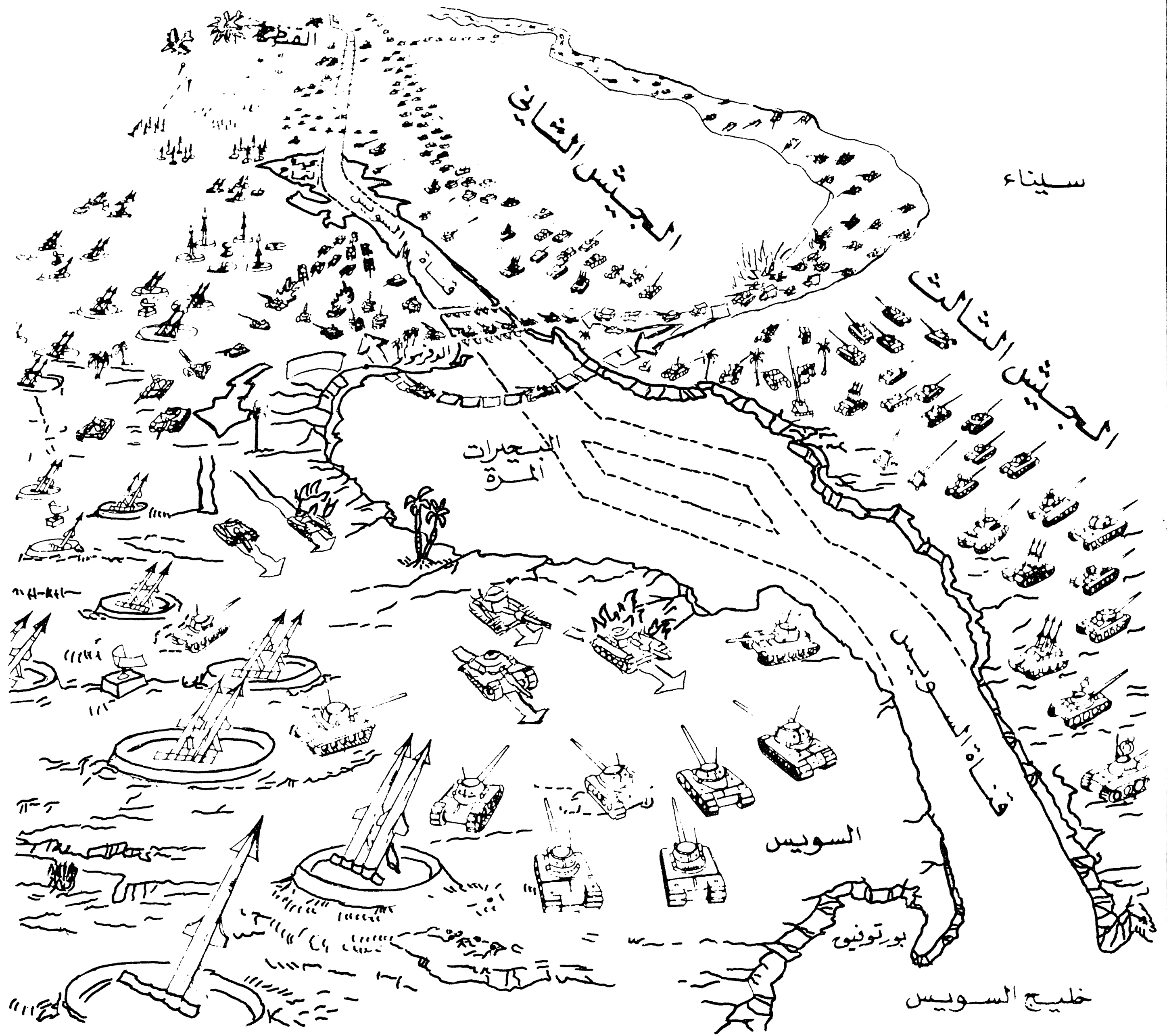
● ولكن كيف حدثت الثغرة ووقع الاختراق عند الدفرسوار؟ ولماذا عجزت القيادة عن مواجهته قبل أن ينجح في التمركز وينفذ بسبعة لواءات مدرعة غربا؟

يقول الخبراء ان الاستراتيجية العامة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت دفاعية بحتة كما أنها لم تأخذ في الحسبان الاجراءات المضادة المحتملة للعدو.

● تركزت الحرب في العبور من وراء مانع طبيعي هو قناة السويس لاتخاذ موقع دفاعي شرق القناة لا يستره مانع طبيعي، ثم أن العبور كان بكل ما لدى القيادة المصرية تقريبا من مشاة (خمس فرق) وزعوا عليها أغلب المدرعات (٧ لواءات مدرعة من مجموع تسعة) وكان الخطأ نشر القوات المصرية على جبهة واسعة جدا بطول القناة وبعمق قليل ويدعمها احتياطي بسيط في غرب القناة.

● ان قوة المدرعات في كثافة وسهولة حركتها وقوة صدمتها ولهذا أدى توزيعها الى تفتيتها واضعاف فعاليتها، بينما كان ضروريا وجود فرقة مدرعة على كل محور استراتيجي تكون تحت تصرف القيادة لاستخدامها كاحتياطي لصد الهجمات المضادة أو لمواجهة موقف متدهور كما حدث


التقدم المصري
التقدم الإسرائيلي
القنطرة الغربية
القنطرة الشرقية
كوبري الفردان
الإسماعيلية
سيناء

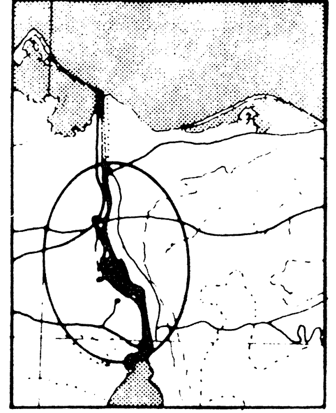


الجبهة المصرية

الاختراق الاسرائيلي عند البحيرات المرة

قوات مصرية

قوات اسرائيلية



الجيش الثاني

الاسماعيلية

البحيرات المرة

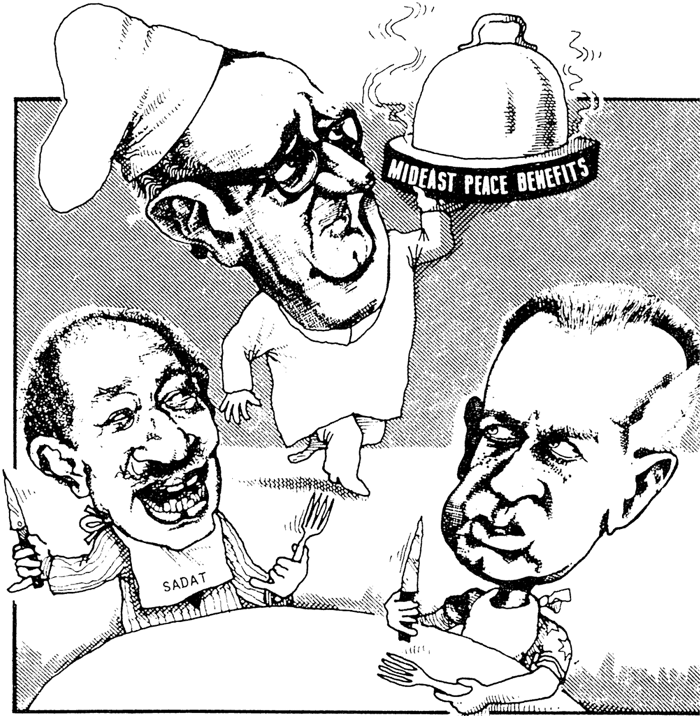
الجبهة المصرية

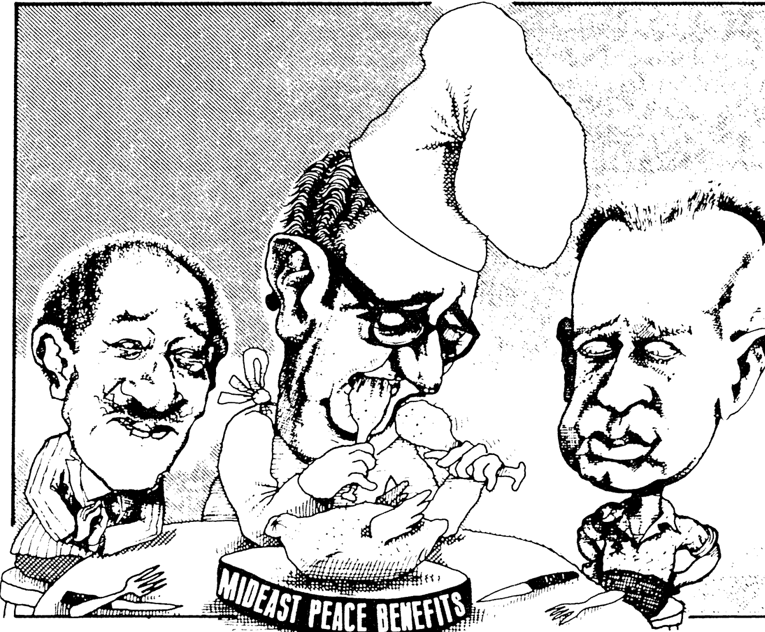
الاختراق الاسرائيلي بين ٢٢/١٠ ـ ٢٤/١٠

في حالة اختراق العدو للجبهة عند الدفرسوار، وهكذا أدى اهدار الاحتياطي لتمكين العدو من بناء جسر عبر القناة والتوغل في الضفة الغربية للقناة ثم تعزيز قواته حيث لعب العدو بقواته المدرعة مثل كتلة واحدة متحركة تصعب مواجهتها.. مطبقا قواعد الحرب الخاطفة.

● وهكذا انتهت الجولة العسكرية الرابعة مع اسرائيل، بدأت الحرب في السادس من أكتوبر لانهاء اسطورة التفوق الاسرائيلي والانتقال من الصمود لاسترداد الأرض السليبة زارعة الأمل في نفوس الأمة العربية كلها، وانتهت بمفاوضات الكيلو ١٠١ والاتفاق الذي تم نتيجة لزيارة الدكتور هنري كيسنجر للقاهرة في شهر نوفمبر ١٩٧٣؛ وطبقا للخطاب الذي بعث به كيسنجر لسكرتير عام الأمم المتحدة في ذلك الوقت المستر كورت فالديهايم في التاسع من نوفمبر ١٩٧٣ ورد ما يلي:

● « إن الاتفاق تم تحت ارشاد الولايات المتحدة وبفضل مساعيها الحميدة، وأنه يتضمن الالتزام بوقف اطلاق النار بين القوات تحت اشراف الأمم





الطبخة الأمريكية للشرق الاوسط يقدمها كيسنجر (النيوزويك ٨ — ٩ — ١٩٧٥)

المتحدة والسماح بمرور التموين والماء والدواء لمدينة السويس المحاصرة ونقل الجرحى منها وكذلك نقل الأغذية والمواد غير العسكرية للضفة الشرقية للقناة، وأن تحل نقاط التفتيش الدولية محل نقاط التفتيش الاسرائيلية على طريق القاهرة السويس. ويستطيع ضباط اسرائيليون الاشتراك مع مندوبي الأمم المتحدة في التفتيش للتأكد من الطبيعة غير العسكرية للشحنات التي تعبر عند ضفة القناة، على أن يتم الافراج عن جميع أسرى الحرب بمجرد اقامة نقاط التفتيش الدولية ». وكانت خطة هنري كيسنجر هي العمل لتحييد مصر واخراجها نهائيا من دائرة الصراع العربي الاسرائيلي لمنع تكرار المفاجآت التي حدثت في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد نصح كيسنجر الاسرائيليين بتقديم تنازلات تبعد مصر عن دائرة المواجهة مع اسرائيل، فقد كان من رأيه ان الدول العربية بدون مصر لا تشكل تهديدا خطيرا لاسرائيل، على الأقل على المدى القريب.

● كما ان مصر بمفردها سوف تنشغل بهمومها وقضاياها الداخلية ومشاكلها الاقتصادية. هكذا بدأت المسيرة نحو عقد اتفاق فك الاشتباك بين مصر واسرائيل الذي تم في يناير ١٩٧٤ ومهد لمعاهدة كامب ديفيد في مارس ١٩٧٩.

واذا تركنا جانبا الزيارة الدراماتيكية التي قام بها السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧، فان سياسة الخطوة خطوة للتقريب بين مصر واسرائيل باشراف واشنطون قد أثمرت في النهاية اتفاق كامب ديفيد في ١٩٧٩ وهذا الاتفاق يعبر عن توازن القوى الحقيقي بين مصر واسرائيل والتحالفات التي تقف وراء كل منهما في تلك الفترة، كما يعبر عن الحصيلة النهائية لمعارك اكتوبر ١٩٧٣، والموقف العربي بوجه عام ازاء المواجهة مع اسرائيل، فالقاعدة التي تقول أنك لا تحصل على مائدة التفاوض أكثر مما يمكن أن تحصل عليه في ساحات القتال ما زالت قاعدة صحيحة، وكامب ديفيد خير تجسيد لها.

● كما اتفقت واشنطون وتل أبيب على الاصرار على رفض التفاوض

مع العرب مجتمعين بل التعامل مع كل دولة عربية كل على حدة، وأكد كيسنجر أن التناقضات بين الدول العربية سوف تتسع حتما وتحول دون توحيد كلمتها مرة أخرى أو تكرار التضامن الذي حدث في أكتوبر ١٩٧٣.

ولضمان أمن اسرائيل وازدهار اقتصادها وضعت خطة التحالف الاستراتيجي بين واشنطون وتل أبيب كما أزيلت الحواجز الجمركية بين البلدين وزاد حجم المساعدات الأمريكية لاسرائيل بحيث أصبحت اسرائيل الدولة التي تحصل على أكبر قدر من المعونات الأمريكية بالنسبة لدول العالم.

● أما بالنسبة لاستخدام الدول العربية للبترول كسلاح للضغط السياسي على الدول الصناعية الغربية، فقد تزعمت واشنطون خطة توحيد سياسات تلك الدول ازاء استهلاك الطاقة. وتم وضع خطة بعيدة المدى تنفذ على مراحل للاقتصاد في استهلاك الوقود ولايجاد مصادر بديلة للطاقة، ولاستغلال الطاقة المتجددة (الطاقة الشمسية، طاقة الريح..) وللتنقيب عن النفط خارج مجموعة الأوبك وللتعاون في سد احتياجات البلدان الصناعية وتخزين احتياطي كبير من البترول وكسر احتكار البترول كانت الخطة الاستراتيجية الغربية قد أثمرت في كسر شوكة (الأوبك) وتخفيض أسعار النفط.

البترول والاقتصاد العالمي:

أدت حرب أكتوبر ١٩٧٣ لحدوث ارتفاع كبير في أسعار البترول حيث تضاعف سعر برميل النفط الخام ثلاث مرات بين ١٩٧٥/١٩٧٤، بينما تصاعدت أسعار البترول مرة أخرى ١٩٨٠/١٩٧٩، وفي الفترة بين عام ١٩٧٣ و١٩٨٣ حصلت الدول المصدرة للنفط على ١٣٤٨ مليار دولار وهو مبلغ هائل بكل المقاييس، فماذا فعلت به تلك الدول؟[1].

● لقد كتب المعلقون في الدول الرأسمالية الغربية أن الثروات أخذت

---

(١) مجلة (ساوث) SOUTH — لندن — سبتمبر ١٩٨٥ — أين ذهبت أموال البترول؟ (المقال الافتتاحي)

تنتقل من بلادهم الى العرب ودول البترول وأنه خلال شهور ارتفاع أسعار البترول (١٩٧٥/١٩٧٤) دفعت الدول المستهلكة للبترول ١٠٠ مليار دولار للدول المنتجة للبترول، وتحدثوا عن غزو رأس المال العربي لأوربا الغربية وأمريكا وشرائه لصروح الرأسمالية وشركاتها في عقر دارها.

● وتذكر مجلة ايكونومست البريطانية عدد (١٩٨٧/٧/٢٧): أنه في الفترة التي تلت زيادة أسعار النفط عام ١٩٧٤/٧٣ كان يتدفق على السعودية والدول العربية الأخرى ما يساوي ١١٥ ألف دولار في كل ثانية، ولو استثمرت الدول العربية المصدرة للنفط هذه الأموال لأمكنها مثلا شراء البنوك الرئيسية الأربعة في بريطانيا أو كل نشاط الشركات الأمريكية خارج الولايات المتحدة: وفي خلال ٨، ١٢ سنة كان العائد من تلك الاستثمارات يدر ١١٥ دولارا أسبوعيا لكل عربي راشد بما في ذلك أبناء فلسطين المشردين ».

والحقيقة أنه بين ١٩٧٤ و١٩٧٦ زادت قيمة واردات الدول العربية من الأسلحة الغربية أربعة أضعاف ثم تضاعفت مشتريات السلاح مرة أخرى في ١٩٨٠ مع نشوب حرب الخليج، وبين ١٩٨٠ و١٩٨٢ صرفت المملكة السعودية ٦٢,٥ مليار دولار على شراء الأسلحة بينما كان متوسط أنفاق كل من ايران والعراق حوالي ١٥ مليار دولار سنويا لشراء السلاح.

● وبين ١٩٧٣ و١٩٧٩ زادت دول (الأوبك) وارداتها من السلع الكمالية بما قيمته ٨٤ مليار دولار، وفي نفس الوقت زادت الدول الرأسمالية الغربية اسعار منتجاتها بنسبة ٣٥٪.

● ولقد كان معروفا منذ مطلع السبعينات اتجاه مجموعة (الأوبك) لرفع أسعار البترول بسبب تناقص القيمة الحقيقية للدولار ــ وللارتفاع المطرد في أسعار السلع التي تستوردها (الأوبك) من السوق الغربي، ولما جاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ برز الاتجاه لرفع أسعار الصادرات من المنتجات الصناعية مع ارتفاع اسعار البترول، وأصبحت الدول تصدر الغلاء لبعضها.

● واذا كانت الدول الصناعية قد عانت من معدلات تضخم تتراوح

بين سبعة في المائة وعشرين في المائة فان الأسعار في البلاد النامية أخذت تزيد بمعدلات بلغت عشرة أضعاف هذه النسبة، وفي بعض البلاد تضاعفت أسعار المواد الضرورية عدة مرات في السنة، وفي البلدان التي لا تملك موارد للطاقة وتستورد البترول فان تصاعد فاتورة البترول أجبرها على الاستدانة ووقعت في مستنقع الديون التي شلت تطورها.. وكانت استدانة دول العالم الثالث من البنوك الدولية هي عبارة عن جزء من عائدات الزيادة في سعر النفط التي أودعتها الدول المنتجة للبترول في البنوك في أوربا وأمريكا وقامت تلك البنوك بدورها بتسليفها لأقطار العالم الثالث التي استدانت عندما كان سعر الدولار منخفضا وبدأت تسدد ديونها وسعر الدولار مرتفع مع زيادة سعر الفائدة في البنوك الأمريكية.

ففي عام ١٩٧٠ كان مجموع ديون العالم الثالث ٦٨ مليار دولار، وفي ١٩٧٦ زادت الى ٢٠٤ مليارات دولار ثم الى ٦٢٠ مليار دولار في ١٩٨٣، وفي عام ١٩٨٤ أصبحت فوائد خدمة ديون العالم الثالث ٨٤ مليار دولار أي أن الفوائد وحدها في ١٩٨٤ صارت تزيد ١٦ مليار دولار عن مجموع أصول ديون العالم الثالث في ١٩٧٠، ومن جهة أخرى فان أسعار المواد الخام غير البترولية لم تواكب الصعود في سعر النفط، ولو ظلت النسبة بين اسعار المنتجات الصناعية واسعار الحاصلات الزراعية والخامات المعدنية كما كانت في عام ١٩٧٣ لكان لدى معظم الاقطار النامية فائض ولما واجهت ازمة مديونية على الاطلاق.

المتغيرات في الاقتصاد:

● لقد ادت الزيادات الكبيرة في اسعار البترول خلال السنوات بين ١٩٧٤ و١٩٨٠ الى تحولات عديدة في الاوضاع الاقتصادية للعالم، فقد ركدت صناعة السيارات في الولايات المتحدة بينما ازدهرت في اليابان بسبب توجه الصناعة اليابانية لصنع سيارات اقل استهلاكا للوقود، وقد صادف ارتفاع سعر النفط انتشار استخدام الكمبيوتر في ترشيد الانتاج الصناعي

وتقليل حجم العمالة المطلوبة للانتاج مما ادى لاتساع نطاق العطالة في العالم الغربي.. كما زاد نطاق قطاع الخدمات في دول اوربا الغربية وامريكا.

● وقد كتب لفيف من الخبراء في ١٩٧٧ من اعضاء (نادي روما) ان النقص في الغذاء وفي انتاج المواد الخام سوف يزيد الطلب عليها ويرفع اسعارها، ولكن التطور التكنولوجي ساعد دولا عديدة على التحول من مستوردين للغذاء الى منتجين ومصدرين، فبين ١٩٧٢ و١٩٨٥ زاد انتاج الحاصلات الزراعية بنسبة الثلث وكان بمعدلات تزيد عن زيادة عدد السكان. كما ان الهند ودولاً آسيوية اخرى اصبحت تنتج ما يكفيها من الغذاء، ومعظم الدول الصناعية (فيما عدا اليابان والاتحاد السوفيتي) حققت الاكتفاء الذاتي من الحبوب وبعضها اصبح لديها فوائض ضخمة، ولم يعد القمح سلاحاً للضغط إلا على بعض الدول الفقيرة في افريقيا وامريكا الجنوبية التي لا تملك رصيدا من العملات القابلة للتحويل لشراء الغذاء من السوق العالمي حيث غالبا ما تكون تكلفته اقل من تكلفة انتاجه محليا بوسائل بدائية..

● ان المواد الخام المألوفة ــ بما فيها البترول ــ لم تعد أداة الضغط على الدول الصناعية المتقدمة ومن يملك التكنولوجيا يستطيع ان يجد بدائل للخامات ومصادر جديدة للطاقة وهذا يعني ان دور دول العالم الثالث التي يقطنها اربعة اخماس سكان العالم ــ في الاقتصاد العالمي اصبح هامشياً، وان العالم المتقدم صار يربح من العالم الثالث عن طريق تصدير السلاح الذي يزيد استهلاكه في الحروب الاقليمية او الاهلية في بلدان العالم الثالث بصورة جنونية وقد بلغت قيمة مشتروات الاسلحة في بلدان العالم الثالث خلال ١٩٨٥ حوالي ٣٠٠ مليار دولار، وكانت منطقة الشرق الاوسط في المقدمة حسب تقارير الأمم المتحدة.

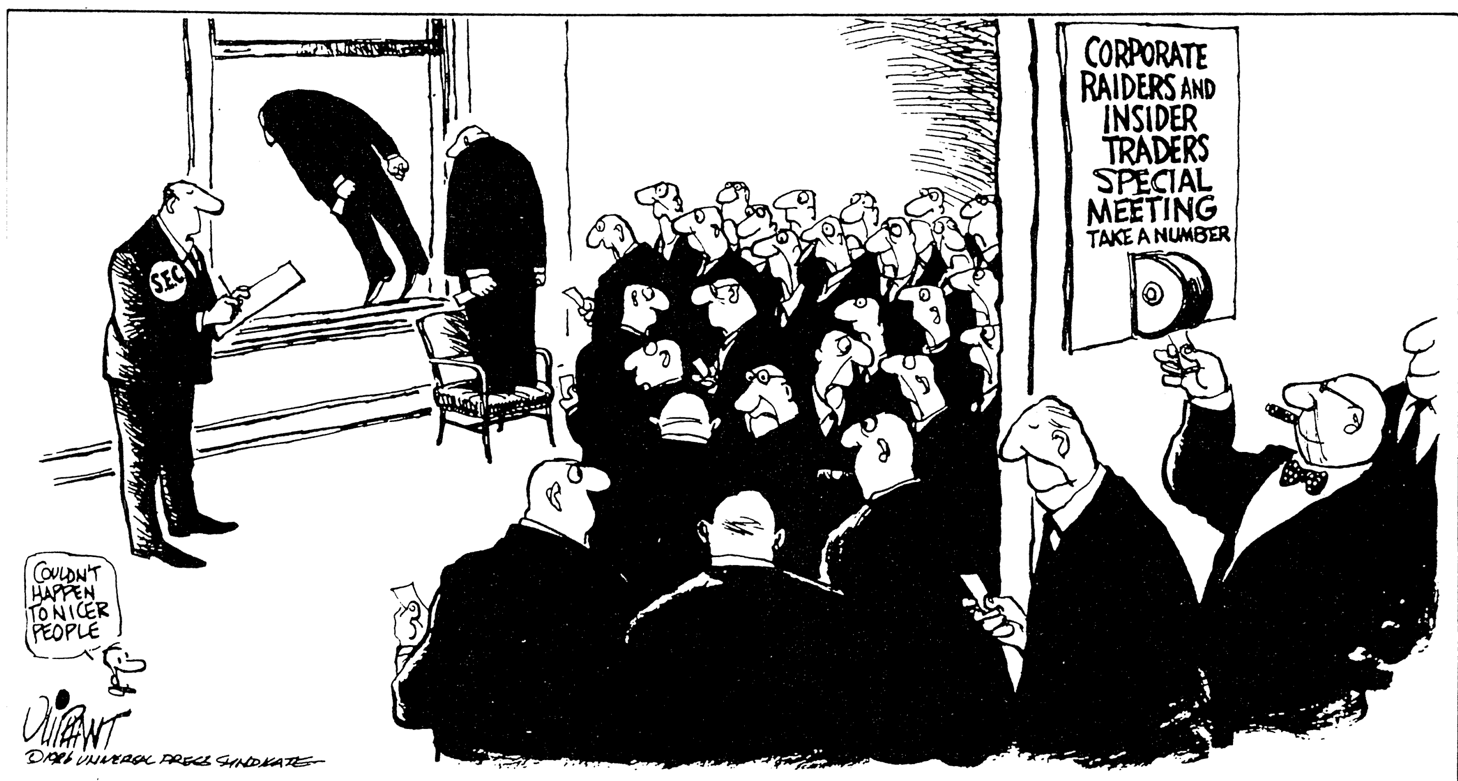
● ومع استحالة الحرب الذرية بين الدول العظمى اخذت تنتشر الحروب المحدودة والحروب بالوكالة حيث تنحاز بعض الدول الكبرى لاحد الاطراف بينما تدعم دول اخرى الطرف الآخر وهكذا تستمر صراعات طويلة بلا حسم لتستنزف موارد الشعوب، واخذت تظهر على خريطة العالم مناطق

الحروب الاهلية والصراعات المحلية التي تستمر سنوات طويلة مثل حرب لبنان وحرب الخليج والحرب في انجولا وموزمبيق وجنوب السودان.. والحرب في السلفادور ونيكاراجوا.. الخ وجزء كبير من احتياطي عائدات البترول العربي في المشرق استخدم في دعم المجهود الحربي للعراق في حرب الخليج. كما جعلت واشنطون بعض الدول العربية المصدرة للنفط توجه جزءا من عائدات بترولها للانفاق على عمليات دعم النظم اليمينية على نطاق العالم كله ومساعدة الحركات المعادية للشيوعية متحملة بذلك بعض اعباء السياسة الامريكية ومسؤولياتها في حملتها العالمية ضد الافكار والنظم الاشتراكية وحركات التحرير الوطني.

وقد حدث نتيجة للتحولات العالمية استقطاب حاد على المستوى العالمي حيث اصبحت الهوة تتسع باستمرار بين الدول الغنية المتقدمة والدول الفقيرة، واصبح يتحكم في الاقتصاد الرأسمالي الغربي حوالي سبع دول على رأسها الولايات المتحدة وتشمل اليابان والمانيا الغربية وفرنسا وكندا وايطاليا وبريطانيا وبينما يبلغ متوسط دخل الفرد السنوي في السويد ١٧ ألف دولار (حسب احصاءات ١٩٨٦) فان متوسط دخل الفرد السنوي في بنقلاديش ١٠٥ دولارات وفي تشاد ٧٣ دولاراً!!

● وفي داخل كل قطر في بلاد العالم المرتبط بالتجارة الدولية الرأسمالية ومؤسساتها زادت الهوة بين الشرائح الاجتماعية، وكان من نتائج الارتفاع المستمر في الاسعار الافقار المتزايد لذوي الدخول المحدودة من الموظفين العمال بسبب ضعف القوة الشرائية للنقود بينما زادت دخول الفئات الطفيلية (التي لا تساهم في عملية الانتاج) والتي تحصل على ارباح كبرى من عمليات السمسرة والتهريب والمضاربة والاتجار في العملة وغيرها.

● وهذه التحولات ادت في البلاد النامية بالذات لإضعاف الطبقة الوسطى اقتصاديا وسياسيا وتعميق الفوارق الاجتماعية مما اخل بالتوازن الاجتماعي وهز دعائم الاستقرار وخلق المناخ الملائم لانتشار العنف والتحريض على الفتن والصراعات الأهلية.



بعد اكتشاف المضاربات في أسهم الشركات والتآمر للاستيلاء على المؤسسات الناجحة وابتلاعها والثراء الحرام للمضاربين.. رجال الأعمال يقفزون من النافذة..(عن الجارديان فبراير ١٩٧٨)

لقد كان رفع الاسعار والتضخم وهبوط قيمة العملات المحلية في البلدان النامية هو سلاح الاستعمار واذنابه لسحق وتأديب الطبقة الوسطى وذوي الدخول المحدودة من العاملين وشغلهم باللهث وراء القوت او الهجرة وتشتيت المتعلمين او شرائهم وعزلهم عن توعية الجماهير بالمرحلة الجديدة وملامحها الاقتصادية التي تتضح في الهجوم على مكتسبات الجماهير وتشجيع الانحطاط الثقافي ونشر اليأس والاستسلام واخفاء الاعداء الحقيقيين، وباختصار الانتكاس بالثورة في العالم الثالث ومحاصرتها.

المتغيرات الاقتصادية

● يمكن القول بأنه مع بداية الحرب العالمية الثانية كانت معظم الدول التي تتبع النظام الاقتصادي الرأسمالي قد تخلت عن قاعدة الذهب، أي لم تعد تتقيد بغطاء ذهبي له قيمة معينة في مقابل العملة الورقية واصبح

اصدار العملات الورقية احتكاراً للدولة وللبنوك المركزية التي تشرف عليها. وهذا التحول جعل ممكنا تمويل النشاط الاقتصادي في قطاعات كثيرة بالعجز واستطاعت المانيا بعد الحرب العالمية الاولى ان تعيد تسليح نفسها بطبع اوراق نقدية بدون غطاء ذهبي استخدمها الدكتور شاخت المستشار الاقتصادي لهتلر لتمويل الصناعات الحربية والانفاق الحكومي على مشروعات تستوعب العاطلين في بناء الطرق والجسور والبنى الهيكلية. وقد اتبعت دول اخرى هذا الاسلوب لتجاوز الازمات وتوفير السيولة وفي الواقع فان الغاء قاعدة الغطاء الذهبي كان ايذانا بالتخفيض المستمر للقيمة الشرائية للنقود، وما كان يقوم به الملوك عندما يحتاجون للمال في العصور الماضية لتفادي فرض ضرائب جديدة تثير تذمر اتباعهم كانوا يقللون كمية الذهب في الجنيه، ويستفيدون من الفرق في الوزن للصرف على حروبهم.. ولما صارت العملة ورقية تحتكر اصدارها الدولة انفتح الباب واسعاً للاستدانة الحكومية من المواطنين بطبع المزيد من اوراق العملة التي تحل مشكلة السيولة للدولة مؤقتا وكلها تولد التضخم والغلاء..

● ومع ذلك فأن قيمة العملة الورقية لأي دولة تستمد قيمتها من قوة اقتصاد الدولة المعنية وقدرتها على المحافظة على درجة من الثبات لعملتها ازاء العملات الاخرى، وهذا يعني ايضا مدى قابلية العملة المعنية للتحويل لعملات الدول الاخرى، فكلما زادت قابلية العملة للتحويل زادت قيمتها.. فالروبل قد تساوي قيمته الشرائية داخل الاتحاد السوفيتي قيمة الدولار الامريكي او اكثر ولكن خارج الاتحاد السوفيتي فالروبل ليس له قيمة تذكر مقارنة بالدولار، حيث يمكن تحويل الدولار لأية عملة اخرى بينما الروبل يتعذر تحويله..

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبروز الولايات المتحدة زعيمة للمعسكر الرأسمالي الغربي اخذ الدولار يتحول بالتدريج لعملة دولية، وتأكد هذا الدور في السبعينات مع تحديد سعر البترول بالدولار وارتباط سلع اخرى به. وقد فطنت الادارة الامريكية لهذه الحقيقة وسعت للاستفادة من وضع الدولار المتميز وتوظيفه لصالح سياستها واوضاعها الاقتصادية.

● ومع التقدم في تناول المعلومات بواسطة الاجهزة الالكترونية الحديثة تحولت السوق في العالم الرأسمالي المتقدم الى سوق واحدة ونشطت الشركات المتعددة الجنسيات وزادت حرية رأس المال في الحركة سعيا وراء معدلات الربح والفائض الاعلى، كما زاد حجم التعامل في الاوراق المالية المختلفة.. وفي هذا المناخ وطد الدولار مكانته كعملة دولية، وفي بعض الدول حل محل العملة المحلية في كثير من المعاملات.

سلاح الدولار:

منذ زمن بعيد والدول تستخدم المزايا الاقتصادية للضغط على الدول والشعوب الاخرى، وفي الهند كانت السلطة الاستعمارية تحتكر الملح وفي امريكا كانت تحتكر الشاي، واستخدمت الولايات المتحدة القمح سلاحاً للضغط على الدول الشيوعية في العصر الحديث (ضغط كارتر بوقف تصدير القمح لروسيا بعد تدخل قواتها في افغانستان) واستخدمت الدول العربية سلاح البترول في حرب ١٩٧٣ للضغط على الدول الغربية لكي تبعدها عن تأييد اسرائيل.

● ولكن السلاح الاقتصادي الاكثر فعالية منذ اصبح الدولار عملة دولية كان الدولار نفسه، فكون الدولار عملة عالمية كان انعكاسا لقوة امريكا في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وهذا بدوره اتاح للولايات المتحدة امكانية التأثير في اسعار العملات الورقية الاخرى، كما مكنها من حل ازمتها الاقتصادية والمالية على حساب الآخرين.. لأنها تستطيع فرض سياستها على مجمل الاقتصاد العالمي.

● ان اليابان كان لديها (عام ١٩٨٦) فائض في ميزان مدفوعاتها وكذلك المانيا الغربية والميزان التجاري في كل من اليابان والمانيا (غ) كان لصالح البلدين بعكس الميزان التجاري للولايات المتحدة الذي ظل يعاني من عجز ضخم ومع ذلك نجد ان معدلات النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة

اعلى من معدلات النمو في اليابان وفي المانيا (غ)، كذلك نجد ان نسبة البطالة في الولايات المتحدة اقل منها في اليابان والمانيا (غ)[1] ومع ان الولايات المتحدة تعاني من عجز رهيب في ميزانيتها وفي ميزانها التجاري فان اسعار السلع والخدمات فيها ترتفع ولا تهبط.

معنى هذا ان حركة النقود لم تعد تعبر عن حركة السلع والخدمات في الواقع.

وفي الدراسة التي نشرها الاستاذ بيتر دروكر الخبير الامريكي في الاقتصاد الدولي واستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة كليرمونت عام ١٩٨٦ ـــ اشار الى حدوث ثلاث ظواهر او متغيرات جرت خلال العشر سنوات السابقة اثرت في صميم الاقتصاد العالمي وفي نسيجه الداخلي وعلاقاته بالاقتصاد الوطني لدول العالم المختلفة وهي:

- ان اقتصاد المنتجات الأولية انفصل عن الاقتصاد الصناعي.
- في مجال الاقتصاد الصناعي لم يعد الانتاج مرتبطا بمستوى العمالة.
- ان القوة الدافعة وراء حركة الاقتصاد العالمي لم تعد التجارة (سواء في الخدمات او في السلع) بل صارت القوة المحركة الأساسية هي حركة رأس المال، صحيح ان الانفصال ليس كاملاً ولكن الرابطة انحلت بين حركة رأس المال وحركة التجارة أي الحركة الحقيقية للسلع والخدمات.

ويؤكد دروكر في بحثه ان هذه التحولات ليست مظهراً عابراً بل هي سمة دائمة الآن من سمات الاقتصاد الرأسمالي العالمي.

وخير دليل على الانفصام بين حركة التجارة الدولية وحركة رأس المال ما تؤكده الاحصاءات المنشورة في مجلة السياسة الدولية الامريكية في ربيع ١٩٨٦، فقد بلغ حجم التجارة الدولية (الظاهرة والخفية) ثلاثة آلاف تريليون دولار في السنة بينما بلغ حجم التعامل في سوق الدولار في لندن

---

(١) استقر معدل البطالة في الولايات المتحدة عند ٦,٧٪ في يناير ١٩٨٧ م

ـــ حيث يتم اقتراض الدولارات وتسليفها ـــ ٣٠٠ مليار دولار يوميا او ٧٥ تريليون دولار في السنة، وهذا الرقم يساوي ٢٥ مرة قدر حجم التجارة الدولية!!

اما حجم المبالغ المتداولة في عمليات تحويل العملات في مراكز تحويل ومبادلة الاوراق المالية فيبلغ يوميا ١٥٠ مليار دولار، اي يبلغ ٣٥ تريليون دولار في السنة، وهذا يساوي ١٢ مرة قدر حجم التجارة الدولية في السلع والخدمات..

● وقد يرى البعض ان التعامل في الاوراق المالية ليس مؤشراً مضبوطا لعمليـة التجارة الدولية لأن انتقال رؤوس الاموال من جيب لآخر او من حساب لآخر لا يعبر في جميع الاحوال عن انتقال السلع او الخدمات، ومع ذلك فان التفاوت الكبير يؤكد الانفصال بين حركة النقود وبين حركة تبادل السلع وتطور علاقات الانتاج والتجارة بين الدول.

● ان النقود في حد ذاتها كانت تعبر عن علاقات الانتاج والتبادل السلعي في المجتمع. والعملات الورقية هي تجريد لهذه العلاقات، ولكنها قطعت شوطا ابعد في التجريد والانفصال عن عمليات انتاج السلع الحقيقية وتقديم خدمات فعلية حيث اصبح لدينا نوعان من الاقتصاد: اقتصاد محلي تعبر فيه النقود عن حركة سلع وخدمات حقيقية، واقتصاد آخر عالمي اكثر تجريداً، يعبر فقط عن حركة النقود ذاتها بعد ان تحررت من الارتباط بعمليات الانتاج والتبادل السلعي الحقيقي، وصار الاقتصاد الرأسمالي العالمي (الأكثر تجريداً) هو الذي يحدد مصير الاقتصاد المحلي (الوطني) المرتبط بحركة الانتاج الفعلي وليس العكس.

● وظهر جليا عجز الدول الصغيرة او المتوسطة الدائرة في فلك النظام الرأسمالي العالمي في السيطرة على مقدراتها او اتخاذ القرارات الاقتصادية التي تخدم مصالح شعوبها. فصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وموقف الولايات المتحدة وحليفاتها صار يشكل قوة ضاغطة يصعب مقاومتها.

فسعر صرف الدولار لا يتقرر حسب قدرته الشرائية داخل الولايات المتحدة بل حسب الطلب العالمي عليه[1].

● ويتم التحكم في الطلب على الدولار عن طريق خفض او زيادة سعر الفائدة في الولايات المتحدة، فرفع سعر الفائدة يزيد الطلب على الدولار ويرفع سعره بالنسبة للعملات الأخرى، وخفض سعر الفائدة يقلل الطلب على الدولار فيهبط سعره وهذا ينشط الصادرات الامريكية ويحفز الانتاج داخل الولايات المتحدة. واستخدام الدولار كوحدة لتقييم سعر البترول والمواد يجعل انخفاض الدولار تخفيضا للأثمان الحقيقية لهذه المواد بنفس نسبة انخفاض الدولار.

وهذا يقلل تكلفة الانتاج في الدول الصناعية من جانب، كما يقلل من عبء الدين الفدرالي الخارجي بالنسبة للولايات المتحدة ولكنه يضر الدول المنتجة للبترول بتقليل قيمة عائداتها.

● ولعبة ترتيب اسعار صرف العملات بالنسبة للدولار جاءت مع تنصيب الدولار عملة دولية على عرش النظام النقدي العالمي، وعندما رفعت دول (الاوبك) سعر النفط في ١٩٧٤ خفضت واشنطون قيمة الدولار، وخسرت دول النفط نسبة كبيرة من قيمة اموالها المودعة بالدولار في البنوك الاجنبية وعندما نقصت اسعار النفط زادت واشنطون سعر الفائدة وبالتالي سعر الدولار، حتى تجاوز سعر الفائدة ٢٢٪ في مطلع الثمانينات وتدفقت رؤوس الاموال على الولايات المتحدة التي استخدمتها لتمويل انتعاشها الاقتصادي وحرمت منها الدول الأخرى التي وجدت صعوبة في الحصول على المال اللازم للاستثمار فتعثرت فيها التنمية، بينما ازدهر الاقتصاد الامريكي برغم العجز الكبير في الموازنة الامريكية وفي الميزان التجاري، ان هذه السياسة مكنت واشنطون من تمويل الانفاق الهائل على التسلح (٢٨٩ مليار دولار ميزانية الدفاع لعام ١٩٨٧) وتقديم المعونات الكبيرة لحلفائها في انحاء العالم، والحقيقة ان الولايات المتحدة هي اكبر دولة مدينة في عالمنا اليوم فهي

---

(١) طبقا للاحصاءات الرسمية الامريكية لعام ١٩٨٥ كان هناك ١٤٩ مليار دولار متداولة داخل الولايات المتحدة و١٦٧ مليار دولار خارج نطاق التداول و٢٠ مليار دولار احتياطي.

مدينة بـ ٢٦٤ بليون حسب احصاءات ١٩٨٧، ولكن المدين يكون في موقف افضل من الدائن عندما يكون في مقدرة المدين التحكم في سعر صرف العملة التي يسدد بها ديونه، وهذه العملة هي الدولار الذي تحدد قيمته واشنطون.

● ويمكن القول ان تلك الظاهرة ليست جديدة؛ فقد لاحظ الخبراء الخلل في ميزان المدفوعات الامريكي منذ الخمسينات واخذ العجز يتزايد عاما بعد عام، وكانت الحكومة الامريكية تقوم ببيع كميات من احتياطي الذهب الذي تحتفظ به ومن العملات الاجنبية القابلة للتحويل، وفي عام ١٩٦٩ كانت هذه الاجراءات تغطي ٢٠٪ فقط من العجز، والبقية تغطيها القروض القصيرة الأجل. واخذ حجم تلك القروض يتصاعد سنة بعد اخرى، من ٧,٦ مليار دولار عام ١٩٤٩ الى ٤٥,٨ مليارات عام ١٩٦٩ الى ٢٠٧,٢ ملياراً في ١٩٧٨[٢].

وقد ارتفعت الاستثمارات الاجنبية في الولايات المتحدة خلال ١٩٨٦ ارتفاعا قياسيا فقد بلغت ٣١,٥ مليار دولار بزيادة ٣٦,٢٪ عن عام ١٩٨٥ و٤ أضعاف قيمتها لعام ١٩٨٣، ونسبة كبيرة من هذه الاستثمارات تستخدم في شراء شركات امريكية.

يقول فيل جرام السناتور الامريكي واستاذ الاقتصاد في جامعة تكساس في مقال نشره في صحيفة الواشنطون بوست في ٥ مايو ١٩٨٧:

« مع ان الخلل في الميزان التجاري الامريكي تضاعف ٤ مرات منذ ١٩٨٢ فان الولايات المتحدة نجحت في خلق فرص عمل جديدة اسرع

(٢) يقول بول سويزي وهاري مكدوف في دراسة عن أزمة الرأسمالية العالمية الراهنة (ترجمة سعيد محيو ــ بيروت ١٩٨٣) « إن النظام النقدي الراهن يمنح الولايات المتحدة درجة من المرونة تفوق قدرة أي دولة رأسمالية أخرى على التحمل، فالاقتصاديات الأوربية واليابانية تقوم في الواقع بدفع فروق العجز الامريكي وبالتالي تساهم بدرجة كبيرة في مستوى المعيشة المرتفع للولايات المتحدة ».

ثلاثة اضعاف من اليابان واسرع بعشرين مرة من قدرة المانيا الغربية، وهما الدولتان اللتان لديهما فائض تجاري كبير لصالحهما في تجارتهما مع الولايات المتحدة، لقد خلقت الولايات المتحدة ١١ مليون وظيفة وهذا اكثر من مجموع فرص العمل التي حققتها اليابان واوربا مجتمعة خلال العقد الماضي ونقصت نسبة البطالة في الولايات المتحدة بنسبة ٢٨٪ خلال السنوات الاربع الماضية بينما ارتفعت بنسبة ١٧٪ في اليابان و٢٠٪ في دول السوق الاوربية، وليس صحيحا ان قطاع الانتاج الصناعي تقلص فهو ما زال يشكل اكثر من خمس الناتج القومي وهي نسبة لم تتغير خلال نصف القرن الماضي، والحقيقة ان فرص عمل جديدة نشأت بين ١٩٨٢ و١٩٨٦ في القطاع الصناعي بلغت ٤٠٦,٠٠٠ وظيفة وزادت دخول العاملين بنسة ٦٪ في تلك الفترة. فالزعم باننا عبر التمسك بالتجارة الحرة تحملنا فقدان العمالة وانحدار مستوى المعيشة هو محض افتراء..)

ان ما يهمنا في شرح التحولات الاقتصادية السالفة ان النمو الاقتصادي في دول العالم الثالث صار مرتبطا بعوامل دولية وليست محلية. وان مجرد زيادة الانتاج للتصدير لا يؤدي حتما لزيادة دخل تلك الدول او تحسين مستوى شعوبها.. فدول كثيرة زادت انتاجها من السكر او الكاكاو او القطن او خام النحاس لتحصل على عائد اقل..

وليس مصادفة ان العلاج الذي يصفه صندوق النقد الدولي الذي تسيطر عليه واشنطون للدول النامية يطلب باستمرار ضغط الانفاق الحكومي وتخفيض قيمة العملة المحلية وتصفية القطاع العام ورفع اي دعم عن السلع الاستهلاكية الضرورية ومواصلة تسديد الديون الخارجية وفوائدها للحصول على المزيد من القروض، وقد فشلت هذه الاجراءات في وقف تدهور اقتصاد اقطار العالم الثالث التي تبنتها وادت لمزيد من الازمات الاقتصادية والسياسية.

ملامح عامة:

ويمكن ملاحظة ملامح عامة للأزمة التي تعاني منها بلدان العالم الثالث تتمثل في الاتي:

ـــ الغلاء والتضخم المتصاعد باستمرار.
ـــ ازدياد حدة الفوارق الطبقية والتوترات الاجتماعية.
ـــ تخلف مستويات الانتاج وبطء معدلات النمو.
ـــ تدهور الخدمات والمرافق.
ـــ الخلل الكبير في ميزان المدفوعات (زيادة الواردات ونقص الصادرات)
ـــ انتشار العطالة والهجرة من الريف، وهجرة المتعلمين والعمال المهرة لخارج البلاد.
ـــ فقدان استقلال القرار السياسي والاقتصادي والتبعية لنفوذ الدول الكبرى.
ـــ زيادة المديونية الخارجية والعجز عن تحمل اعبائها.
ـــ التدهور المستمر في القدرة الشرائية للعملة الوطنية وهبوط قيمتها بالنسبة للعملات الدولية القابلة للتحويل.

هذه هي الآثار السلبية لانخراط دول العالم الثالث في علاقات غير متكافئة مع السوق الرأسمالي العالمي وسعي الدول المتقدمة لحل مشاكلها وتصدير أزماتها للبلدان الأقل نمواً.

لقد استطاع (سلاح الدولار) ان يحقق ما عجزت عنه الجيوش والاساطيل المجهزة بأحدث الاسلحة التي حاولت قمع حركة التحرر والاستقلال الوطني في الفترة التي اعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية.. وتم تركيع الشعوب التي نالت استقلالها حديثاً دون اطلاق رصاصة واحدة، وهكذا جرى تحجيم الثورة التحررية في العالم الثالث وتهميش دور اغلبية سكان الكرة الارضية.

وقد زاد من عمق الانقسامات الطبقية والعرقية والطائفية في بلدان العالم الثالث تصعيد الصراع لجمع المال بأية طريقة وظهور فئات طفيلية شرسة وانهيار القيم التقليدية في ظروف التفكك الاجتماعي، مما اوجد مناخاً صالحا لنمو كافة الدعاوى المتطرفة وانتشار العنف كما ساعد عملاء الاستعمار

الجديد في مناطق كثيرة على الانحلال وترويج المخدرات عن عمد للفتك بالشباب. لقد كانت انتكاسة الثورة في العالم الثالث هي ابرز ملامح عقد الثمانينات.

مشاكل الدول الشيوعية:

بالرغم من مزايا التخطيط الاقتصادي وتملك الدولة لوسائل الانتاج وما يضمنه من استيعاب العمال وغياب البطالة والتضخم وتوفير الضمانات الاجتماعية للعاملين، فان النظم الشيوعية ظلت تعاني من مشاكل عديدة تمثلت في:

ــ ضعف معدلات النمو الاقتصادي بعد فترة ازدهار قصيرة بسبب التعامل مع سوق ضيقة نسبياً.
ــ التخلف التكنولوجي واتساع الشقة بين البحث العلمي وتعميم تطبيقاته.
ــ تفاقم البيروقراطية التي صارت عقبة في طريق التحديث.
ــ ظهور فئات مميزة بين التكنوقراط والاداريين وانتشار الفساد في بعض القطاعات.
ــ صعوبة محاربة السلبيات بسبب المركزية المفرطة ومصادرة حرية الرأي.

● وقد انتشرت في كثير من الدول الشيوعية في السبعينات ظاهرة الولع الشديد بالبدع والممارسات الواردة من الغرب وتقليد النمط الامريكي في السلوك بين الشباب مما يدل على فراغ روحي عجزت عن معالجته الاجهزة الادارية والتعليمية القائمة.

● وقد كان من علامات الازمة في المعسكر الشيوعي اضطرار السوفييت للتدخل عسكريا في المجر عام ١٩٥٦ وفي تشكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ واعلان الاحكام العرفية في بولندا لمواجهة حركة (التضامن) المعارضة في عام ١٩٨١، واتخاذ رومانيا خطا سياسيا مستقلاً لحد ما عن حلف وارسو منذ ١٩٦٦، وقطع العلاقات بين البانيا والاتحاد السوفيتي منذ ١٩٦١.

● غير ان اخطر انشقاق في المعسكر الشيوعي بدأ منذ ١٩٥٩ بظهور

خلافات عميقة بين موسكو وبكين وقد تفاقمت في مارس ١٩٦٩ وتصاعدت الى اشتباكات مسلحة عبر نهر اوسوري عند الحدود بين البلدين في الشرق الاقصى، كما انعكس الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي على العلاقات بين الصين وفيتنام حيث توترت العلاقات بين الحلفاء السابقين، وفي عام ١٩٧٩ نشبت معارك كبيرة على الحدود بين الصين وفيتنام عقب دخول قوات فيتنام وتجددت المعارك في السنوات التالية.

ويمكن القول بأن الخلاف بين روسيا والصين كان واحدا من اهم العوامل التي اتاحت للمعسكر الرأسمالي الغربي بزعامة الولايات المتحدة انتزاع زمام المبادرة في السياسة الدولية من المعسكر الشيوعي وكانت فترة الخمسينات وجزء من عقد السبعينات قد شهدت تصاعد المد الوطني التحريري في المستعمرات السابقة وبروز حركة عدم الانحياز والحياد الايجابي ونشوء تحالف ضمني بين الدول الحديثة الاستقلال وحركات التحرير الوطني وبين المعسكر الشيوعي مما كان له اثره في مقاومة حلقة الاحلاف العسكرية التي حاولت الولايات المتحدة من خلالها تطويق الاتحاد السوفيتي والصين.

وقد جاء كسر طوق الاحلاف في الشرق الاوسط عندما اندلعت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق فأخرجت بغداد من حلف بغداد، وكانت مصر في عهد عبد الناصر قد عقدت صفقة الاسلحة السوفيتية عام ١٩٥٥ وتعرضت للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وصمدت في وجهه واشعلت نيران الثورة ضد النفوذ الاستعماري الغربي من الخليج للمحيط.

مشكلة التغيير السلمي

يمكن القول ان السبب الرئيسي في المشاكل التي تعانيها الدول الشيوعية بما فيها الاتحاد السوفيتي والأزمات التي تعرضت لها المجر وبولندا وتشكوسلوفاكيا انما ترجع لغياب الصيغة المناسبة لانجاز التغيير المطلوب في النظام الحاكم في حدود اصلاح النظام وليس الاطاحة به، فبسبب الطبيعة الشمولية للحكم الشيوعي يصعب ادخال تعديلات جوهرية على النظام الاقتصادي

والسياسي تسمح بنمو القوى الانتاجية بدون المجازفة باحياء الدعاوى الرأسمالية وهز دعائم استمرار النظام الشيوعي نفسه.. فأي حركة معارضة في النظم الشمولية لا بد ان تصبح حركة معادية لاسقاط ذلك النظام واقتلاعه.

● وبينما استطاعت الرأسمالية منذ وقت مبكر ايجاد الصيغة الملائمة لانجاز التغيير المطلوب في حدود النظام الرأسمالي القائم ومن خلال صيغة التعدد الحزبي والنظام البرلماني فان النظم الشيوعية ما زالت بعيدة عن ايجاد صيغة مماثلة، ولهذا فشلت الدعوة « لشيوعية ذات وجه انساني » في أوربا.. وتراوحت مسيرة تلك النظم بين ظهور زعماء شيوعيين يمارسون النقد الذاتي ويقومون باصلاحات محدودة وبين فترات من الجمود والتزمت العقائدي وحملات التطهير والركود الاقتصادي، فالنقد الذاتي لا يمكن ان يكون بديلاً لتعدد الآراء، والرقابة الوحيدة الفعالة هي الرقابة التي تمارسها اجهزة مستقلة.

● وقد كانت المبادرات الاصلاحية التي جرت في الدول الشيوعية تقوم على استعادة بعض ملامح النظم الرأسمالية مثل إدخال حافز الربح او المكافآت لمن يزيدون الانتاج من العمال والمزارعين، او السماح بانتاج السلع للسوق المحلية خارج المشروعات الحكومية، او ترك عوامل العرض والطلب تحدد اسعار السلع، او الدخول في مشروعات مشتركة مع المؤسسات الرأسمالية الأجنبية، او قبول القروض الخارجية لإقامة مشروعات جديدة وتسديد قيمتها من تصدير انتاج تلك المصانع.. او اتاحة حرية اوسع في التصرف لمديري المؤسسات الحكومية في تخطيط الانتاج والتعاقد على توريد الخامات.. بالاضافة لمسألة نقل التكنولوجيا الحديثة لتطوير عمليات الانتاج في مؤسسات الدول الشيوعية ودراسة اساليب الانتاج في مصانع اليابان والولايات المتحدة والمانيا الغربية.

● ولكن هذه (الاصلاحات) ايا كانت لا تمس جوهر النظام الشيوعي ولا تعالج مشاكله الرئيسية التي تتمثل في بطء النمو وسيطرة البيروقراطية وصعوبة التحديث والتغيير وانفراد قلة باحتكار مواقع السلطة، وهذا يجعل

عملية التحول والتكُيف مع المستجدات السياسية والاقتصادية عملية عسيرة ويعطي التغيير مظهراً انقلابياً.

● وقد فتح موت ستالين في ١٩٥٣ الباب امام التغييرات التي جاء بها خروتشوف عام ١٩٥٥ وانتقاده للسياسة الستالينية كما فتح موت برزنيف في ١٩٨٢ الباب امام اصلاحات ميخائيل غورباتشوف في ١٩٨٦، وكانت وفاة ماو تسي تونق في ١٩٧٦ مقدمة لتصفية التيار اليساري المتطرف في الصين الذي قادته ارملته حيث تم اعتقالها مع مايسمى (عصابة الاربعة) وجرت محاكمتهم في عام ١٩٨١، مما مهد الطَريق لَصعود نجم دينج شياوبنغ وسياساته الداعية للانفتاح على البلدان الرأسمالية وتحسين العلاقات مع واشنطون وطوكيو والتحول من اليسار لليمين، ولكن هذه السياسة تبدو اليوم معرضة للانقلاب عليها من جانب المعارضين داخل الحزب الحاكم.

● واذا كانت الدول الشيوعية لا تعاني من امراض النظم الرأسمالية الاساسية مثل التضخم والبطالة فإن بعض تلك الدول الاشتراكية تعاني من التضخم والغلاء وتراكم الديون وهي بالتحديد الدول التي توسعت في علاقاتها التجارية مع السوق الرأسمالية مثل رومانيا ويوغوسلافيا وبولندا.

● وما زال البحث جاريا عن نظام اقتصادي يجمع بين مزايا الرأسمالية في توفير سوق عالمي عريض وانتاج يفتح المجال امام روح المبادرة والتنافس والابتكار ويلبي حاجات واذواق مختلف الفئات ويقوم على الحرية.. وبين مزايا الاشتراكية في التخطيط العلمي والقضاء على البطالة والغلاء وتقديم الضمانات الاجتماعية والخدمات الأساسية للعاملين.. وكفالة مستوى معيشة لائق لمجموع الشعب.. وبعض الدول ــ خاصة في العالم الثالث ــ تحاول المزج بين اسوأ ما في الرأسمالية من استغلال وانانية وتطفل وجشع وتجاهل لمصالح المنتجين الحقيقيين وبين اسوأ ما في الاشتراكية من سيادة الرأي الواحد والدكتاتورية والبيروقراطية.. لتزعم ان هذا هو النظام الأمثل النابع من الواقع ثم تطلق عليه اسماء براقه لاخفاء طبيعته الاستبدادية المعادية للشعوب!!

الفصل العاشر

ملامح الوضع الدولي الراهن

العمليات الارهابية:

كثرت حوادث العنف السياسي والاعمال الارهابية في العديد من دول العالم المتقدمة والمتخلفة على السواء. وتشمل العمليات الارهابية الاغتيال وخطف الاشخاص واتخاذهم رهائن ونسف المباني وزرع القنابل في الاماكن المأهولة والمواقع العسكرية والحكومية وتعطيل سبل المواصلات وعمليات القتل العشوائي.

● والمجتمعات الصناعية المتقدمة تتضمن العديد من الاهداف الصالحة لهجمات الارهابيين من مخازن الوقود ومحطات الطاقة والسدود ومراكز المواصلات والمطارات والمصانع وناطحات السحاب وطائرات الركاب والقواعد العسكرية ومراكز البحث العلمي والمصارف.. الخ.

● ان الارهاب يمكنه شل الدولة الحديثة بسلسلة من عمليات التخريب[١] والقتل العشوائي لبث الذعر (كما حدث في فرنسا في عامي

---

(١) * The age of Terrorism, By Walter Laquer, Weidenfeld and Nicholson (London 1987)

١٩٨٧/١٩٨٦) وكما يضع التطور التكنولوجي في يد الدولة وسائل لمكافحة الارهاب فهو يعطي الارهابيين ايضا ادوات مساعدة لعملياتهم مثل المتفجرات التي يسهل اخفاؤها وادوات تزييف الوثائق والتنكر والتحكم عن بعد في القنابل وتوقيت انفجارها والمراقبة الليلية واجهزة التنصت.. الخ بل من المحتمل ان يستخدم الارهابيون اسلحة كيماوية او ذرية او بكتريولوجية في المستقبل بغرض الابتزاز والضغط على الدول وتعزيز اسلوب الاكراه وزيادة حدة الاستقطاب في المجتمع واظهار عجز السلطة.

ويمكن تقسيم عمليات الارهاب حسب دوافعها الى الانواع التالية:

● عمليات ارهابية تقوم بها منظمات تمثل اقليات عرقية او طائفية او قومية او مذهبية مثل: منظمة الجيش الجمهوري في ايرلندا، منظمة الباسك في اسبانيا (ايتا)، منظمات التاميل في سريلانكا، المنظمات الكردية في تركيا والعراق وايران، منظمات الارمن في تركيا، منظمة السيخ في الهند، المنظمات الفلسطينية المتطرفة في الشرق الاوسط، المنظمات اليسارية المتطرفة في غرب اوربا وفي امريكا اللاتينية، مثل الالوية الحمراء في ايطاليا، والعمل المباشر في فرنسا وبادرماينهوف والجيش الاحمر في المانيا الغربية والخلايا الشيوعية المقاتلة في بلجيكا..

● عمليات ارهابية تقوم بها اجهزة سرية تابعة لدول معينة لخدمة مصالح واهداف تلك الدول حيث تقوم بتصفية خصومها السياسيين او بتشجيع العناصر المناوئة وتدريبها وتمويلها للقيام باعمال ارهابية في قطر آخر، وهناك صلات وثيقة بين اجهزة مخابرات بعض الدول والمنظمات المسلحة المعارضة مثل العلاقة بين المخابرات الامريكية والكونترا، وبين مخابرات جنوب افريقيا ومنظمة رينامو المعادية لحكومة مابوتو في موزمبيق، واحيانا يخترق عملاء اجهزة الدول الكبرى المنظمات الارهابية السرية ويوجهونها لمآربهم.

● والحقيقة ان دولا كثيرة تستخدم الارهاب أداة ـــ ضمن ادوات اخرى مثل الحرب النفسية والحصار الاقتصادي ـــ لخدمة اهدافها، وخاصة

كجزء مكمل لعمليات زعزعة نظم الحكم التي تسلك خطاً معادياً لتلك الدول، فالارهاب صار وسيلة من وسائل الاستراتيجية غير المباشرة ومنظومة العمليات التي تخدمها.

واذا كانت الدول المتقدمة لديها أهداف ثمينة تصبح (رهائن) لدى الارهابيين، فان الدول المتخلفة بحكم ضعف اجهزتها وقلة امكانياتها يمكن ان تصاب بالشلل في مواجهة عمليات الارهاب التي يمارسها عدد قليل من المحترفين الذين يجدون دعما خارجيا.

● وقد كان رد النظم الدكتاتورية في امريكا اللاتينية على عمليات العنف التي نظمتها الحركات الثورية هو تشكيل فرق الاعدام الحكومية التي نشطت في الارجنتين خلال الحكم العسكري، كما واصلت نشاطها في اغتيال المعارضين في السلفادور وجواتيمالا والبرازيل وكولومبيا، فالإرهاب والإرهاب المضاد أصبحا طابع السياسة في تلك الدول.



مشهد مألوف في بلدان العالم الثالث



الارهاب الحكومي: القهر ومصادرة حرية الرأي طابع الحياة في معظم أقطار العالم الثالث



الارهاب الأكبر ــ خطر الاسلحة الذرية والاشعاعات الضارة..



تحذير من الجيش الجمهوري الايرلندي للمتعاطفين معه بعدم إفشاء أسراره.



أندرياس بادر وأورليك ماينهوف زعيما جماعة بادرماينهوف في المانيا الغربية المتهمين بتدبير عمليات ارهابية.

● ويجب التمييز بين نوعين من الارهاب. اي استخدام العنف من اجل تحقيق اهداف سياسية ـــ فهناك نوع تستخدمه حركات التحرير ومناهضة الدكتاتورية ضد نظم قهرية لا تتيح اي قدر من حرية التعبير وتمارس القمع ضد الشعب، فهي لا تدع طريقا مفتوحا امام حركة الجماهير سوى طريق المقاومة واسقاط النظام الاستبدادي بالقوة.

وهناك نوع آخر من الارهاب وهو ما تمارسه الدول ضد بعض الافراد او المجموعات وهو تعبير عن اهدارها لحقوق الانسان.

لأن المفروض ان الدولة مؤسسة تلتزم بالقانون، فاذا اتخذت أساليب القتل والخطف والتعذيب وانغمست في اعمال خارج القانون فانها تسلك مسلك العصابات وتفقد شرعيتها.

● وتحاول دائما القوى الاستعمارية المعادية للشعوب دعوة الشعوب لنبذ العنف وعدم اللجوء للقوة، وهذا ما تشترطه جنوب افريقيا لاطلاق سراح مانديلا، وما تشترطه الولايات المتحدة للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية، اما قصف اسرائيل لمخيمات اللاجئين واعتقال السكان العرب بالجملة في الضفة الغربية واما سجن الاطفال وتعذيب المعتقلين في جنوب افريقيا واغتيال المناضلين فهذا ليس ارهابا بل (تهدئة) او (اقرار للأمن).. ودفاع (مشروع) عن الاستعمار الاستيطاني؟!

● ومع ذلك، يمكن القول ان اعمال العنف ضد المدنيين واعمال القتل العشوائي للأبرياء هي اعمال ارهابية لا يمكن تبريرها ونتائجها السياسية ضارة بالنسبة للجانب الذي يقوم بها. فبالنسبة للثوريين تعتبر العمليات الارهابية اعمالا معزولة عن الجماهير تتم عن اليأس من كسبها وعدم الثقة بها، ونتائجها مؤقتة، وتعتبر سلبية على المدى البعيد، لأنها تنفر الشعب من الحركات الثورية. وبالنسبة للحكومات فأعمال الارهاب التي ترتكبها اجهزتها توحد صفوف المعارضين لها وتزيد نار المقاومة والتصميم على النصر اشتعالا. فالحصيلة النهائية للارهاب انه يهزم غرضه، وهو ليس بديلا عن العلم السياسي

وسط الجماهير لرفع وعيها وتوحيد إرادتها وتنظيم صفوفها حول أهداف واضحة.

التدخل العسكري المباشر:

من الظواهر التي أفرزتها (الحرب بالوكالة) والحروب الاقليمية التدخل من دولة مجاورة في شؤون دولة أخرى عصفت بها رياح الحرب الاهلية او عانت من التصدع في ظروف أزمة داخلية، وفي أحوال كثيرة يقوم طرف من اطراف الصراع في الحرب الاهلية بالاستنجاد بقوة خارجية يصبح فيما بعد التخلص منها صعبا.

وهناك نماذج عديدة خلال العقدين ١٩٧٠ - ١٩٨٦

- ففي ديسمبر ١٩٧١ تدخلت الهند في باكستان الشرقية لحسم الصراع لصالح الانفصاليين الذين اسسوا دولة بنقلاديش، وكانت مبررات الهند ان عدد اللاجئين من باكستان بلغ اكثر من ١٠ ملايين نسمة بحيث لم يعد ممكنا السكوت على فظائع الجيش الباكستاني ضد اهالي بنقلاديش وقد ادى تدخل الهند لتغيير موازيين القوى في شبه القارة الهندية لصالح نيودلهي وجاء بعد عقد معاهدة صداقة بين الهند والاتحاد السوفيتي.

- في ١٩٧٦ تدخلت القوات السورية في لبنان بتأييد من الجامعة العربية لوقف الحرب الأهلية في لبنان وقد شاركت دول عربية عديدة بقوات رمزية في (قوات الردع العربية) ولكن الحرب الاهلية لم تتوقف في لبنان.

- في ١٩٧٨ تدخلت قوات تنزانيا في اوغندا لمساعدة قوات الثوار ضد حكم عيدي إمين واستطاعت القوات المشتركة اسقاط نظام عيدي امين ولكن الاحوال لم تستقر في اوغندا واوشكت تنزانيا على الافلاس.

- كما شهد عام ١٩٧٨ تدخل القوات الفيتنامية في كمبوديا ومساعدتها لاقامة حكومة جديدة في بنوم بنه، وكانت حكومة بول بوت قد ارتكبت مذابح بشعة وفتكت بعدة ملايين من السكان.

وكان التدخل نسبيا مباشراً في نشوب الحرب بين فيتنام والصين.

● في ١٩٧٩ تدخلت القوات السوفيتية في افغانستان لدعم الحكومة الشيوعية ضد القوى المعادية لها، ولكن الحرب الاهلية تصاعدت واتسع نطاقها وساعدت واشنطون (المجاهدين).

● في ١٩٧٩ اشتبكت القوات العراقية مع ايران في ظروف الثورة في ايران واضطراب الاوضاع والتحرشات من الجانبين التي رافقت ذلك، وبدأت حرب الخليج التي استمرت سنوات.

● في ١٩٨٠ تدخلت القوات الليبية في تشاد بناء على طلب المساعدة من احد اطراف الحرب الإهلية واستعان الجانب الآخر بالقوات الفرنسية واستمرت الحرب في تشاد سنوات.

● في ١٩٨٢ تدخلت السنغال في غامبيا لقمع حركة ثورية وانتهى التدخل بقيام وحدة بين البلدين وفقدت غامبيا استقلالها.

● في ١٩٨٣ حدث صراع في جزيرة غرينادا ادى لاعدام رئيس الحكومة وقامت الولايات المتحدة بغزو الجزيرة في اكتوبر ١٩٨٣ ومهدت لقيام حكومة مؤيدة للغرب.

من هذا نرى ان سياسة (الباب المغلق على الجيران) لم يعد قاعدة ثابتة. خاصة اذا كان الجار اقوى نسبيا واصبح يعطي نفسه الحق في التدخل في شؤون جاره اذا سمع استغاثة او وجد الفرصة مواتية لتغيير موازين القوى لصالحه واطمأن الى سكوت المجتمع الدولي او انشغاله او عدم اكتراثه لما يجري. فاحترام السيادة الوطنية وحسن الجوار لم يعد من المبادئ الراسخة في وقت السلم، فقد اصبح من المألوف استخدام أراضي بعض الدول قواعد لتشجيع الحركات المعادية في الدول المجاورة وهذا يعطي بدوره الطرف الآخر الحق في اختراق الحدود ومطاردة المتمردين والمعارضين وهو ما يسمونه (بالحق في التعقب الساخن) (Hot-Pursuit)، ومع

اتساع اشكال الحروب المحلية والحروب بالوكالة وتورط قوى كبرى فيها، يزيد الميل للتدخل في شؤون الدول الاخرى سواء بوسائل الضغط الدعائي والاقتصادي او باستخدام اساليب الحرب غير المباشرة او بالتدخل العسكري السافر.

حصار بيروت

اطول مواجهة بين العرب واسرائيل تجلت في حرب ١٩٨٢ في لبنان. ففي يونيو ١٩٨٢ حشدت اسرائيل ٩٠ ألف جندي (تم تعزيزهم فيما بعد حتى بلغوا ١٢٠ ألفا) مع ١٦٠٠ دبابة و ١٢٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ١٢٠٠ شاحنة ومعظم سلاح الطيران الاسرائيلي حيث شاركت ٦٣٠ طائرة مقاتلة قاذفة في الطلعات الهجومية التي بلغ عددها ٣٠٠٠٠ يوميا الى جانب استخدام سبعة الوية مدفعية وراجمات الصواريخ وتشكيلات السلاح البحري اي ان اسرائيل نزلت بكل ثقلها لغزو لبنان ولطرد المقاومة الفلسطينية منه. فهذه الحرب اعتبرها باروخ كيمرلنق اول حرب — منذ مايو ١٩٤٨ — تواجه فيها اسرائيل عدوها الحقيقي وخصمها التاريخي — الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية.

وقد وصلت القوات الاسرائيلية الى بيروت وفرضت عليها حصاراً استمر ٨٢ يوماً، قاتلت فيه المقاومة الفلسطينية ومعها حلفاؤها اللبنانيون ببسالة فائقة قتالاً ضارياً ولم تتحرك الجيوش العربية لنجدة بيروت، وهي اول عاصمة عربية تطوقها جيوش اسرائيل وتدكها بالطائرات والمدفعية لمدة تزيد عن شهرين ونصف.

● وفي ٢١ أغسطس ١٩٨٢ ودعت بيروت الدفعة الاولى من رجال المقاومة الذين غادروا بيروت بأسلحتهم الشخصية، وادعى الجنرال شارون انه حقق انتصاراً باهراً بينما لم يسلم الفلسطينيون بالهزيمة وكان مشهد رحيلهم تحت الاشراف الدولي من بيروت مشهداً مؤثراً. وكان صمت الحكومات العربية فضيحة كبرى، ومع ذلك فقد فشل الغزو الاسرائيلي

في تحقيق أهدافه السياسية كما فشل في تحقيق اكثر اهدافه العسكرية.

فالاهداف السياسية لما اسمته اسرائيل (حرب سلامة الجليل) ولقيت خلالها تأييد واشنطون كانت كالآتي:

ـ ضم دول عربية اخرى مثل الاردن وسوريا الى قبول التفاوض مع اسرائيل وقبول تسوية نهائية.

ـ قبول قيام تحالف بين اسرائيل والدول المجاورة لها في ظل نظام ترعاه واشنطون طبقا لما اسماه الكسندر هايج وزير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الحين بالاجماع الاستراتيجي لدول المنطقة.

ـ الضم الفعلي للضفة الغربية وقطاع غزة بعد اضعاف معنويات الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة نتيجة لسحق المقاومة في لبنان.

ـ اعادة رسم الخريطة السياسية الاقليمية في المنطقة العربية بتشجيع تفتيت لبنان والدول المجاورة الى دويلات طائفية متنازعة بحيث تبقى اسرائيل هي الكيان الوحيد المتماسك في المنطقة بفضل الدعم الاميركي.

اما الاهداف المعلنة في بداية الغزو فكانت:

● ابعاد المقاومة الفلسطينية من جنوب لبنان (مسافة ٤٠ كيلو مترا) لتحقيق سلامة الجليل، واستكمال النظام الامني لاسرائيل، وتعزيز قدرة الردع الاسرائيلية، وضرب المقاومة الفلسطينية وحلفائها بما يحقق تغيير التوازن في لبنان، واقامة حكومة في بيروت موالية لاسرائيل، وتقليص النفوذ السوري وتطويق دفاعات سوريا في الجولان، هذا بالاضافة للتشكيك في قدرة السوفييت على تقديم العون والحماية لاصدقائهم في المنطقة العربية.

● نجحت اسرائيل جزئيا في اضعاف الوجود الفلسطيني في لبنان كما ان وقوف الدول العربية موقفا سلبيا اثناء حصار بيروت ترك آثارا سيئة بالنسبة لسكان الارض المحتلة بوجه خاص. ولكن اسرائيل في حربها ضد الفدائيين في لبنان خاضت اطول حروبها وتحملت اكبر خسائرها وبعد ما يقرب من ثلاث سنوات اضطرت القوات الاسرائيلية للانسحاب من لبنان بعد ان انهكت قواها، وان ظلت تحتفظ بالشريط الحدودي في الجنوب.

● تفرق الفلسطينيون في السودان واليمن وتونس والجزائر.. ولكنهم بعد فترة أخذوا يعودون بالتدريج للبنان ويعززون وجودهم العسكري مما ادى لبداية مرحلة اخرى في حرب المخيمات منذ ١٩٨٥.

سياسة التحدي

شهد النصف الأول من عقد الثمانينات تعثر الحوار بين الشرق والغرب واتخاذ مواقف المجابهة والتحدي كما اشتد سباق التسلح بعد رفض ادارة ريجان التوقيع على معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية ــ المرحلة الثانية ــ واعتزامها تجاوزها، واعلنت ادارة ريجان قيام التحالف الاستراتيجي بين واشنطون وتل ابيب مع وصول ريجان للبيت الابيض، وتأكيدا لعودة روح التحدي تدخلت الولايات المتحدة عسكريا في جرينادا واعتقلت حكومتها وطردت الكوبيين في ١٩٨٣ كما اعلنت انها لن تقدم معونة لأي حكومة تعارض سياستها او تصوت ضدها في الأمم المتحدة، وخفض ريجان مساهمة بلاده في الأمم المتحدة بنسبة الثلث، كما اعلن انسحاب الولايات المتحدة من منظمة اليونسكو لأن واشنطون تعتبر سياستها في عهد مختار امبو معادية لها (في ١٩٨٥) وحرضت بريطانيا وسنغافورة على الانسحاب من اليونسكو. وزادت واشنطون مساعداتها للقوى التي تحارب الشيوعية فقدمت دعما كبيرا لحركة (الكونترا) في نيكاراجوا وعندما حدد الكونجرس حجم المساعدات سعت ادارة ريجان للحصول على الاموال بطرق ملتوية وتورطت في ١٩٨٥ في فضيحة بيع اسلحة لايران لتستخدمها في حربها ضد العراق، بينما كانت واشنطون تزعم ان ايران هي مركز للارهاب الدولي وتحرض الدول الاخرى على مقاطعتها، وقد انكشف في التحقيقات التي جرت في ١٩٨٧ امام الكونجرس ان اسرائيل لعبت دوراً رئيسياً في هذه الصفقة وان حصيلة بيع هذه الاسلحة استخدمت لتمويل الحركات المعادية لحكومة نيكاراجوا بالاضافة لمساهمات جمعت من بعض الدول المصدرة للبترول الوثيقة الصلة بواشنطون. وقد زادت واشنطون معونتها للمجاهدين المسلمين في افغانستان، كما استقبل ريجان سافمبي زعيم حركة يونيتا التي تحمل السلاح ضد

حكومة انجولا والذي حصل على مساعدات بمئة مليون دولار، وحصلت حركة (رينامو) المعادية لحكومة موزمبيق على دعم من جنوب افريقيا وامريكا لمواصلة نشاطها في تخريب الاهداف الاقتصادية وضغطت واشنطون على موزمبيق للتفاوض مع رينامو بعد نجاح المؤامرة التي ادت لسقوط طائرة سامورا ماشيل ومصرعه في عام ١٩٨٦، وكان يعارض التفاوض مع رينامو.

● وفي يناير ١٩٨٥ اعلن رسميا عن (مبادرة الدفاع الإستراتيجي) التي قدمها الرئيس ريجان وعرفت فيما بعد بحرب النجوم.. وكان السوفييت في عهد أندروبوف قد أعلنوا انسحابهم من محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية احتجاجا على إصرار واشنطون على نصب صواريخ متوسطة المدى في أوربا الغربية.

وتقوم مبادرة ريجان على اقامة محطات فضائية مزودة بأجهزة الكترونية للرصد والأستشعار عن بعد مهمتها تدمير الصواريخ حاملة الرؤوس الذرية قبل وصولها لاهدافها باستخدام اشعة ليزر او جسيمات مشحونة او اشعاعات اخرى، واعتمدت الادارة الامريكية ٢٦ مليار دولار للابحاث المتصلة بحرب النجوم.

● وفي قمة ريكافيك التي التقى فيها ريجان مع غورباتشوف في ١٩٨٦ وضع السوفييت وقف العمل في مشروع حرب النجوم شرطا للاتفاق على نزع الصواريخ المتوسطة المدى من اوربا، وقالوا انها خرق لمعاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية للمرحلة الاولى والبند الخاص بعدم تطوير نظم الدفاع ضد الصواريخ الهجومية.

ولكنهم فيما بعد قبلوا الفصل بين بحث نزع الأسلحة الذرية من أوربا واستمرار الأبحاث بشأن حرب النجوم.

● هذا بينما أكد الخبراء الامريكيون ان مشروع ريجان لحرب النجوم ليس خياليا لأنه اعاد السوفيت لمائدة التفاوض حول نزع السلاح. بينما عبر كثيرون عن اعتقادهم بأن مشروع حرب النجوم يستهدف نشر اسلحة هجومية في الفضاء يمكنها تدمير اي هدف على الارض، وانه على اي

حال محاولة لاستنزاف موارد السوفييت وتحويلها عن دعم المجالات التي تمثل خطراً كبيراً على نظم الدفاع الغربية مثل الغواصات الذرية والصواريخ الارضية الثقيلة الى المجالات الدفاعية.

● وعلى أية حال فقد شهد النصف الثاني من الثمانينات عودة للحوار والتفاوض بين موسكو وواشنطون حول قضايا نزع السلاح وخاصة السلاح النووي، وبالنسبة للمعسكر الشيوعي، فان سياسة الانفتاح (جلاسنوست) التي بادر بتطبيقها غورباتشوف في الاتحاد السوفيتي، كان هدفها تقوية النظام السوفيتي لمقابلة التحديات الامريكية والغربية والتغلب على السلبيات بإشاعة الديمقراطية في اجهزة الحكم وتشجيع النقد لعلاج الاخطاء.

ما هي ابرز ملامح الوضع الدولي الراهن؟

● ازدياد معالم الانقسام الكبير بين دول الشمال المتقدم صناعيا وبين دول الجنوب المتخلفة وفشل الحوار بين الشمال والجنوب في اجتياز الهوة بين المجموعتين.

● فقدان الدول الرأسمالية الغربية حماسها للأمم المتحدة وتقليص دعم الولايات المتحدة بسبب تغلب اصوات بلدان العالم الثالث في اجهزتها ومعارضتها لسياسات جنوب افريقيا واسرائيل.

● تأزم الاوضاع في بلدان العالم الثالث، وازدياد الوعي بحقوق الانسان وتكرار الانتفاضات الثورية ضد النظم الاستبدادية والرجعية في السودان والفلبين وهايتي في (١٩٨٥ ــ ١٩٨٦).

● تنامي الحركات الانفصالية وصحوة الاقليات العرقية والطائفية مثل (الاكراد، الباسك، السيخ، التاميل، الايرلنديين، الماليزيين..) واتساع نطاق اعمال الارهاب والعنف.

● انتقال مراكز التوتر من الشرق الاقصى والمحيط الهادي الى الشرق الاوسط والخليج وامريكا اللاتينية.

● ظهور سلبيات كل من النظام الرأسمالي الغربي والنظام الشيوعي وخيبة الأمل في قدرة العلم على حل المشاكل التي تعاني منها الشعوب كما ان اليأس من المستقبل خلق الظروف الملائمة للاحياء الديني والرجاء في السماء بعد عجز البشر.

● استطاع التقدم التكنولوجي وتطور الابحاث العلمية ان يطلق طاقات هائلة ومعلومات وفيرة يمكنها ان تحقق الرخاء للانسان، كما ان استخدام الكومبيوتر في ترشيد الانتاج اختصر الجهود الانسانية المرهقة وكذلك الوقت مما يفتح اوسع الآفاق لامكانيات الوفرة..

ولكن عدم وجود المؤسسات الانسانية المتطورة التي تستفيد من منجزات العلم والتكنولوجيا ادى الى خلق اوضاع متناقضة: فبينما تتراكم أطنان الغذاء من فائض الانتاج في اوربا الغربية والولايات المتحدة نجد اجزاء كبيرة من قارة افريقيا تعاني من المجاعة، كما ان ادخال الكومبيوتر على نطاق واسع في الدول الرأسمالية المتقدمة زاد كثيراً من عدد العاطلين، وينتظر ان يؤدي التوسع في استخدام الانسان الآلي الى تفاقم مشكلة البطالة في تلك الدول.

● وبالنسبة للدول الاشتراكية فان تكنولوجيا الكومبيوتر تعتبر عاملاً مساعداً في تخطيط الانتاج وزيادة معدلاته وتقليص ساعات العمل، ولكن البيروقراطية السائدة في الدول الاشتراكية تعوق تحديث الانتاج ولذا كان استخدام الكومبيوتر اسرع في الدول الرأسمالية المتقدمة (اليابان والولايات المتحدة).

● ورغم ذلك فان توظيف منجزات الثورة الالكترونية وعلوم الكومبيوتر انتشر بسرعة واستخدم في تحديث الجيوش في الدول الاشتراكية والرأسمالية على السواء، فكلها الآن تستخدم الصواريخ الموجهة واجهزة الاستطلاع والرصد الالكترونية الحديثة.. حتى في الدول التي ما زالت تستخدم ادوات العصر الحجري في الزراعة!

ومع ذلك فان التطور السريع في العلوم والتكنولوجيا لم يرافقه تطور مماثل في المؤسسات السياسية والاجتماعية من اجل الاستخدام الأمثل لمنجزات العلم لصالح الانسان، بل زادت احتمالات حدوث تسرب الاشعاعات الذرية الضارة (تشرنوبيل ١٩٨٦) وتسرب الغازات السامة (بهوبال في الهند ١٩٨٥) ومع تكديس الاسلحة الذرية والكيماوية والبكتريولوجية صار وارداً امكان حدوث كارثة تقضي قضاء تاما على كل مظاهر الحياة والأحياء..

حكومة عالمية:

ان مشاكل عالمنا اليوم اكبر من قدرة اي دولة بمفردها مهما كانت امكانياتها للتصدي لها، اذ ان هذه المشاكل تحتاج لتعاون دولي اعظم من كل ما تحقق حتى اليوم، والامثلة متعددة..

● موضوع تلوث البيئة وزيادة نسبة ثاني اكسيد الكربون في الجو وآثارها على المناخ والارتفاع التدريجي لدرجات الحرارة، كذلك اكتشاف ثغرات في طبقة غاز الاوزون في الغلاف الجوي وانحسارها وما ينجم عن ذلك من اخطار بسبب زيادة تسرب الاشعة فوق البنفسجية وآثارها على الأحياء واخطار تقلص الغطاء النباتي من وجه الارض. وهناك مشكلات مكافحة الاوبئة والامراض التي لا تعترف بالحدود الدولية مثل مرض (الايدز)، ومكافحة انتشار المخدرات التي تحتاج لتعاون دولي وظواهر الارهاب ومكافحته والجريمة المنظمة وتنظيم التعامل مع المواد المشعة والكوارث المحتملة في العصر الذري، ومشاكل ترشيد استعمال الطاقة والبحث عن مصادر جديدة، والانفجار السكاني، وغزو الفضاء واستغلال المناطق القطبية على الارض.. وحماية مصادر المياه وصيانة الاحياء في الانهار والبحار ومحاربة التصحر والوقاية من المجاعة.. مشاكل كثيرة تحتاج لتعاون دولي وثيق لأنها لا تمكن معالجتها الا على مستوى عالمي وعلى نطاق الكرة الارضية كلها.

● وهناك اشكال من التعاون الدولي القائم الآن ومن خلال الأمم المتحدة واجهزتها ولكن المطلوب درجة اكبر من الفعالية والشمولية في التصدي لهذه المسائل، فالكرة الارضية تحتاج لعصر من السلام والاستقرار يفرز نوعاً من الحكومة العالمية يمكنها في البداية التصدي لمشاكل البيئة والطاقة والغذاء والتعليم والصحة ثم بعد ذلك يمكن ان تكون لها صلاحياتها الاشراف على اجراء انتخابات حرة في بلدان العالم لاختيار الحكومة التي تحظى بتأييد الشعب.. وكذلك ضمان حقوق الاقليات والتحقيق في الانتهاكات ضد حقوق الانسان وازالة آثارها.. كما يمكنها التدخل لوقف الاشتباكات والحروب الاقليمية والمحلية بحيث تكون قوتها رادعة وكلمتها نافذة..

● ولكن هذه ما زالت املاً بعيداً وتصوراً للمستقبل قد يصبح مشروعاً يناضل من اجل تحقيقه العقلاء والحكماء في ارجاء المعمورة، ان ما يعاني منه عالمنا ليس فقط ازمة اقتصادية او سياسية بل ازمة حضارية شاملة ناشئة من الفجوة الكبيرة بين سرعة التطور التكنولوجي وبين جمود او بطء المؤسسات وانماط التفكير والسلوك لدى غالبية سكان الكرة الارضية.

المشروع الدولي المشترك:

بين السابع والعاشر من ديسمبر ١٩٨٧ تم لقاء في واشنطون بين ميخائيل غورباتشوف الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي وبين رئيس الولايات المتحدة رونالد ريجان وشارك في المفاوضات وفدان على أعلى مستوى من الجانبين، ووقع الزعيمان على معاهدة لإزالة الصواريخ المتوسطة القصيرة المدى وتشمل الصواريخ التي يتراوح مداها بين ٣٠٠ و ٣٤٠٠ ميل، وسوف يزيل الاتحاد السوفييتي بمقتضى هذه المعاهدة ١٥٠٠ رأساً نووياً كما تزيل الولايات المتحدة ٣٥٠ رأساً نووياً، وتعتبر المعاهدة تطبيقاً لاقتراح امريكي سمي خيار الصفر ـــ وكان يدعو لإزالة الصواريخ التي يتراوح مداها بين ١٠٠٠ كيلومتر وخمسة آلاف كيلومتر، وبسبب صعوبات الرقابة على

All the News That's Fit to Print

The New York Times

NEW YORK, WEDNESDAY, DECEMBER 9, 1987

REAGAN AND GORBACHEV SIGN MISSILE TREATY AND VOW TO WORK FOR GREATER REDUCTIONS



A.B.A. Rates Kennedy

ECONOMY REPORTED HOLDING UP WELL SINCE STOCK SLIDE

A Recession Is Unlikely Soon, Analysts Say, Despite Slip in Consumer Spending



A MOOD OF WARMTH

As Summit Talks Begin, the Attention Shifts to Strategic Arms

خبر التوقيع على معاهدة إزالة الصواريخ المتوسطة من أوربا كما نشرته صحيفة نيويورك تايمز في ١٩٨٧/١٢/٩.

صواريخ يختلف مداها بتركيب وحدات وخزانات للوقود جاء اقتراح (الصفر المزدوج) ويشمل إزالة الصواريخ التي يتراوح مداها بين ١٠٠٠ كيلومتر و ٥٠٠ كيلومتر، والمعاهدة التي أبرمها ريجان وغورباتشوف تشمل تفكيك وازالة ٨٥٩ صاروخاً امريكياً من نوع بيرشنج وكروز و١٧٥٢ صاروخاً سوفييتياً من نوع (إس. إس ــ ٢٠) وغيرها.

وقد كان الجديد في الأمر هو الاتفاق على تفاصيل الرقابة والتفتيش للتأكد من التزام الطرفين بالمعاهدة، حيث يمكن لكل طرف القيام بعشرين زيارة للتفتيش في خلال السنوات الثلاثة الأولى، وذلك بعد فترة زمنية قصيرة من إخطار الطرف الآخر، لزيارة المواقع التي يعتقد أحد الطرفين أن فيها تجهيزات لصنع الصواريخ أو تخزينها او اخفائها، وفي السنوات الخمس التالية، أي بعد ثماني سنوات من توقيع المعاهدة، يسمح لكل طرف بعشر زيارات للتفتيش سنوياً، وفي السنوات الخمس الأخيرة يسمح لكل جانب بخمس زيارات مفاجئة سنوياً، وسيقيم مفتشون امريكيون خلال فترة المعاهدة، وهي ١٣ عاماً، في فوتكنسك في الاتحاد السوفييتي، كما يقيم مفتشون سوفييت في يوتاه في

الولايات المتحدة وهي مناطق تصنيع الصواريخ المتوسطة المدى التي اتفق على تحريمها. وقد جاء في البيان المشترك الذي صدر عقب لقاء قمة واشنطون في العاشر من ديسمبر ١٩٨٧ حول التوقيع على معاهدة إزالة الصواريخ المتوسطة والقصيرة، ما يلي: « ان هذه المعاهدة تعتبر تاريخية سواء من حيث أهدافها وهي الإزالة الشاملة لنوع من انواع الأسلحة النووية، وايضاً من حيث أبعاد ودقة التدابير التي تنص عليها لضمان الالتزام بتنفيذها « فالاتفاقات السابقة كانت (تحدد) انتاج ونشر كمية الأسلحة النووية او نوعيتها، اما اتفاق ديسمبر ١٩٨٧ فكان أول اتفاق يزيل بالفعل إزالة تامة نوعاً معيناً من الأسلحة النووية.

كما اتفق الطرفان على تكليف ممثليهما في مفاوضات جنيف بالسعي لصياغة معاهدة لتقليص الأسلحة الهجومية الاستراتيجية، وهي الصواريخ بعيدة المدى عابرة القارات ذات الرؤوس النووية، بنسبة خمسين بالمئة، من مجموع ما لدى الجانبين منها، على ان تكون جاهزة للتوقيع عليها في لقاء القمة التالي في موسكو في صيف ١٩٨٨، بهدف تحقيق التوازن الاستراتيجي، وتوطيد الاستقرار في علاقات البلدين؛ والاتفاق المقترح يحدد المستويات القصوى لعدد منصات اطلاق الصواريخ والرؤوس النووية، (وهي ١٦٠٠ وحدة حاملة للرؤوس النووية و٦٠٠٠ رأس نووي) وكذلك تحديد الوزن الاجمالي لحمولة الصواريخ عابرة القارات وتوزيعها بالنسبة لثلاثي الردع (توزيعها حسب مواقعها: في الصوامع تحت الأرض وفي القواعد الأرضية، والصواريخ الذرية المحمولة في الطائرات والغواصات). كذلك يشمل الاتفاق المقترح وضع النظم الكفيلة بإحكام الرقابة على الالتزام التام بالمستويات المتفق عليها في احتساب الرؤوس النووية وتقييد نصب الصواريخ الثقيلة، والتأكد من دقة البيانات التي يقدمها الطرفان، وتبادل المعطيات والاخطارات عن اماكن انتاجها وتخزينها وتجربتها والمساعدة في وصول التفتيش للمواقع المراد تفتيشها، كما ينص الاتفاق على الالتزام بمعاهدة الدفاع ضد الصواريخ المبرمة في عام ١٩٧٢ خلال فترة محددة بما يحقق التريث في نشر الأسلحة الفضائية التي تضمنها برنامج المستر ريجان والمسمى بمبادرة الدفاع الاستراتيجي، أو حرب النجوم، ويشمل الاتفاق المقترح تأكيد التمسك بمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، وتخفيض مستوى المواجهة

العسكرية في أوربا على صعيد القوات والأسلحة التقليدية، والعمل لعقد اتفاق لحظر الأسلحة الكيماوية، والتعاون في مجال أمن الطاقة الذرية، والبيان المشترك أشار الى أهمية تسوية المنازعات الاقليمية في مناطق العالم في تخفيف التوتر الدولي وتوسيع نطاق التفاهم بين الأمم والتعاون من اجل صيانة البيئة وسلامة المفاعلات الذرية وتوظيفها للأغراض السلمية وتأمين وسائل النقل البحري والجوي ومكافحة المخدرات والأوبئة.. وأكد الجانبان أن الحرب النووية ليس فيها منتصر، وأنه من العبث محاولة الحصول على تفوق عسكري بل لا بد ان يكون هدف الدولتين اقامة علاقات اكثر استقراراً بينهما وتنشيط الحوار والتعاون في شتى المجالات فالاتفاق الذي تم بين موسكو وواشنطون ليس مجرد اتفاق لنزع السلاح النووي او لتحديد سباق التسلح بل يشمل بداية حوار بين المعسكرين لاقامة علاقات متوازنة لاحلال الحوار محل المجابهة والتعاون محل التحرش والتحدي، وقد كانت هناك محاولات سابقة في ذلك الاتجاه ولكنها تعثرت ــ ولكن ثمة ادراك الآن لطبيعة القفزة النوعية في تكنولوجيا الأسلحة وخطورة أسلحة الابادة الشاملة واستحالة حسم المشاكل بالقوة لأن تصعيد الصراعات لا بد أن يؤدي لمواجهة بالأسلحة الذرية والكيماوية وتدمير جميع اطراف النزاع وربما فناء البشر جميعاً، وقد يقود هذا الادراك لمرحلة جديدة من الوفاق بين العملاقين تقودهما الى ان (يعملا معاً) من اجل نزع السلاح وتطويق وحل الازمات الاقليمية عن طريق تسويات سياسية او حلول وسطية تضمنها الدولتان العظميان، وهذا يعني ان تصبح الحلول الممكنة محكومة بإرادة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وان تمارس الدولتان ضغوطا كل في مجال نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري. غير ان الحلول التي تراها الدولتان او تتفقان عليها ربما لا تكون دائما متفقة مع رغبات الشعوب او طموحاتها او حقوق الاقليات او مصالح الدول الصغيرة. ولهذا فالمشروع الدولي المشترك قد يؤدي لتقسيم العالم لمناطق نفوذ بين الدول الكبرى او لفرض وصاية على الشعوب الفقيرة والدول الضعيفة ويحرمها من حريتها في تقرير شؤونها ومصيرها.

ما العمل بالنسبة لشعوب واقطار العالم الثالث؟

في عصر تحالف الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة وحركة رأس المال والشركات المتعددة الجنسيات التي تقفز عبر الحواجز القومية وفي عصر المشروع الرأسمالي العالمي الواحد، وفي عصر تتمثل فيه البدايات القلقة لمرحلة جديدة من الوفاق بين الدول الكبرى لحماية مصالحها. يتحتم على شعوب العالم الثالث والبلدان المتخلفة في اقطار الارض جميعها ان تتغلب على التناقضات والخلافات وتتحد حول برنامج واحد من اجل التقدم وبناء نظام اقتصادي عالمي جديد يتيح للدول المتخلفة اللحاق بموكب التقدم وتنمية مواردها ورفع مستوى شعوبها وتحقيق العدالة الاجتماعية ومقاومة الضغوط لتفكيك عرى وحدتها وتمزيق بنيتها واهدار استقلالها وحريتها في تقرير مصيرها.

● ان شعوب العالم الثالث سوف تجد نفسها مرة اخرى وراء قضبان التبعية ومستقبلها مرهون بارادة غيرها وتطورها محكوم برغبة القوى العظمى اذا لم تتحد للنضال من اجل بناء عالم الغد.

● ان الاستراتيجية الاستعمارية الحديثة لمكافحة الحركات التحريرية في دول العالم الثالث وضرب فكرة الطريق المستقل لتطور شعوب العالم الثالث وتشجيع النظم التسلطية والطفيلية سوف تستمر ولن تتوقف، وان تشجيع التغييرات السلبية في مجتمعات الاقطار النامية والقوى الاجتماعية التي افرزتها سياسات (الانفتاح) الاقتصادي على السوق الرأسمالى العالمية مع زيادة الاستهلاك ومعدلات التضخم وتعاظم بيروقراطية الدولة وظهور المليونيرات الطفيليين وتعزيز النزعات القبلية والاقليمية والطائفية والميول الانفصالية لدى الاقليات بسبب شعورها بالاجحاف عند توزيع الحصص والمغانم وبروز الاتجاهات المتطرفة والدعاوى الارهابية والايديولوجيات الفاشيستية تعبير عن اليأس من الحلول العلمية وفقدان الثقة بالدولة ومؤسساتها بل وكل مؤسسات المجتمع المدني القائم.

ان تأليب هذه القوى والتكتلات في داخل اقطار العالم الثالث هو جوهر

المشروع الامبريالي للسيطرة على شعوب العالم الثالث الذين يمثلون في الواقع اربعة اخماس سكان الكرة الارضية، وسلاح الاستعمار الجديد هو التمزق الوطني والتجزئة الاقليمية والتشرذم الطائفي والعشائري والتلاعب الغوغائي بمشاعر الجماهير المتخلفة.

● وهذه الاوضاع تحتم على شعوب العالم الثالث ان تجتمع حول مركز واحد لحماية مصالحها من الاستباحة والنهب، ولحماية حرية ابنائها من التسلط والاستغلال والتشويه الفكري، فلكي تتحقق الفعالية لنضال هذه الشعوب لا بد من تعاونها وتضامنها على المستوى العالمي وحتى تتجنب خطة استيعابها في ظل تقسيم دولي محتمل بعد إحياء وفاق قد يجمد حركتها ويشل تطورها بدعوى حماية الأمن والسلام الدوليين.

الأمل في العالم الثالث

● ان نضال شعوب العالم الثالث يجب ان يتجه لخلق نموذج لمجتمع انساني جديد يحقق التكامل والتماسك الاجتماعي ويلبي حاجات الجماهير المادية والروحية ويستخلص من تراث هذه الشعوب خير ما فيه من قيم ايجابية تلائم روح العصر باعتبارها قيما حضارية وانسانية، مجتمع ديمقراطي يستوعب المنهج العلمي ويؤكد الحريات الانسانية وينحاز للبسطاء وينمي وعي الانسان ويقضي على الفوارق الاجتماعية ويعطي الانتماءات الثقافية والعرقية مضموناً رشيداً يساهم في اثراء الفكر العالمي في الاطار الانساني المعاصر، باعتبار ان كل الثقافات القومية روافد لنهر فكري واحد متصل هو نهر الحضارة الانسانية المتدفق ابداً..

● ان العالم الثالث مطالب بالخروج من المأزق الفكري الذي نشأ من رد الفعل للنموذج الشيوعي الماركسي ورد الفعل للنموذج الرأسمالي الغربي، ولا يفيد اجتهادنا تضخيم النموذج الشرقي الاستبدادي او استلهام الماضي او فترات منه مرموقة لاضفاء ابعاد ايديولوجية على الحاضر، فالظروف الموضوعية تحتاج لمواجهة جديدة تماما ولمفاهيم مستنيرة وديمقراطية لتجمع

كل شعوب العالم وليس شرائح او قطاعات محدودة من بعض المناطق، لأن المشاكل الراهنة لن تحل الا عن طريق المعرفة والبحث العلمي، والفجوة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة تتسع باستمرار ولا سبيل لاجتيازها بدون دراسة تنطلق من الواقع الماثل وتستعين بثمار الفكر الانساني وتجارب شعوب العالم قاطبة بدون تمييز، ولا بد من خوض معارك ضارية قبل الوصول لتحرير شعوب العالم الثالث من الخضوع والتبعية والفقر والإستبداد وتوحيدها جميعا في مجتمع انساني ديمقراطي يضمن الحقوق الإنسانية لكل البشر..

ملحق:

□ المنظمات الاقليمية

- الجامعة العربية
- منظمة الوحدة الافريقية
- السوق الاوربية المشتركة

المنظمات الاقليمية:

بالرغم من الاحساس بأن العصر الراهن يحتاج الى التعاون والتنسيق بين الدول في المجالات المختلفة، فأن هناك تناقضا بين الميل للوحدة وبين الميل للاستقلال، وقد شهدت الفترة الماضية اتجاهين متعارضين: اتجاه للتكتل والتعاضد بين الدول ذات السياسات والنظم والمصالح المتقاربة، واتجاه آخر نحو تغليب المصلحة القومية على مصالح المعسكر او الكتلة الاممية.. ومعارضة الاتجاهات العالمية (الكوزموبوليتيه) و(فوق القومية) (Supranational-Cosmopolitan).

● ويمكننا ان نرى بوضوح اثر هذه التيارات في خط تطور التجمعات الإقليمية.

● وقد شهد العالم تجمعات سياسية وعسكرية، وفي الفترة الاخيرة شهد تجمعات بين دول تربط بينها المصلحة المشتركة المادية مثل منظمة

الدول المصدرة للبترول (الأوبك) ومثل تحالف الدول المنتجة للنحاس وهو اتجاه يمكن ان ينمو في المستقبل..

جامعة الدول العربية:

● تأسست جامعة الدول العربية كمنظمة دولية اقليمية بمقتضى ميثاق وقعت عليه سبع دول عربية في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ وهذه الدول هي: مصر وسوريا والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن وشرق الاردن..

ثم انضمت الى الميثاق فيما بعد ليبيا والسودان والمغرب وتونس والجزائر والكويت واليمن الجنوبية وقطر والبحرين واتحاد الامارات العربية وموريتانيا والصومال.

● ولا ريب ان البلاد العربية ظلت تتطلع لاقامة رابطة سياسية تبلور شعورها بما بينها من روابط روحية وثقافية واحساسها بوحدة المصير وسعيها لصيانة مصالحها والتعبير عن طموح ابنائها.

وفي عام ١٩٤٣ بدأت مشاورات بين الزعماء العرب أسفرت عن عقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام التي اجتمعت في الاسكندرية في أكتوبر ١٩٤٤ ووضعت اللجنة التحضيرية الاسس التي يمكن ان تقوم عليها منظمة عربية اقليمية كما صاغت اللجنة وثيقة أسمتها بروتوكول الأسكندرية للتنسيق والتعاون بين الدول العربية، وقد اجتمعت بعد ذلك لجنة سياسية تولت وضع مشروع لميثاق جامعة الدول العربية تقدمت به للجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام فاقرته اللجنة.

● وفي ٢٢ مارس ١٩٤٥ انعقد المؤتمر العربي العام وتم التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية في القاهرة

ويتضمن الميثاق وثيقة رئيسية من عشرين مادة وثلاثة ملاحق كان أولها عن فلسطين والثاني عن الدول العربية التي لم تكن قد حصلت على استقلالها بعد والثالث عن تعيين الامين العام للجامعة.

● وقد كفلت المادة الاولى من الميثاق الحق لاي دولة عربية مستقلة في الانضمام للجامعة العربية اذا رغبت في ذلك..

وجاء في المادة الثانية ان الغرض من تأسيس الجامعة العربية توثيق الصلات بين الدول الاعضاء وتنسيق خططها السياسية عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها، كما ينظم الميثاق تعاون الدول العربية في الشؤون الاقتصادية والمالية بما في ذلك التبادل التجاري والجمارك وشؤون الزراعة والصناعة والتعليم والمواصلات والتعاون في المجالات الثقافية والاجتماعية والصحية وفي تنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين وفي شؤون الجوازات والجنسية وفي الشؤون القانونية والعسكرية.

● وقد انشأت الجامعة العربية وكالات متخصصة تنفيذا للمعاهدات والاتفاقيات المبرمة لتدعيم التعاون بين الدول الاعضاء في الجامعة، وقد بلغ عدد هذه الوكالات المتخصصة ١٧ وزعت مراكزها في العواصم العربية.. وكانت الخرطوم مقرا للمنظمة العربية للتنمية الزراعية. كما ان هناك هيئات كثيرة ملحقة بالجامعة العربية مثل مركز التنمية الصناعية للدول العربية وهيئة استغلال مياه نهر الاردن ومعهد الغابات العربي والهيئة العامة للمعارض والمجمع الموسيقي العربي.. الخ.

● وقد حدد ميثاق جامعة الدول العربية المبادئ التي تهتدي بها الجامعة في:

ــ المساواة بين الدول الاعضاء واحتفاظ كل دولة بسيادتها.

ــ عدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء وكذلك عدم الالتجاء للقوة لفض الخلافات بين الدول الاعضاء. كما يحدد الميثاق الفروع الرئيسية للجامعة وهي:

ــ **مجلس الجامعة**

ــ **اللجان الدائمة**

ــ **الأمانة العامة**

● **مجلس الجامعة:**

يتكون مجلس الجامعة من مندوبي جميع الدول الاعضاء في الجامعة ولكل دولة صوت واحد، ويعقد المجلس اجتماعاته في القاهرة وهي — جسب نص المادة العاشرة من الميثاق — المقر الدائم للجامعة وللمجلس ان يجتمع في مكان آخر يعينه اذا حالت الظروف.

● **مهام المجلس:**

● القيام على تحقيق اغراض الجامعة العربية.
● مراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول الاعضاء في الجامعة من اتفاقات.
● التوفيق والتحكيم فيما قد ينشب من خلافات بين الدول الاعضاء.
● تقرير التدابير لدفع أي اعتداء على الدول الاعضاء.

كما أن للمجلس اختصاصات دستورية ادارية مثل:

— قبول الاعضاء الجدد في الجامعة
— تعديل ميثاق الجامعة
— اقرار الميزانية
— تعيين الامين العام والموافقة على تعيينات الامناء والموظفين الرئيسيين في الجامعة.

والقرارات الخاصة بتعديل الميثاق وتعيين الامين العام يجب ان تصدر من المجلس بأغلبية الثلثين، اما القرارات الخاصة بالوساطة بين الدول المتنازعة او بالتحكيم بينها فتصدر بالاغلبية العادية.. وفي حالة التحكيم لا يشترك اطراف النزاع في مداولات المجلس وقراراته.

● **اللجان الدائمة:**

وكان ميثاق الجامعة قد نص على تأليف لجان دائمة خاصة بالشؤون التي يغطيها نشاط الجامعة لوضع قواعد التعاون بين الدول العربية وصياغتها

في اتفاقيات لينظر فيها مجلس الجامعة، وبعد الاتساع الكبير في عضوية الجامعة (٢٠ عضوا في ١٩٧٥) تم تكوين ادارات متخصصة اهمها: ادارة الشؤون السياسية، وادارة شؤون فلسطين، وادارة الاعلام، وادارة الشؤون الاجتماعية والثقافية، والمكتب الرئيسي لمقاطعة اسرائيل، والامانة العسكرية وادارة البترول، وادارة الشؤون الاقتصادية، والادارة الصحية، والادارة المالية ومكتب مكافحة المخدرات.

الامانة العامة:

تتألف من امين عام وامناء مساعدين، ويعين مجلس الجامعة الامين العام اما الامناء المساعدون فيختارهم الامين العام بموافقة المجلس. ويتولى الامين العام دعوة مجلس الجامعة للانعقاد واعداد مشروع ميزانية الجامعة لعرضه على المجلس.

فلسطين:

وقد اهتمت الجامعة منذ تأسيسها بقضية فلسطين وتبنت الدفاع عنها باعتبار ان فلسطين (ركن مهم من اركان البلاد العربية وان حقوق الشعب الفلسطيني لا يمكن المساس بها) كما انشأت صندوق الامة العربية لانقاذ اراضي فلسطين في وقت مبكر. وعارضت قيام اسرائيل وتدخلت قوات من الدول الاعضاء في الجامعة لتحرير فلسطين في مايو ١٩٤٨.

غير ان اهم التطورات في هذا الشأن كان انعقاد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في مقر الجامعة العربية في القاهرة من ١٣ - ١٦ يناير عام ١٩٦٤ بناء على مبادرة الرئيس عبد الناصر وفيه اتخذت قرارات هامة ابرزها.

- انشاء قيادة عربية موحدة يتولاها قائد عام (تم اختيار الفريق علي عامر).

● انشاء هيئة خاصة من ممثلين شخصيين للملوك والرؤساء العرب ومعهم ممثل لفلسطين لمتابعة تنفيذ القرارات.

● انشاء هيئة خاصة لتنفيذ مشروع استثمار مياه نهر الأردن للتنمية الزراعية في البلاد العربية.

● تنفيذ خطة منسقة لتحرك عربي سياسي ودبلوماسي موحد.
وفي سبتمبر ١٩٦٤ عقد المؤتمر جلسة ثانية بالاسكندرية تقرر فيها.

● انشاء منظمة تحرير فلسطين
● تكوين جيش التحرير الفلسطيني.
● بدء تنفيذ المشروعات العربية بالأسكندرية لاستغلال مياه نهر الاردن.
● دعم نضال شعب الجنوب العربي المحتل ضد الاستعمار البريطاني.
● تكوين مجلس عربي للبحوث الذرية.
● انشاء محكمة عدل عربية.
● وقد انشئت اجهزة جديدة بالجامعة بعد توقيع معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي العربي، منها مجلس الدفاع المشترك، والهيئة الاستشارية العسكرية، واللجنة العسكرية الدائمة والقيادة العربية والمجلس الاقتصادي.

الجامعة ومستقبل المنطقة العربية:

في ديباجة ميثاق جامعة الدول العربية ان انشاء الجامعة سنة ١٩٤٥ كان « محاولة لتثبيت العلاقات الوثيقة والروابط العديدة بين الدول العربية وحرصها على دعم هذه الروابط وتوطيدها، واستجابة للرأي العام العربي في جميع الاقطار العربية.. »

فهل استطاعت الجامعة العربية ان تلعب دورها في المنطقة؟

● لقد لعبت الجامعة دورا ايجابيا في دعم النضال العربي فساعدت ليبيا على تحقيق استقلالها ووحدة اراضيها في ١٩٥٣ وكذلك دعمت نضال

المغرب وتونس (١٩٥٨) وكفاح الجزائر حتى تحقق لها الاستقلال عن فرنسا عام ١٩٦٢.

● كما نجحت الجامعة في تنظيم مقاطعة عربية فعالة ضد اسرائيل.. واستطاعت ان تقوي الروابط بين الدول العربية وأن تبرزها كتلة ذات وزن في المجالات الدولية.

وقد تطورت علاقات التضامن الوثيق بين الدول العربية في مواجهة العدوان الاسرائيلي وتجدد اخطار السيطرة الاستعمارية على البلاد العربية.

● كما ان المنطقة العربية اكتسبت اهمية كبرى في السياسة الدولية فهي تحتوي على اكثر من نصف احتياطي البترول في العالم، وهي تحتل موقعا استراتيجيا فريدا بين القارات الثلاث يجعلها مركزا هاما للمواصلات الدولية، كما ان المنطقة تعتبر محط انظار الشعوب لان الاديان السماوية والحضارات الانسانية انبعثت منها، والمنطقة العربية تشكل وحدة اقليمية متميزة لها حدودها الجغرافية الواضحة وتمتد في قارتي افريقيا واسيا دون حواجز طبيعية هامة، وكلها تمارس تجربة البناء والتنمية وتمر بنهضة اقتصادية وثقافية شاملة.

● ولذا كان من الطبيعي ان تتطلع الجماهير العربية الى جهاز يرضي طموحها ويعبر عن توقعها للمزيد من الوحدة والتضامن ويتناسب مع مستوى الاحداث في المنطقة.

● ولا شك ان الجامعة العربية عندما تكونت اثناء الحرب العالمية الثانية كانت جهازا يمثل الحكومات العربية في ذلك الحين وكانت تلك الحكومات ضعيفة وخاضعة لنفوذ الاستعمار وكانت بريطانيا تأمل ان تعمل الجامعة العربية تحت اشرافها ومشورتها ثم اتجهت لمشروعات اخرى عندما تبين لها ان تطويق الحماس للوحدة العربية والسيطرة عليه ليس امرا سهلا..

● وبعد الحرب العالمية الثانية حاولت امريكا وبريطانيا ربط الجامعة العربية بنظام الاحلاف العسكرية الغربية عن طريق ما يسمى بمعاهدة الضمان

الجماعي العربي التي تجعل امن الدول العربية مرتبطا بتركيا وهي عضو في حلف الاطلسي.. فلما فشلت هذه المحاولة جرى تكوين حلف بغداد.

● وقد تعرضت الجامعة العربية لازمات ومشاكل في عهد الرئيس عبد الناصر حيث قاطعت تونس اجتماعات الجامعة واتهمتها بالخضوع للسياسة المصرية في ذلك الحين. كما اثرت الخلافات التي نشبت بين القاهرة والرياض بسبب حرب اليمن.. وبين القاهرة وعمان ودمشق وبغداد بسبب التجارب الوحدوية اثرت تلك الخلافات على نشاط الجامعة العربية.. ولكن الروابط بين البلاد العربية أثبتت دائما انها اقوى من الخلافات بين الحكومات كما ان الخطر الصهيوني المشترك كان عاملا هاما في تأكيد التضامن العربي ضد عوامل الفرقة والتجزئة.

ومع تزايد التهديد الاسرائيلي ظهرت الحاجة الملحة الى دعم الجامعة العربية وتنسيق موقف الدول الاعضاء لاتخاذ موقف موحد ضد الخطر الإسرائيلي، وكان من نتيجة ذلك الدعوة لمجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية وهو اعلى سلطة في نطاق الجامعة، وقد أهتم المجلس بصفة خاصة بخطة العمل العربي المشترك لتحرير فلسطين ومواجهة الصهيونية.

● وكانت التجارب الوحدوية في العالم العربي محاولة لتحقيق علاقات اكثر تلاحما بين الدول العربية ولكن انتكاس هذه التجارب لم يمكنها من تجاوز الجامعة العربية كصيغة رسمية تعبر عن التضامن العربي، وظلت الجامعة بالرغم من قصورها اداة للعمل المشترك بين الدول العربية وظهر اتجاه يرمي لتقوية أجهزة الجامعة وتعديل ميثاقها بما يجعلها أقدر على تلبية احتياجات الجماهير العربية وتطلعاتها في مواجهة تحديات العصر.

● ومن الانتقادات التي توجه للجامعة ان قراراتها لا تلزم الا الدول العربية التي توافق عليها وترغب في تنفيذها ولا يفرض الميثاق التزاما على الدول العربية بالتدخل فورا لرد العدوان الواقع على دولة من الدول العربية، ويكتفي الميثاق بتنسيق السياسة الخارجية للدول الاعضاء وتقرير وسائل التعاون مع المنظمات الدولية، ولا يقرر اتخاذ سياسة عربية موحدة، كما ان تعدد

اجهزة الجامعة العربية وتداخل اختصاصاتها يخلق معوقات في الاداء ويثير مشكلات عديدة، وهناك حاجة لدعم جهاز الامانة العامة للجامعة الغربية ليتحمل مسؤولياته الجمة.. وان الجامعة العربية تظل تعبيرا عن الموازنة بين عوامل الوحدة ودواعي الاستقلال بين البلاد العربية ويمكن ان تتحول من منظمة تنسيق وتضامن وحوار بين الدول العربية الى منظمة تعاون واتحاد بين الدول العربية.

مستقبل جامعة الدول العربية

تعرضت الجامعة العربية لأشد الازمات خطراً في مارس ١٩٧٩ عندما تقرر في اجتماع بغداد تجميد عضوية مصر في الجامعة ونقل مقر الجامعة من القاهرة الى تونس، وذلك بعد توقيع السادات لاتفاقية كامب ديفيد والصلح بين مصر واسرائيل.

وقد جاءت حرب الخليج في ١٩٨٠ بين العراق وايران فأدت الى استفحال التناقضات بين الدول العربية كما ان تفاقم حرب لبنان زاد ايضا من التصدع في الصف العربي.

وكان قد تبلور اتجاهان: اتجاه يحاول البحث عن تسويات مع واشنطون وتل ابيب على غرار كامب ديفيد ويميل لاعادة العلاقات مع القاهرة برغم اعترافها باسرائيل.

واتجاه آخر يهدف لاستنهاض الجماهير العربية لمقاومة مشروعات التسوية في ظروف التمزق العربي وقد أدت هذه الخلافات الى عجز الدول العربية عن تحقيق حد ادنى من الوفاق فيما بينها كما أدى الصراع الى شلل الجهاز السياسي للجامعة العربية.

مقترحات لتعديل ميثاق الجامعة:

وقد بحث مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في تونس عقب انتقال الجامعة

العربية اليها موضوع تعديل ميثاق الجامعة لكي يواكب التطوارت الجديدة وكلف الأمين العام بدراسة الأمر وشكل السيد الشاذلي القليبي لجنة لدراسة التعديلات المطلوبة ورفعت تقريرها للأمين العام في سبتمبر ١٩٨٣، وعرضت مقترحاتها على مؤتمر القمة العربي باعتباره اعلى سلطة وخلاصة المقترحات انه اذا ما كان المطلوب في النصف الاول من القرن العشرين، هو مجرد التنسيق بين الدول العربية، ودعم روابطها، فان المطلوب الآن مشروع اكبر من ذلك ولهذا يركز الميثاق الجديد على حتمية وحدة الامة العربية وعلى ضرورة استلهام قيم الامة العربية وتراثها. والحفاظ على هذه القيم، وهذا التراث، وعلى التصميم على تحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان حقوق الانسان، في الوطن العربي، وعلى الحرص على توجيه الثروات والموارد العربية، نحو التنمية والتحرر، والتكامل الاقتصادي في الوطن العربي من اجل رفاهية الانسان العربي، وعلى ضمان الامن القومي العربي ومكافحة قوى الصهيونية، والاستعمار.. وتعزيز مكانة الوطن العربي الحضارية، وامكاناته البشرية، والمادية، وتأكيد اهمية دوره في الاسهام في تقدم الحضارة الانسانية وفي الحفاظ على السلم والأمن الدوليين القائمين على العدل، وتأكيد ضرورة تطوير جامعة الدول العربية لتكون اداة فعالة في انجاز الاهداف السامية للميثاق وخصوصا الوحدة العربية.

وفي اطار الاهداف المحددة التي ينبغي للجامعة ان تعمل على تحقيقها فان الميثاق الحالي يتعرض بصورة عامة الى (توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها..)

وحين يفصل الميثاق هذه الاغراض، فانه يقتصر على النص على ان (تتعاون الدول المشتركة تعاونا وثيقا في الشؤون الاقتصادية والمالية. ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وامور الزراعة والصناعة، وشؤون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديد، والطرق، والطيران، والملاحة والبرق والبريد، وشؤون الثقافة، وشؤون الجنسية والجوازات، والشؤون الاجتماعية، والشؤون الصحية..)

وعلى الرغم من ان هذه المجالات تبدو شاملة الا انها لا تعدو ان تكون مجرد عناوين يمكن ان ترد في اتفاقية بين اي دولتين لا يربط بينهما ما يربط الاقطار العربية من تاريخ، وحضارة وثقافة مشتركة، ولذلك جاءت الاقتراحات في مشروع التعديل لتنص على (السير بالأمة العربية نحو ما يؤدي الى تحقيق الوحدة) ويحدد لذلك الوسائل التالية:

● توثيق الروابط بين الدول العربية وتحقيق التكامل بينها في جميع المجالات في اطار المصلحة المشتركة.

● ضمان الامن القومي العربي واعتبار كل عدوان على احدى الدول العربية عدوانا عليها جميعا.

● تعزيز سيادة الدول العربية على ثرواتها، واستثمار مواردها الطبيعية والمالية، وتوجيه طاقاتها البشرية ضمن تخطيط عربي متكامل بغية بناء القدرة الذاتية العربية، وتحقيق التنمية العربية الشاملة وحماية البيئة في الوطن العربي.

● التعريف بالقيم الحضارية للأمة العربية واحياء التراث العربي والاسلامي والمحافظة عليه.

● تعزيز العمل العربي المشترك وتحقيق التنسيق والتكامل بين المنظمات والمجالس العربية وفق الخطط التي يقرها مجلس الجامعة المختص. ثم يضيف الميثاق الجديد من الاهداف ما لم يكن واردا في الميثاق القديم ــ او بالاحرى الحالي ــ فينص على:

١ ــ التأكيد على ان تضمن الدول العربية سلامة الانسان في الوطن العربي وحقوقه باشكالها كافة وتمكينه من ممارسة حرياته الأساسية لتحقيق مجتمع عربي يقوم على الديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية.

٢ ــ العمل على تحرير فلسطين واية ارض عربية محتلة ومكافحة الاستعمار بشتى صوره واشكاله والتصدي للعدوان.

٣ ــ مكافحة الصهيونية والعنصرية، والتمييز العنصري باشكالها كافة.

٤ — دعم السلم والامن الدوليين والعمل على اقامة نظام دولي جديد يبنى على الحرية والعدل والمساواة ووفق مبادئ عدم الانحياز.

٥ — توثيق التعاون مع المنظمات الدولية والعمل على اتخاذ مواقف عربية موحدة من القضايا العربية والدولية في المحافل العالمية.

هذا على صعيد المبادئ والاهداف والاغراض، اما على الصعيد الهيكلي، فان الميثاق المعدل يبدو اكثر وضوحا وتحديدا، ففي حين نص الميثاق الحالي على انشاء (مجلس يتألف من ممثلي الدول المشتركة) لتحقيق اغراض الجامعة من دون تحديد لمستويات هذا المجلس. فان الميثاق المعدل ينص صراحة على ثلاثة مجالس رئيسة في مقدمتها مؤتمر القمة والذي يتشكل من ملوك ورؤساء الدول الاعضاء ويجوز في حالات خاصة ان يكون التمثيل على مستوى الشخص الثاني في الدولة او رئيس الوزراء حسب ما هو معمول به في كل دولة ولا يجوز ان تشارك اي دولة عضو في المؤتمر بتمثيل يقل عن هذا المستوى، وتنعقد القمة في شهر نوفمبر من كل عام، وثاني المجالس مؤتمر وزراء الخارجية، وثالثها المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ثم ينص الميثاق المعدل على انشاء مجالس وزارية متخصصة كلما اقتضى الحال، ويحصر الاجهزة الرئيسية للجامعة في الامانة العامة، ومحكمة العدل العربية، والهيئة العليا للرقابة العامة والمحكمة الادارية. كما ان الميثاق المعدل، يبدو اكثر وضوحا في تحديد وسائل تسوية النزاعات العربية فبينما تعتبر محكمة العدل العربية هي الجهاز القضائي الرئيسي للجامعة، ينص على مجلس وزراء الخارجية في الاستعانة في حل النزاعات بين الدول الاعضاء، مهما كانت طبيعتها، بلجنة تسمى (لجنة التسوية السلمية للنزاعات العربية)، وفي تشكيل « قوات أمن عربية » اذا ما استدعى الحال، يحدد عدد افرادها والمدة اللازمة لانجاز مهامها وطريقة تسديد نفقاتها، وترتبط القوات المستخدمة بالأمين العام، وتتلقى اوامرها منه الا اذا ما رأى المجلس خلاف ذلك، كل هذا الى جانب مجلس الدفاع العربي المشترك والاجهزة العسكرية اللازمة لتخطيط عمليات الدفاع المشترك وادارتها.

منظمة الوحدة الافريقية: (Organization of African Unity) (O.A.U.)

تأسست في ٢٥ مايو ١٩٦٣ عندما أعلن رؤساء ٣١ دولة افريقية مستقلة في اديس ابابا مولد منظمة الوحدة الافريقية واعلان ميلاد المنظمة.

وقد جاء في مقدمة الميثاق انه على الدول الافريقية ان تعمل على تقوية استقلالها بالتعاون فيما بينها والتضامن لحماية استقلالها وتوجيه جهودها المشتركة لدعم كفاح الشعوب الافريقية التي ما زالت تناضل ضد الإستعمار والتمييز العنصري واكد الميثاق ضرورة التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للنهوض بافريقيا وان انشاء المنظمة قد جاء تعبيرا عن رغبة شعوب افريقيا في الاتحاد وبداية الطريق نحو وحدة أوثق بين هذه الشعوب. وقد حدد الميثاق أغراض المنظمة بما يلي:

١ ـ تشجيع الوحدة والتضامن بين الدول الأفريقية.

٢ ـ تنسيق ودعم التعاون بين الدول الأفريقية وتعزيز جهودها لضمان حياة أفضل للشعوب الأفريقية.

٣ ـ الدفاع عن سيادة واستقلال الدول الأفريقية وسلامة أراضيها.

٤ ـ القضاء على الاستعمار بجميع أشكاله من كل أرجاء القارة الأفريقية.

٥ ـ تقوية التعاون مع دول العالم على أساس مبادئ الأمم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان.

ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر يقوم أعضاء المنظمة بتنسيق سياستهم العامة ويعملون للوصول للاتفاق والتعاون فيما بينهم في مجالات السياسة والدبلوماسية وفي ميادين التنمية وتطوير الاقتصاد وخاصة وسائل النقل والمواصلات والتعاون في مجال التعليم والثقافة وفي الشؤون الصحية والرعاية الاجتماعية وفي أمور الأمن والدفاع.

وتتعهد الدول الأعضاء باحترام المبادئ التالية في علاقاتها:

١ ـ المساواة المطلقة في السيادة بين الدول الأفريقية.

٢ ــ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

٣ ــ احترام سيادة كل دولة والاعتراف بحقها في الوجود وفي تنمية شخصيتها بدون منازع.

٤ ــ تسوية المنازعات بالطرق السلمية.

٥ ــ إستنكار أساليب التخريب والهدم.

٦ ــ تكريس جميع الجهود من أجل التحرر الكامل لجميع الأراضي الأفريقية التي ما زالت تابعة للاستعمار.

الهيئات الرئيسية :

● مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الأفريقية :

المؤتمر هو الهيئة العليا للمنظمة ويشمل رؤساء الدول والحكومات ويجتمع مرة كل سنة (على الأقل) ولكل دولة صوت وتصدر القرارات بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين للمؤتمر، ويبحث المؤتمر المسائل الهامة بغرض تنسيق السياسة العامة للمنظمة وتحديد مواقفها.

● المجلس الوزاري :

ويتألف من وزراء خارجية الدول الأعضاء أو من تختارهم ويقوم باعداد جدول اعمال الموضوعات التي يبحثها الرؤساء كما يشرف على تنفيذ قرارات المؤتمر ويجتمع في دورات عادية مرتين في السنة.

ولكل دولة عضو في المجلس صوت واحد، وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة.

● الأمانة العامة :

يعين مؤتمر الرؤساء أمينا عاما للمنظمة وأمينا عاما مساعدا أو أكثر.. ويقوم مكتب الأمانة العامة بالآتي :

ــ تنسيق عمل الدول الأعضاء لتنفيذ قرارات المنظمة.
ــ التعاون مع الدول الصديقة خارج أفريقيا.
ــ الاشراف على عمل لجان الوساطة والتحكيم في كل المنازعات التي تنشأ بين الدول الأعضاء.

كما يقوم الأمين العام باعداد ميزانية المنظمة وعرضها على المؤتمر والمجلس الوزاري.

● لجنة التحكيم :

تضم ٢١ عضوًا مدة عضويتهم خمس سنوات لتسوية الخلافات بين الدول الأعضاء.

● اللجان المتخصصة :

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية.
لجنة الدفاع
لجنة التربية والثقافة
لجنة الصحة والرعاية الاجتماعية
اللجنة العلمية والفنية.
لجنة النقل والمواصلات.
اللجنة القانونية.
ويشترك فيها الوزراء المختصون في هذه الشؤون من الدول الأفريقية.

ــ وعضوية الدول الافريقية في المنظمة إختيارية وتعتبر الدولة منسحبة من العضوية باخطار الامين العام رسميا وتنتهي عضويتها بعد عام من تاريخ الاخطار.

كما يتم قبول عضوية اي دولة افريقية بالاغلبية المطلقة لاصوات الدول الاعضاء.

تصفية الاستعمار:

وفي المؤتمر الثاني لمنظمة الوحدة الافريقية الذي انعقد بالقاهرة في يوليو ١٩٦٤ وحضره رؤساء ٣٣ دولة افريقية أصدر المؤتمر ٢٣ قرارا تناول فيها دعم حركات النضال الوطني للتحرر من الاستعمار والتفرقة العنصرية ومساعدة حركات التحرير وتضمن برنامج مكافحة الاستعمار إنشاء (لجنة التحرير) ومقرها دار السلام. وتتكون من تسع دول وبعد اجتماع اكرا ١٩٦٥ ارتفع عدد الدول الاعضاء في اللجنة الى ١١ دولة مهمتها تنسيق حركات المقاومة المسلحة وتنشيطها. وتقديم العون لها في البلاد الإفريقية التي ما زالت تحت سيطرة الاستعمار والتمييز العنصري.

وقد انحسرت المناطق الخاضعة للسيطرة الاستعمارية. فانسحبت اسبانيا من الصحراء المغربية التي احتلت المغرب جزءاً منها بينما تكافح منظمة (البوليزاريو) لاستقلال الصحراء وتؤيدها الجزائر ودول أخرى. أما ناميبيا فتناضل لكي تستقل عن جنوب افريقيا.

ـــ ولكن انظمة التمييز العنصري ما زالت تتشبث بالطرف الجنوبي الغني من القارة في جنوب افريقيا وجنوب غربها.. وهي أنظمة محكوم عليها بالزوال.

● **التكتلات الافريقية:**

سبق قيام منظمة الوحدة الإفريقية ظهور تكتلات بين الدول الافريقية لعل اهمها كانت منظمة الدار البيضاء التي تكونت عقب المؤتمر الذي دعت اليه المغرب في اول عام ١٩٦١ واشتركت فيه مصر وغانا وغينيا ومالي وحكومة الجزائر المؤقتة وتبنى المؤتمر عدة قرارات تدعو لتصفية الاستعمار القديم والحديث وعدم الانحياز ودعم حركات التحرير الوطني الافريقية ووحدة افريقيا واقامة تعاون أوثق بين الدول الافريقية في شتى المجالات وانشاء قيادة افريقية عليا ومكتب اتصال لمنظمة الدار البيضاء.

● اتحاد ملاجاسي:

وفي سبتمبر ١٩٦١ انعقد مؤتمر في تاناناريف بمدغشقر اشتركت فيه مجموعة الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية وهي: **السنغال، افريقيا الوسطى، الكنغو** (برازفيل)، **زائير، تشاد، جابون، ساحل العاج، النيجر، الكمرون، موريتانيا، مدغشقر وبنين** (**داهومي**).

وانشأ المؤتمر امانة عامة ومجلساً وزارياً وميثاقاً للدفاع والمنظمة الملاجاسية للتعاون الاقتصادي وبعد انضمام دول الاتحاد الافريقي الملاجاسي لمنظمة الوحدة الافريقية تقرر تحويل الاتحاد من منظمة سياسية الى منظمة اقتصادية.

وكان قد نشأ تنافس بين مجموعة الدار البيضاء وبين مجموعة ملاجاسي وصفت المجموعة الاولى بأنها تمثل دول افريقيا الثورية والمجموعة الاخيرة بأنها تمثل الدول المعتدلة.

وفي مونروفيا عاصمة ليبريا انعقد في مايو ١٩٦١ مؤتمر ضم مجموعة ملاجاسي بالاضافة لسبع دول افريقية اخرى، ولكن الدول التي تكون مجموعة الدار البيضاء لم تشترك في مؤتمر منروفيا (**وهي نيجيريا، ليبريا، اثيوبيا، سيراليون، الصومال، تونس وتوجلاند**) وكان بيان المؤتمر محاولة للتقريب بين مجموعة الدار البيضاء ومجموعة ملاجاسي.

ومن ابرز اسباب الخلاف الموقف من ثورة الجزائر لأن المجموعة الفرنسية لم تشأ ان تغضب فرنسا ولكن في مارس ١٩٦٢ أعترفت فرنسا بحكومة الجزائر الثورية بمقتضى اتفاقية ايفيان وزالت العقبة الرئيسية التي كانت تحول دون التوفيق بين المجموعتين.

تسوية الخلافات الافريقية:

نص ميثاق الوحدة الافريقية على مبدأ فض المنازعات بين الدول الافريقية بالطرق السلمية وانشأ لجنة للوساطة والتوفيق والتحكيم.

● وقد تدخلت المنظمة لحل النزاع على الحدود بين الجزائر والمغرب الذي نشب في اكتوبر ١٩٦٣ واسفر عن اشتباك مسلح، والنزاعات التالية حول الصحراء المغربية. كما سعت المنظمة لتطويق الخلاف بين الصومال واثيوبيا حول الاوجادين، والنزاع بين السودان واثيوبيا بسبب جنوب السودان وتحرير أرتريا.

● النزاع الأثيوبي الصومالي والنزاع الكيني الصومالي الذي بحثه المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية في فبراير ١٩٦٤.

● الأزمة بين غينيا وغانا عندما اعتقلت حكومة غانا بعد الاطاحة بنكروما اعضاء الوفد الغيني لاجتماع المجلس لمنظمة الوحدة في اديس ابابا عندما هبطت طائرتهم في مطار اكرا في اكتوبر ١٩٦٦. وقد تم الافراج عن الوفد بعد وساطة اعضاء منظمة الوحدة الافريقية.

وتنسق منظمة الوحدة الافريقية عمل الدول الافريقية ومواقفها في الامم المتحدة، ويبلغ عدد الدول الافريقية الاعضاء ٥٠ دولة وهي تحتل مع الدول العربية اكثر من ثلث مقاعد الجمعية العامة للامم المتحدة وقد زاد تمثيل افريقيا في مجلس الامن الى ثلاثة مقاعد (من مجموع ١٥ مقعدا) وفي المجلس الاقتصادي والاجتماعي زاد عدد المقاعد المخصصة لافريقيا من ١٨ مقعدا الى ٢٧، وكان من نتائج هذا الوجود الافريقي الكبير في الامم المتحدة ولجانها زيادة اهتمام المنظمات الدولية بالمشاكل الافريقية كما استطاعت الدول الافريقية ان تكثف جهودها للضغط على الحكومات التي تحتفظ بمستعمرات في افريقيا وكذلك على حكومات الاقلية العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا. وقد اشترك الامين العام للأمم المتحدة في مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية مما يشير للتعاون الوثيق بين المنظمة الاقليمية والمنظمة الدولية.

والاجتماعات الاخيرة للمنظمة الافريقية اهتمت بمشاكل الجفاف والتصحر ونقص الغذاء ومديونية الدول الافريقية والنضال ضد نظام التمييز العنصري في جنوب افريقيا.

المنظمات الاقليمية في أفريقيا:

تضم قارة افريقيا عدة منظمات اقليمية تجعل منها اتحادات غاية في الاهمية بالنسبة لموقف القارة السياسي والاقتصادي واهم هذه المنظمات:

● منظمة شرق افريقيا:

وتجمع بين ١٤ دولة من دول شرق ووسط افريقيا حيث يجتمع رؤساؤها سنويا منذ مارس ١٩٦٦ لمناقشة مشاكل المنطقة وقد صدرت عن هذا المؤتمر وثائق هامة بشأن مواجهة الاستعمار في افريقيا ومناهضة التمييز العنصري.

● منظمة الاوكام:(O.C.A.M)

وتضم مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية والمرتبطة بفرنسا باتفاقيات خاصة وهي حوالي ١٥ دولة، وكلمة (الاوكام) اختصار لكلمة المنظمة العامة لافريقيا ومالاجاسي وانضمت اليها موريشس وخرجت منها موريتانيا وزائير. وتشكل دول افريقيا الغربية منظمة للتعاون الاقتصادي وهي المسماة (ECOWAS) اختصارا للاتحاد الاقتصادي لدول غرب افريقيا. ECONOMIC UNION OF WEST-AFRICAN STATES.

دول الأندوجو (الأخوة):

تتكون هذه المجموعة من مصر والسودان واوغندا وزائير وافريقيا الوسطى بالاضافة لتنزانيا وبورندي كأعضاء منتسبين.

تأسست عام ١٩٨٣ وعقدت اجتماعاتها في السودان وزائير ومصر.

واهداف المجموعة: تطوير سبل النقل والمواصلات والأمن وحل مشاكل الطاقة والتعاون في مجالات التعليم والصحة والتجارة والزراعة.

منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية:

ORGANIZATION FOR ECONOMIC COOPERATION & DEVELEPMENT (O.E.C.D.)

تكونت هذه المنظمة في سبتمبر ١٩٦١ لتقوية العلاقات الاقتصادية بين الدول الاعضاء والاهتمام بمسائل تنمية المجتمع ولتنسيق الجهود بين الدول الاعضاء لرفع وتطوير البلدان النامية وتشمل معظم البلدان التي تأخذ بنظام الاقتصاد الحر (الرأسمالي) وتعتبر يوغسلافيا عضواً منتسبا بالمنظمة.

ومقر المنظمة في باريس (فرنسا) والدول الاعضاء فيها هي:

الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، المانيا الغربية، ايطاليا، اليابان، هولندا، بلجيكا، اليونان، فنلندا، الدنمارك، ايرلندا، اسبانيا، البرتغال، سويسرا، النرويج، لوكسمبرج، كندا، استراليا، نيوزلندا، السويد، النمسا، آيسلندا.

وهي تنسق سياسات هذه الدول الاقتصادية والتجارية وتعالج التناقضات التي تنشأ بينها.

وحدة غرب اوربا والسوق الاوربية المشتركة:

ORGANIZATION OF EUROPEAN ECONOMIC CO-OPERATION. (O.E.E.C.)

وحدة غرب اوربا:

ــ في عام ١٩٤٨ شكلت ١٥ دولة اوربية منظمة التعاون الاوربي التي تولت الاشراف على توزيع العون الامريكي لدول غرب اوربا بعد ان رفضت الدول الشيوعية مشروع مارشال:

وفيما يلي الدول الاوربية الاعضاء في المنظمة التي سميت (O.E.E.C.).

ايطاليا ــ ايرلندا ــ بريطانيا ــ بلجيكا ــ البرتغال ــ لوكسمبرج ــ الدنمارك ــ فرنسا ــ النرويج ــ السويد ــ سويسرا ــ اليونان ــ النمسا.

وانضمت اليها فيما بعد تركيا واسبانيا في ١٩٥٩. اما المانيا الغربية فكانت تتلقى العون الامريكي مباشرة من سلطات الاحتلال.

وكان مقر هذه المنظمة باريس.

- تطورت المنظمة لتكون نواة للسوق الاوربية المشتركة.

ــ شكلت الدول الاوربية الغربية في يوليو ١٩٥٩، اتحاد المدفوعات الاوربي، ولكن بريطانيا لم تشترك في الاتحاد لانها رفضت التنازل عن استقلالها في السياسة العالمية.

وفي عام ١٩٥٨ قررت الدول الاوربية الغربية ان عملاتها تكون حرة وقابلة للتحويل.

ــ في عام ١٩٦١ انبثق من منظمة التعاون الاوربي ــ المنظمة الاوربية للتعاون والتنمية التي انضمت لعضويتها امريكا وكندا وشملت ١٨ دولة غربية. وتكونت لجنة من مديري المصارف الهامة في تلك الدول للتخطيط الاقتصادي والمالي.

ــ في مايو ١٩٥٠ وجد الوزير الفرنسي روبرت شومان ان الوحدة السياسية بين دول غرب اوربا صعبة فاقترح اتخاذ طريق مختلف لوضع اساس الوحدة الاوربية.

وهو البدء بالتعاون الاقتصادي ليكون قاعدة اللقاء السياسي، ورأى شومان ان أهم الصناعات في فرنسا هي صناعة الحديد والصلب والفحم وهي الصناعات التي لا غنى عنها للمجهود الحربي، واقترح توحيد صناعات الحديد والصلب والفحم في كل من فرنسا والمانيا ووضعها تحت سلطة فوق ــ قومية.

واعلن ان الفرنسيين على استعداد لوضع صناعة الحديد والصلب والفحم في فرنسا تحت اشراف سلطة عليا اوربية، واقترح قيام مجمع الحديد والصلب والفحم الاوربي ليكون نواة للتكامل الاقتصادي الاوربي.

ـــ وقد صارت اتفاقية مجمع الصلب والفحم نافذة في عام ١٩٥٢ وانضمت للاتفاقية هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج وايطاليا بالاضافة الى فرنسا والمانيا (الغربية).

وينص الاتفاق على حرية الحركة للايدي العاملة ولرؤوس الاموال بين البلدان الموقعة على الاتفاق ومقر المجمع لوكسمبرج ويرمز اليه E.C.S.C. European Coal & Steel Community.

وقد حقق زيادة كبيرة في انتاج الحديد والصلب والفحم في اوربا الغربية.

المجلس الاوربي:

وقعت ١٠ دول اوربية على اتفاقية المجلس الاوربي في مايو عام ١٩٤٩ وهذه الدول هي:

بريطانيا، فرنسا، بلجيكا، هولندا، لوكسمبرج، النرويج، السويد، الدنمارك، ايرلندا، وايطاليا.

ثم انضمت اليها:

النمسا، اليونان، المانيا الغربية، سويسرا، ايسلندا، قبرص، مالطا، وتركيا.

ويتكون المجلس الأوربي من جمعية استشارية تضم ١٤٤ عضواً تختارهم البرلمانات في كل قطر وقع على الاتفاق وهناك لجنة وزارية تمثل فيها الحكومات الاعضاء بعضو واحد لكل دولة، وسكرتارية تحت رئاسة سكرتير عام.

كان من رأي فرنسا في ذلك الحين اعطاء سلطات للجمعية الاستشارية بينما ارادت بريطانيا ان تكون اللجنة الوزارية هي الجهاز الفعال.

ورغم الخلافات استطاع المجلس الاوربي تحقيق بعض الانجازات في ازالة التعصب القومي من برامج التعليم وحل بعض المسائل المعلقة بين الدول الاعضاء.

مجلس الدفاع الاوربي:

واجهت امريكا ضغطاً شديدا من الدول الاوربية عندما ارادت اعادة تسليح المانيا الغربية ١٩٥٠ اي بعد خمس سنوات من انتهاء الحرب وكان الحاح امريكا على تسليح المانيا (غ) يزداد بتأثير الحرب الكورية، وللتخلص من الحرج والمعارضة لتسليح المانيا قررت الدول الغربية عام ١٩٥٢ انشاء مجلس الدفاع الاوربي، حيث تقرر تحقيق تكامل دفاعي بين ست دول اوربية.

وقد واجه تسليح المانيا معارضة شديدة خاصة في فرنسا وايطاليا واقترحت بريطانيا قيام معاهدة دفاع مشترك بين دول اوربا الغربية وان يستمر وجود قوات الحلفاء في المانيا الغربية وان تتعهد المانيا بعدم صنع اسلحة ذرية وميكروبية وكيمائية.



- عارض ديجول انضمام بريطانيا للسوق الأوربية (١٩٦٣)

وقد تم في ديسمبر ١٩٥٤ ابرام معاهدة الاتحاد الاوربي للوفاء بالشروط السابقة ووقعت عليها بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج واصبحت المانيا الغربية حرة في بناء جيشها.

ويتكون مجلس الاتحاد الاوربي من وزراء خارجية الدول الاوربية الاعضاء او سفراء هذه الدول لتنسيق سياستها الدفاعية. ومن وكالة للرقابة على التسليح ولجنة تنسيق الامدادات العسكرية.. وقد ظل المجلس جهازا استشارياً وتصرفت فرنسا بدون مشورته خاصة في عهد الرئيس ديقول عندما مضت قدما في تطوير اسلحتها الذرية.

السوق الاوربية المشتركة:

ظلت المؤسسات المشتركة في غرب اوربا تتنازعها دواعي الوحدة وعناصر الاستقلال ولم تحقق تلك المؤسسات نجاحا كبيرا فيما عدا **مجمع الحديد والصلب والفحم**... ونظرا لنجاح خطوات التكامل الاقتصادي وتعثر خطوات الوحدة السياسية، اقترح مندوبو الدول الغربية المشتركة في مجمع الصلب والفحم في اجتماع مسينا في يونيو ١٩٥٥ توسيع قاعدة التعاون الاقتصادي ليشمل قطاعات انتاجية اخرى مثل الطاقة الذرية والمواصلات وفروعاً اخرى كما تقرر انشاء سوق اوربية مشتركة يجري فيها تبادل السلع التي تنتجها الدول الاعضاء بحرية وبدون حواجز جمركية وتشكلت لجنة **برئاسة المستر بول هنري سباك وزير خارجية بلجيكا** لتقديم مقترحات عملية في هذا الشأن.

وفي عام ١٩٥٦ قدمت لجنة سباك مقترحاتها التي قبلها مندوبو الدول الست الاوربية الغربية وتتضمن انشاء سوق اوربية مشتركة او اتحاد اقتصادي يكون قاعدة للتقدم التكنولوجي ويسمح بازالة كل العقبات من طريق التجارة الحرة بين الدول الاعضاء خلال ١٢ عاما، كما تقررت حرية انتقال الايدي العاملة ورؤوس الأموال بين الدول الاعضاء. واقترحت اللجنة وضع برنامج للتكامل الزراعي وانشاء صندوق لتمويل القطاعات الزراعية في البلدان التي

قد تعاني خسائر بسبب التكامل او انتهاج سياسة زراعية مفتوحة ازاء منتجات الدول الاعضاء بعد الغاء الحماية الجمركية.

— وفي ٢٥ مارس ١٩٥٧ تم في روما التوقيع على معاهدة الاتحاد الاقتصادي الاوربي.

واتحاد الطاقة الذرية الاوربي (يوراتوم). URATOM.

واصبحتا نافذتين من بداية ١٩٥٨.

اهداف الاتحاد الاقتصادي الاوربي:

European Economic Community (E.E.C.)

١) اقامة سوق أوربية غربية مشتركة.
٢) التقريب بين السياسات الأقتصادية للدول الاعضاء
٣) تنسيق وتطوير النشاط الاقتصادي
٤) تحقيق نمو مستمر ومتوازن للأقتصاد الاوربي.
٥) تحقيق الاستقرار المطرد
٦) تحقيق ارتفاع مستمر في مستوى المعيشة.
٧) توثيق العلاقات بين الدول الاعضاء.

ويشرف مجلس مكون من تسعة اعضاء، وتحال القرارات الى مجلس وزاري تمثل فيه الحكومات المشتركة في الاتحاد بعضو لكل دولة، كما تكونت لجنة اقتصادية واجتماعية من ١٠١ عضو تمثل هيئات اقتصادية واجتماعية مثل: المخدمين ونقابات العمال لكي تقدم المشورة لمجلس التسعة، وقد تشكلت محكمة عدل خاصة بمجمع الصلب والفحم الاوربي لتفصل في المنازعات الاوربية، وقد وسع مجمع الصلب والفحم جمعيته العامة من ٧٨ عضوا الى ١٤٢ عضوا وسماها البرلمان الاوربي ومنحها صلاحيات الاشراف على:

— الاتحاد الاقتصادي الاوربي

ـــ مجمع الصلب والفحم
ـــ مجمع الطاقة الذرية

دور الاتحاد الاقتصادي الاوربي

ـــ الغاء الحواجز الجمركية بين الدول الاعضاء حسب جدول متفق عليه (على ثلاث مراحل مدة كل مرحلة اربع سنوات..)

ادى الغاء التعريفة الجمركية الى الغاء الجمارك ونظم الحصص المفروضة على المنتجات الصناعية الاوربية في ١٩٦٨. كما اتفقت الدول الاعضاء على حرية انتقال الايدي العاملة بين الدول الاعضاء وحقهم في الامتيازات الممنوحة لعمال الدولة التي يعملون فيها وعضوية النقابات في محل العمل.

اما حرية انتقال رؤوس الاموال فقد عاقتها النظم المصرفية المالية ورغم ذلك فقد تكونت شركات اوربية برؤوس اموال مشتركة كما اندمجت شركات اوربية ذات انتاج متماثل او مكمل وجرى تخصص وتعاون اوسع بين الشركات الاوربية ذات الجنسيات المختلفة.. مما اعطاها مقدرة اكبر على التوغل والمنافسة في الاسواق غير الاوربية.

السياسة الزراعية:

لم يصادف تنسيق السياسة الزراعية بين دول السوق النجاح الذي صادفته السياسة الصناعية، وكانت فرنسا هي اكبر منتج زراعي قد هددت بالانسحاب من السوق بل وقاطعت السوق لمدة سبعة شهور بين ١٩٦٥ و١٩٦٦ في عهد الرئيس ديقول بسبب الخلاف على السياسة الزراعية وقد حاولت دول السوق حل المشكلة بانشاء صندوق لتطوير الزراعة في اوربا الغربية وبفرض رسوم على استيراد المواد الزراعية من خارج دول السوق وعلى تضييق الهوة بين دخل عمال الصناعة وعمال الزراعة، ولكن المشكلة الزراعية ظلت مصدر احتكاك بين الدول الاعضاء.

نتائج انشاء السوق الاوربية:

قللت السوق الاوربية من التنافس بين الدول الاعضاء وابرزتهم كتلة اقتصادية ذات وزن في العالم الرأسمالي. كما ساعد بنك الاستثمار الاوربي في تطوير المناطق المتخلفة في جنوب ايطاليا وفرنسا وغيرها.. وزادت مقدرة دول السوق على منافسة الإنتاج الامريكي والياباني وفي السنوات العشر الاولى (بين ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨) زاد حجم الانتاج في دول السوق الاوربية سنويا بنسبة خمسة بالمائة، كما تضاعف حجم التجارة بين الدول الاعضاء اربع مرات.

ولكن التقدم في الحقل الاقتصادي لم يقابله تقدم في المجال السياسي وقد تم **في عام ١٩٦٨ دمج مجمع الصلب والفحم ومجمع الطاقة الذرية** مع الاتحاد الاقتصادي الاوربي في جهاز واحد ولكن محاولة نقل سلطات سياسية للبرلمان الاوربي لم تنجح، وعارض الرئيس ديقول اعطاء سلطات عليا (فوق قومية) لاجهزة الاتحاد الاوربي.

منظمة التجارة الحرة الاوربية E.F.T.A

European Free Trade Association

تكونت المنظمة كرد فعل لانشاء السوق المشتركة، لان الدول الاوربية التي بقيت خارج السوق وجدت انها ستجد صعوبة في تصدير منتجاتها للدول الاعضاء في السوق الاوربية، وتكونت مجموعة الدول السبع وهي:

بريطانيا، سويسرا، النمسا، السويد، النرويج، الدنمارك، والبرتغال، واسست منظمة (افتا) في نوفمبر ١٩٥٩، وكانت الدول السكندنافية (**السويد، النرويج، والدنمارك**) قد شكلت مع فنلندا تكتلا اقتصاديا منذ عام ١٩٥٣.

يدير (افتا) مجلس مكون من سبعة اعضاء تمثل كل دولة بعضو، ولجنة استشارية من الاقتصاديين والمستخدمين ونقابات العمال، وامانة عامة مقرها

في جنيف، وتبنت المنظمة برنامجا لالغاء الحواجز الجمركية على السلع الصناعية التي تنتجها دول المجموعة في غضون عشر سنوات، لم يشمل التنسيق الانتاج الزراعي، كما ان دول (افتا) لم تحاول إقامة حواجز جمركية ضد غيرها.

ولم تتطور كثيرا العلاقات التجارية بين دول مجموعة (افتا) لان معظم تجارتها كانت في الحقيقة مع دول السوق المشتركة. كما ان بريطانيا — وهي زعيمة المجموعة — ظلت تبحث في كيفية الانضمام للسوق المشتركة بشروط تحمي مصالحها. وفي ١٩٦١ طلبت بريطانيا رسميا دخول السوق المشتركة. وبعد محادثات مضنية استمرت زهاء عامين في عهد المستر ماكميلان تم تذليل كل الصعوبات التي كانت تحول دون انضمام بريطانيا الى السوق المشتركة. (**والصعوبات كانت تتصل بعلاقات بريطانيا مع دول الكومنولث ومجموعة (افتا) وسياسة بريطانيا الزراعية**) ولكن الرئيس الفرنسي ديقول اعترض على قبول بريطانيا في السوق الاوربية واتهمها بأنها حصان طروادة للولايات المتحدة.

جددت بريطانيا المحادثات لدخول السوق المشتركة (ومعها ايرلندا والدنمارك) عام ١٩٧٠.

وقد تم التوصل لاتفاق في عام ١٩٧٢ وكان البرلمان البريطاني قد وافق على انضمام بريطانيا للسوق في عهد المحافظين، ولكن حزب العمال قرر اجراء استفتاء واعادة النظر حول شروط انضمام بريطانيا للسوق الاوربية، واستمرت عضوية بريطانيا في السوق كما انضمت إليها الدنمارك وايرلندا ثم اسبانيا واليونان في عام ١٩٨١.

وحدة شرق اوربا: (COMECON) Council for Mutual Economic Assistance

● في يناير ١٩٤٩ شكلت الدول الشيوعية الأوربية المجلس الاقتصادي للتعاون المتبادل:

وتشمل عضويته: الاتحاد السوفيتي، بلغاريا، تشكوسلوفاكيا، المجر،

بولندا، ورومانيا، وانضمت اليه المانيا الشرقية فيما بعد، ثم طردت منه البانيا عام ١٩٦١ لانحيازها للصين ودخلت بعدها منغوليا الشعبية عام ١٩٦٢.

- انشأ المجلس لجنة تنفيذية من نواب رؤساء الوزراء في الدول الاعضاء لبحث شؤون التنمية والتخطيط كما كون ١٣ لجنة متخصصة لكل فرع من فروع الاقتصاد.

- اقترح الاتحاد السوفيتي ان تختص دول معينة بانتاج سلع معينة وعارضت فكرة التخصص الانتاجي بعض الدول الاقل تطورا (رومانيا). وايدته الدول الشيوعية الاكثر تقدما..

- **اقام الكوميكون شبكة كهربائية عامة تربط بين الدول الاعضاء وانشأ مصرفا لها عام ١٩٦٤ كما اقام خطوط انابيب تمد الدول الاعضاء بالبترول وحقق درجة من التكامل الاقتصادي.**

للمزيد من الاطلاع

أهم المراجع العربية والاجنبية:

١) ــ مدخل الى الاستراتيجية العسكرية.
تأليف الجنرال اندريه بوفر
(دار الطليعة بيروت)

٢) الحرب الثورية.
تأليف الجنرال أندريه بوفر (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت)

٣) الاستراتيجية وتاريخها في العالم.
تأليف ليدل هارت.
(منشورات دار الطليعة ــ بيروت)

٤) الاستراتيجية العسكرية السوفيتية.
تأليف المارشال سوكولوفسكي.
(عالم الكتب ــ بيروت).

٥) استراتيجية الاستعمار والتحرير.
د. جمال حمدان (القاهرة).

References:

– The Military and Politics, Perlemutter, A., Yale, 1977.
– On the War Path, John Cox, Oxford Univ. 1976.
– Problems of Contemporary Militarism, Eide and Thee,GroomHelm, 1980.
– Overkill, John Cox, Oxford Univ. Press, 1981.
– History of Political Theory, G. H. Sabine.
– On War, Karl von Claus Witz.
– On the Protracted War, Mao Tse Tong.
– The War Machine, James Avery Joyce, 1981.
– Has Man a future? Bertrand Russell, 1961.
– The Defence of the Realm in the Eighties, Dan Smith & Groom Helm, 1980.
– The age of Terrorism, Walter Laqueur, Weidenfeld & Nicholson London, 1987.
– From Yalta to Vietnam, David Horowitz, Penguin 1969.
– Hiroshima, John Hersey, Penguin 1972.
– The arms Bazaar, Anthony Sampson, Hodder & Stoughton 1977.
– The Gun and the Olive Branch, David Hirst, Futura, 1978.
– On strategy, a critical analysis of Vietnam War.
– Harry G. Summers Jr., California, Dell Book, 1982.
– World Military order, Kalder, M., Mac Millan, 1979.
– Disarmament and World Development, Jolly Richard, 1979.
– Introduction to Politics, Harold Laski.
– Introduction à la strategie, André Beaufre, 1965.
– Korea, The Limited War (Mac Millan, 1964).
– A short History of the World, War I, Sir James Edmonds, oxford Univ. Press).
– The Mac Namara Strategy, William Kauffman, Harper and Row, N.Y.
– The New Class, Milovan Djilas (Thames & Hudson, 1957).
– Strategy in the Missile age, Bernard Bordie, The Rand Corporation 1965.
– The Negro Revolt, Louis Lomax, Hamish Hamilton, London.
– The Cold War, a re-appraisal, Evan Luard, (Thames & Hudson).
– The Crisis in Economic Theory, Irving Kristol, The Public Interest, Special issue 1980, New York University.

الفهرس